جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# منهج القاضي

## عبد الجبار في الرد على النصارى

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
معهد الدعوة وأصـــول الدين
قسنطينة

# منهج القاضي
# عبد الجبار في الرد على النصارى

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في علم مقارنة الأديان

تقديم الطالب
عبد الحليم قرمان

إشراف
د. أبو بشير يوسف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الدراسية 96/95

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى

الحبوبا

التي كانت ترقب لي عهدا جديدا؛ إلى الوالدين الكريمين أعتز وأفتخر بفضلهما

إلى روح

شيخنا الفاضل محمد الغزالي أعتز وأفتخر بفضله ونوجيهاته

إلى أساتذتي الأفاضل،

وكل من كان لي فضل في تعليمي وتربيتي، أخص بالذكر منهم والد الكنور حمزة المليباري والشيخ البخاري معلم..

إلى الأستاذ الحديدي..،

الذي كان لي خير مرب ومقرن بالله..،

فلم يبخل علي بوقته، ومنحني ثمرة وقته في الزمن القفر، ولم يروع الحدود الكنور (أنيس جميل طيارة)...،

إلى من كان لي خير رفيق وسامع،

الحديدي حمار بلقاضي، الذي يعود له فضل كبير في كتابة هذه الرسالة

إلى كل هؤلاء..

أهدي هذه الصفحات أعتز وأفتخر بأفضالهم واعتذر إليهم عن كل تقصير

سليم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهرس العام


الفهرس العام
مقدمة البحث: 5
6

تمهيد: منهج القرآن في الرد على النصارى 17
المبحث الأول: أسس المنهج القرآني في الرد علي النصارى 19
المبحث الثاني: نتائج النقد القرآني للعقائد النصرانية 34

الفصل الأول: حياة القاضي عبد الجبار 41
المبحث الأول: عصر القاضي عبد الجبار 42
المبحث الثاني: حياته وثقافته 50
المبحث الثالث:ردوده على النصارى 59

الفصل الثاني: أسس منهج عبد الجبار في الرد على النصارى 69
المبحث الأول: الأسس المعرفية لمنهجه في الرد على النصارى 71
المبحث الثاني: الضوابط الإبستيمولوجية لمنهجه في الرد على النصارى 82
المبحث الثالث: المقولات الأساسية لمنهجه في الرد على النصارى 86
المبحث الرابع: مناهجه المستخدمة في الرد على النصارى 101

الفصل الثالث: منهج عبد الجبار في الرد على مصادر الدين النصراني 118
المبحث الأول: عرضه لمصادر الدين النصراني 122
المبحث الثاني: رده على مصادر الدين النصراني 126

الفصل الرابع: منهج عبد الجبار في الرد على الإلهيات النصرانية 147
المبحث الأول: رده على أدلة الإلهيات النقلية 151
المبحث الثاني: رده على أدلة الإلهيات الكلامية 161
المبحث الثالث: رده على أدلة الإلهيات التاريخية 179

الفصل الخامس: منهج عبد الجبار في الرد على المسيحولوجيا النصرانية 189
المبحث الأول: عرض أنواع المسيحولوجيا النصرانية 191
المبحث الثاني: رده على عقيدة التجسد 199
المبحث الثالث: رده على عقيدة الصلب 228

خاتمة: 240
قائمة المراجع: 245
الفهرس التحليلي للمحتويات 251


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد علم الملل والنحل (١) من أخصب العلوم الإسلامية التي تكونت إبان الحضارة الإسلامية، فكتبت فيه مؤلفات عديدة وتخصصت فيه أجيال من العلماء المسلمين بحثا ونقدا، مستخدمين مناهج مختلفة في تناول الأديان(٢)، ترجع جميعها في فهمها وأسسها المنهجية إلى التصور القرآني حول الأديان المختلفة (٣). وإذا كان عصرنا قد تميز بعلوم كثيرة تآزرت على دراسة الأديان، فإنها - جميعا - تشترك في نسق الفكر الغربي، وفي أدواته المعرفية والتحليلية، وهذا ما يجعل الفرق شاسعا بينها وبين علم الملل والنحل في الأهداف والنتائج.

وعلم الملل والنحل علم الأديان الاسلامي قد تكون في القرون الأولى من الحضارة الإسلامية، فعالج قضايا عصره الدينية بالنماذج المنهجية الممكنة زمنها، وتكونت له وظائف حضارية مختلفة، دفاع عن الدين الإسلامي وعن الذات الإسلامية، ونقد للأديان الأخرى. أما علم الأديان المعاصر، فقد ارتضى لنفسه وظيفة تهديمية لكل وحي ودين، وتجهز لذلك بعلوم إنسانية واجتماعية مختلفة، ومناهج وطرق بحث جد متطورة، لم يعرفها ولم يستخدمها الفكر الإسلامي قديما(٤)، فاحتاج علم الملل والنحل تجديدا وتحديثا، كي يمكنه أن يساير عصرنا في الأدوات والطرق الدراسية، وحتى في الأهداف المرجوة، ويكون ذا أثر.

إن البحث عن تصور إسلامي جديد حول علم الأديان يقتضي منا إستكشافا للثابت والمتغير في علم الملل والنحل، فما كان ثابتا اعتمدناه، وما كان متغيرا كالطرق النقدية والأدوات التحليلية، أبدلناه - إن اقتضى البحث - بما هو أكثر ملائمة لعصرنا، فنفيد من المناهج الإنسانية والاجتماعية المعاصرة(٥).

والتجديد في منهج علم الأديان الإسلامي وفق المنحنى العام للتصور الإسلامي للوجود والدين يمكن أن يجد له ثلاثة روافد أساسية تمده بالقضايا الدراسية والفروض المنهجية والأدوات التحليلية والأسس المعرفية، وهي:

أ. **القرآن والسنة:** أوضح القرآن والسنة قضايا وتصورات تخص مفهوم الدين

---

(١)علم الملل والنحل هو علم دراسة الأديان في التراث الإسلامي. وقد عرف بأسماء مختلفة، منها الردود على الأديان ومقالات غير الإسلاميين.

(٢)راجع بخصوص تاريخ الكتابات الإسلامية في دراسة الأديان:

Guy Monnot . **Islam et Religions**.(Paris Maison noeuve.1986).p 243

(٣)راجع د. محمد خليفة حسن أحمد . **علاقة الاسلام باليهودية - رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**.(القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع . ١٩٨٨) ص ص ٣٩ - ٦٠.

(٤) راجع حول المناهج الغربية الحديثة: Michel mislin.**pour une science des religions**.(Paris Le Seuil.1977)

(٥)أحمد فؤاد باشا : نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي محاضرة قدمت إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة - الجزائر (١٩٨٩)، ص ص ١ - ٦.

وعناصره التحليلية ووظائفه النفسية والإجتماعية والتشريعية، كما أوضحا تصورا شموليا حول الأديان التاريخية، وما اعتراها من تحريف وتبديل، ووسائل هذا التحريف، ودوافعه. وهذه الإشارات القرآنية توجب القيام بدراسة نقدية لكل نصوص القرآن والسنة المتعلقة بالأديان التاريخية، لاستخراج هذه التصورات والمفاهيم.

ب. **التراث الإسلامي**: يزخر التراث الإسلامي بكتابات علمية متنوعة حول الأديان، وتختلف نماذجها الدراسية إختلافا كبيرا؛ فمنها ما اهتم بتفسير المواقف القرآنية أوالنبوية من الأديان الأخرى؛ ومنها ما اهتم بدراسة أحوال الأديان الأخرى من غير نقد، ومنها ما اهتم بنقد الأديان والرد على أصحابها. ولا يخفى أن دراسة هذا التراث سيمدنا بخبرة منهجية هائلة، تكشف عن كيفية تعامل الفكر الإسلامي مع الوحي والواقع البحثي معا ليفرز معرفة مقبولة بالدين، وتكشف عن المناهج المستخدمة وأدواتها النقدية، وهو ما يحبذ القيام بمسح شامل للتراث الإسلامي في مجال دراسة الأديان والبحث في أغواره.

ج. **الفكر الغربي المعاصر**: تطورت دراسة الأديان حديثا، ووظفت مناهج دراسية مختلفة، وتكافلت العلوم الإنسانية فيما بينها لتعطي معرفة شمولية بها، وصارت دراسة الأديان بغية لعلماء اللغويات والأساطير والإجتماع والنفس وغيرهم، كل يفيض بما عنده. فازدادت النتائج المعرفية عمقا ونضجا، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقول إن دراسة الأديان لم تعدم تأثرا بالفلسفات الغربية، إذ أن هذه الفلسفات تؤسس النسق الخلفي للمناهج الدراسية في علم الأديان، وهوما يجعلنا نحتاط من نتائجها النقدية ونظرياتها التفسيرية(١).

ورغم أهمية علم الملل والنحل إلا أنه مازال بكرا لم تستكشف مجالاته، وهو ما شجعنا على اختيار هذا الميدان كموضوع بحث، لنبرز بعض جهود المسلمين في هذا المجال. فاخترنا دراسة منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى.

أ. **موضوع البحث** :

لنبدأ أولا بتحديد ما نقصده بالمصطلحات المعنونة للبحث، أقصد **منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى**؛ فما الذي نقصده بالمنهج ؟ وما الذي نقصده بالرد؟ وما الذي نقصده بالنصارى؟ وفهم كل ذلك ضروري، إذ تتعلق به كل التحليلات المنهجية والإجراءات المنهجية، أضف إلى هذا أن بعض هذه المصطلحات- كالمنهج- لم تكن تحمل نفس الدلالة في القاموس الفلسفي الكلامي الإسلامي.

فلا عجب أن نبغي تحليلا لهذه المصطلحات، فالتوظيف اللغوي ينم عن بعد فكري، وكل بحث هو بحاجة إلى تبرير مصطلحاته تبريرا منهجيا، يعكس التصور الكلي للبحث، ويحدد الأدوات التحليلية والفكرية الممارسة فيه، وموجها النقد في ميدان موضوع البحث. ولا يهمنا بعد هذا أن يكون القاضي عبد الجبار قد استخدم هذه المصطلحات أولم يستخدمها، أوأن ذلك ابتكار جديد، إذ المهم أن تكون المباحث التي تندرج تحتها قد تعرض لها وتناولها في كتاباته، ولحظتها يمكننا أن نقول أن ذلك التوظيف مشروع.

---

(١)راجع بخصوص المناهج الغربية الحديثة:

Bernard lauret et francois Refoule et autre, **Initiation a la pratique de la théologie**, (Paris cerf;1987), t1, pp299-334 et461-509.

إن أهم ما يثير انتباهنا هو النموذج المستحسن إتباعه في دراسة منهج الرد، فلا شك أن القاضي عبد الجبار هو من أعظم علماء القرن الرابع الهجري، فهو المدرسة والمتكلم الكبير والعالم الفذ في الإعتزال(١)، الذي ارتأى لنفسه غاية أن يوضح الحقيقة، ويفسر كل الجانب الخلفي للكون، بدءا من أبسط الأحكام العقلية أوالعملية والأحكام الفيزيقية، وإنتهاء بأرفع الأحكام والمعارف الميتافيزيقية. فصار لازما عده منطقيا وأخلاقيا وفيزيائيا وفيلسوفا وعالم أديان. وتصفح كتب القاضي يكشف عن اهتمام بالغ بقضايا علم الكلام، فدافع عن الأصوليات الإعتزالية الخمسة، ونظر لها؛ فالمغني بأجزائه العشرين هو أضخم عمل اعتزالي وصلنا وأوفاهم تحليلا، إذ جمع بين سعة المعلومات وعمق الطرح والتحليل(٢)، وهو ما يؤهله لأن يكون أعظم معتزلة القرن الرابع الهجري على الإطلاق. و خص القاضي الجزء الخامس من "المغني" بدراسة تفصيلية ونقدية لأشهر الأديان التاريخية، رادا عليها، ومبينا مقامها من النسق الإعتزالي، وقد عرض ذلك كله في مسار عرضه لأصل التوحيد، وهو ما يجعلنا نقر أن القاضي يرى إشكاليات الأديان الأخرى في التوحيد.

إن هذا الطرح يجعلنا نفترض وجود منهج عند القاضي عبد الجبار في التعامل مع الأديان وكيفيات الرد عليها. ومصطلح المنهج حديث لم يوظفه علم الكلام الإسلامي قديما بنفس الدلالة الحديثة المتفق عليها في عصرنا.(**فالمنهج هو مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم ما بلوغ الحقائق المتوخاة ، مع إمكانية تبيانها والتأكد من صحتها**)(٣)، وهوما ينبيء عن وجود كل متكامل من التصورات والمفاهيم، يتم بمقتضاها تحديد وتحليل المعطيات المدروسة، ويفترض وجود ثلاثة أنشطة متكاملة؛ **أولها** موقف تعرفي من الواقع يعتمد على مبدأ إمكانية المعرفة الموضوعية، ويقربإمكانية الفصل في المشاكل المدروسة، **وثانيها** إفتراض وجود بنى متكاملة ومتشابكة من المفاهيم والأنساق والقيم، يستطيع بها ذلك الموقف التعرفي دراسة حقل معرفي معين، وتكون له قواعد وضوابط محددة لكيفية البحث وإجراءاته، **وثالثها** قدرة على تدليل أي موقف يمكن أن يعتمد، وهو ما يجعلنا نفترض أيضا وجود أدوات استدلالية، وإجراءات منهجية تتبع للتوصل إلى الغاية المنشودة.

إننا لو أردنا أن نطبق هذا النموذج البحثي على كل الأديان التي درسها القاضي عبد الجبار لألفينا ذلك صعبا للغاية، بل مستحيلا ، إذ أنه قد تناول أديانا كثيرة، وهو ما يجعل الإحاطة بها جميعا صعبة، فصار لازما أن نحدد دينا نتاوله، فندرسه ونغوص في نقدياته لاستخراج معالم منهجه، ونوضح أدواته التحليلية وتقنياته الردية.

---

(١)راجع بخصوص القاضي عبد الجبار :
عبد الكريم عثمان،قاضي القضاةعبد الجبارالمعتزلي،(بيروت: الدار العربية للطباعة والنشر،١٩٦٧).
عبد الستار الراوي، **العقل والحرية**،- دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ، ط١ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)

(٢)راجع عرضنا لكتاب المغني في أبواب العدل والتوحيد لاحقا.

(٣) Madeline Grawitz,**methodes des sciences soCiales**,5ed,(France:Dalloz ,1981),p347.

وثاني المصطلحات المعنونة للبحث "الرد"، وهو ما يجعل المنهج يهتم بالجانب السلبي فقط من الموضوع المدروس، خلافا للنقد الذي هو عملية تقويمية، تهتم بالحسنات كما تهتم بالسلبيات. فالرد لا يهتم بالدراسة المنهجية النقدية للعقائد النصرانية كلها، بل لا يهتم إلا بنقاط الاختلاف بين مذهب الراد والمذهب المردود عليه، وبذلك يصير البحث منحصرا في مجال هذه الاصطلاحات المعنونة.

والنصارى – ثالث المصطلحات المعنونة للبحث – يحتاج إلى تحديدا أيضا، فالنصارى مجتمع وثقافة وعقيدة وتاريخ. ويبدو أن القاضي لم يثره منهم سوى العقيدة، فلم يستعرض المجتمع والثقافة النصرانيان إلا تبعا للعقيدة. ولا يخفى أن العقيدة النصرانية قد اعتراها تبدل بعد آخر، وفرق بعد أخرى، فتشعبت وصارت نساطرة ويعاقبة وملكانية، وكاثوليك وأرثودكس وبروتستانت، ولم يكن ذلك إلا عبر تتابع تاريخي، فكان المصطلح يتغير مدلوله أومدلولاته العقدية تبعا للتاريخ، وهو ما يوجب علينا ضبطا وتحديدا زمنيا له، ليتسنى لنا النقد المنهجي.

ويمكننا أن نقول أن القاضي قد رد على الفرق النصرانية المعاصرة له(في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، كما اهتم بكثير من الفرق النصرانية التي تكونت من بعد وفاة المسيح عليه السلام إلى عصره، وهو ما يجعل مصطلح "النصارى" أكثر انضباطا، فالقصد إذن هو الفرق النصرانية المشهورة من عهد المسيح عليه السلام إلى عهد القاضي عبد الجبار(١).

وبعد هذا العرض للتحديدات الاصطلاحية المعنونة للبحث، نكون قد رسمنا في الذهن صورة حول غايات البحث، وعلى ضوئها يمكننا أن نصل أيضا إلى إثبات مشروعيتها وتحديد أبعادها الدلالية، فمنهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى يراد به جماع العمليات الذهنية ذات التكامل المعرفي والتي من خلالها يتحدد النشاط الاستدلالي، مفسرة العلم الديني في أخص خصائصه، لتوضح العلاقة بين الممكن دينيا والممكن عقليا.

وتوظيف كل هذه المصطلحات المقترحة كعنوان بكل مدلولاتها يكشف عن محاور جديرة بالبحث والتصنيف تحت هذا العنوان، نصنفها كما يلي:

١.الأسس المعرفية التي يستقي منها الرد على النصارى.
٢.التصورات والضوابط الإبستمولوجية التي تشكل منهج الرد.
٣.القيم التي يعتمدها منهج الرد ويهتدي بها.
٤.المناهج والطرق المقترحة للتفسير والرد.
٥. مجهودات القاضي عبد الجبار ونتائجه في الرد على النصارى.

---

(١)راجع بخصوص التطور العقدي النصراني:
Jean Danielou, et Heuri Marrou,Nouvelle Histoire de l'Eglise,t1(Paris: Editions du Seuil ,1963).
حيث قدم تحليلا وافيا في الجزء الأول للفرق النصرانية من عهد المسيح إلى القرن السادس الميلادي، ثم أكمل مابقي من القرن السادس إلى العاشر في الجزء الثاني.

وتناول هذه الجريدة من المحاور يحتاج إلماما بمجمل ردود القاضي عبد الجبار على النصارى خاصة، وبمؤلفاته عامة.

**ب.أسباب إختيار البحث:**

تعرضت لعبد الجبار دراسات حديثة، اشتغلت بكلامياته وأسسها المعرفية، وأغفلت مجهوداته في الرد على النصاري، ونستثني من ذلك بعض الدراسات التي اهتمت بها عرضا، ولم تكشف أعماق منهجه وأدواته التحليلية، فالدكتور **عبد المجيد الشرفي**(١) والدكتور **غي مونو**(٢) والدكتور **عبد الستار الراوي** (٣) كلهم أشاروا لردوده على النصارى دون أن يفردوه ببحث مستقل، كما أن هذه الدراسات قد أهملت جوانب كثيرة من ردود القاضي، خاصة وأنهم لم يفيدوا من كتابه **تثبيت دلائل النبوة**(٤)، والذي هو بحق نموذج فريد في الطرح. كما أنهم اهتموا بردوده دون إلتفات إلى أسسه المنهجية وضوابطه النقدية.

وإذا كان لكل بحث أهدافه، فإن الباحث قد توخي من بحثه أهدافا عامة وأخرى خاصة، كما يلي:

**١.الأهداف العامة:**

رغم أهمية **علم الأديان** على المستويين المعرفي والديني، وحتى على المستوى السياسي، إلا أن هذا الميدان لم يهتم به في العالم الإسلامي، فلم تكتب فيه دراسات تحليلية تكشف عن منطلقاته وأدواته التحليلية، وتبرز مواقف التراث الإسلامي منه، وتبين مناهجه الموظفة في دراسة الأديان.

وهذا البحث يطمح إلى إبراز شيء من ذلك التراث في الرد على النصارى، ويرجع التركيز على النصارى إلى الأسباب التالية:

١. أن هناك نظرية حديثة في هذا الميدان ترى أن **المسلمين في ردودهم على النصارى لم يكونوا يدركون المعنى الحقيقي للعقائد النصرانية**، إذ هي - في رأيهم - تعبيرات مجازية عن حقائق غيبية إلهية متعالية، فكان أن تعامل المسلمون مع تلك التعبيرات على أنها حقائق، فانتقدوا ما لم يفهموه جيدا(٥)، ولايخفى أن هذه النظرية تسقط كل قيمة للردود الإسلامية(٦).

٢. رغم ما قيل حول مناهج البحث عند مفكري الإسلام، إلا أن كثيرا من المشتغلين

---

(١)عبد المجيد الشرفي ، **الفكر الاسلامي في الرد على النصاري الى نهاية القرن الرابع الهجري**، (تونس:الدار التونسية للنشر - الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ،١٩٨٦)

(٢)راجع:

Guy Monnot , " **Les Doctriues des Chretieus" Dans le 'Moghni' de ABD AL Jabbar**" Mideo,N° 16 (1983), PP. 9 - 30

(٣)الراوي ، **العقل والحرية** ، ص ص٣٦-٦٤.

(٤)راجع عرضه في الفصل الأول من هذا البحث.

(٥)راجع الشرفي ،**الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص ص ٢٤٦ - ٢٥٨ ، ٣٧٧ - ٤٠٤ .و

Monnot,**les doctrines des chretiens**.pp 9-30.

(٦)المصدران السابقان.

بالدراسات الكلامية عموما وبالأديان خصوصا ما زالوا يكررون **أن المنهج الذي اعتمده المفكرون المسلمون في تحليل الفكر النصراني هوالمنطق الأرسطي**(١)، وهو ما يسقط عنهم كل ابتكارية وخصوصية لمنهجهم في دراسة العقائد، وهذه الدعوى لم تفحص بعد.

٣. يكاد يتفق العلماء المحدثون على أن الدراسة العلمية للعقائد النصرانية لم تبدأ إلا مع القرن الخامس عشر مع شارلسون ثم اسبينوزا ورينان وغيرهم إلى عصرنا مع بيتلمان وفلهاوزن(٢)، وهو ما يرجع نشأة التاريخ النقدي للعقائد النصرانية إلى أحضان الحضارة الغربية. وكان **أن نسب اكتشاف نظريات علمية إلى غير أهلها، كنظرية المصادر البشرية في الكتاب المقدس، ونظرية أسطورية قصة المسيح الإنجيلية.**

٤. إن دراسة **الردود الإسلامية على النصارى ستمدنا بواقع تطبيقي للمنطلقات القرآنية في ميدان البحث والتفسير**، واستكناه هذه التجارب المعرفية في تعاملها مع نصوص الوحي المنزل واعتمادها له كنسق إبستيمولوجي، وموظفة ما أمكن من أدوات معرفية، وهو خير عون لنا في محاولة إعادة هيكلة علم إسلامي للأديان.

**٢.الأهداف الخاصة:**

ويرمي هذا البحث من جهة أخرى إلى إيجاد الملمح العام الذي تشكل به رد القاضي عبد الجبار، والمناهج والطرق الدراسية التي وظفها في الرد. وقد اتضح من خلال عرضنا للمفهوم الإصطلاحي للمنهج أنه لا سبيل إلى ذلك ما لم نحط علما بالنسق الفكري العام الذي يحدد قيم وتقنيات الرد. وموقف القاضي عبد الجبار من النصارى يمكن أن نعده امتدادا للموقف العام للفكر الإسلامي منهم. علاوة على أن النقد يكشف عن خصوصية الموقف الاعتزالي منهم، بما له من أنساق مبرهنة وأدوات مميزة.

والباحثون المعاصرون يعدون القاضي عبد الجبار خلاصة الفكر الإعتزالي وقمة نضجه، إذ جمع النماذج الإعتزالية المختلفة، موفقا بينها ومرجحا، لتصير الإعتزاليات نموذجا موحدا(٣) **وقد تصدى لكل الأفكار والمذاهب والأديان التي تخالف الإعتزال بنهج مميز، ونفس فريد**، وهو ما يزكي إختيارنا هذا الموضوع للبحث.

وقد توفرت خصائص أخرى تجعل منه موضوعا جديرا بالدراسة، ومن ذلك مايلي:

١.أن القاضي عبد الجبار يمثل مرحلة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ أنها قد انقسمت إلى دويلات صغيرة، اعتلى فيها النصارى مناصب مرموقة، كما صاروا يشكلون خطرا خارجيا مع بيزنطة النصارى، فكان القاضي خير ممثل لتلك التجربة الإسلامية، فعايشها بأحاسيسه، وتقلد فيها مناصب عالية، فكان بذلك خير من يسمح له بالحديث عن تلك

---

(١) الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص ٢٤٦ -٢٥٨.

(٢)راجع: X Leon-dufour.,**les Evaugiles**, in encyclopeoeidia universalis , (Paris:E.U,1985),p818

(٣) الراوي، العقل والحرية، ص ص٢٠-٢٥.

المرحلة(١).

٢.يعد القاضي خاتمة علماء الإعتزال والوريث الشرعي لعقائدهم، فالبحث في فكره تجاه النصارى هوكشف عن الإعتزاليات عامة وموقفها من النصارى.

٣.أن ردود القاضي على الأديان عامة وعلى النصارى خاصة لم تدرس بعمق بعد، فلم يتعرض لها سوى قلة من الباحثين، فاستعرضها **الشرفي** في سياق عرضه ردود الفكرالإسلامي على النصارى، كما تعرض لها الأستاذ ' **غي مونو**' في دراسة له بشئ من السطحية وعدم التركيز.

وعلاوة على هذا، فإن نقص البحث المنهجي باللغة العربية في هذا الموضوع شجعني على اختيارهذا البحث، فلا تكاد تعثر على بحث في موضوعنا يحمل نفس العنوان أونفس التوجه، وهذا ما يزكي إقدامنا على هذا المشروع.

ولا أنسى هنا أن أذكر أفضال أستاذنا الدكتورعمارالطالبي، فقد أشاد بردود القاضي وإبتكاريته، رغم أنها لم تحظ بدراسة علمية، وفي ذلك تشجيع على اختيار هذا البحث(٢).

**ج.صعوبات البحث:**

صادف هذا البحث صعوبات كثيرة، نعدد منها صعوبات لغوية وأخرى فكرية، وأيضا منهجية وتوثيقية، وهو ما زاد الطرح المنهجي صعوبة، وتفصيلها كما يلي:

١.**الصعوبات اللغوية**: أول ما يثير الانتباه في كتابات القاضي عبد الجبار الردية أنها كتابات إملائية، فلم يكتب "**المغني**" أو"**الأصول الخمسة**" أو"**المحيط**" كتابة، ولكنه أقاها إملاء على تلامذته سنين متواليات، وهو ما جعلها ذات خصائص كتابية وأسلوبية مميزة، فيظهر فيها الاستطراد والتكرار والأسلوب الكلامي الجاف، ويغلب عليها التعقيد والتقعيد، وهو ما يجعل مهمة النقد والتحليل شاقة، ولا نستثني من كتبه سوى"**تثبيت دلائل النبوة**"، فقد نهج فيه نهج الأديب البليغ، فكان آية في الطرح والبلاغة.

أضف إلى هذا، ضعف التحقيق والأخطاء الفادحة في سياقات النصوص من تغير وتبديل، وهو ما زاد البحث عناء(٣).

٢.**الصعوبات الفكرية**: تظهر في عدم وجود ترتيب لردود عبد الجبار على النصارى، فالمبحث الواحد يتناول فيه الإلهيات والتجسد والشرائع النصرانية،وغير ذلك، وهو ما يجعل مهمة القراءة والتصنيف صعبة للغاية، وتحتاج حذرا خاصا.

٣.**الصعوبات التوثيقية** : لا يقل التوثيق صعوبة عن ماسبق، فالدراسات المتعلقة بالرد على النصارى جد محدودة باللغة العربية وأيضا بالفرنسية والإنجليزية. أضف الى هذا عدم وجود دراسات أكاديمية كافية حول هذا الرجل، نستطيع على ضوئها أن ننظر نظرة شمولية إلى فكره. وأما ما يتعلق بنصارى القرون الوسطى، وبنصارى العالم الإسلامي في

---

(١)آدم متز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري-ترجمة عبد الهادي أبو ريدة،ط٤،(القاهرة:مكتبة الخانجي،١٩٦٧)،ج١،٨٧.

(٢)عمار طالبي، مقدمة كتاب، محمد أبوزهرة، محاضرات في النصرانية،( الجزائر: دار الشهاب للنشر والتوزيع، ١٩٨٩)، ص١-٢٠.

(٣)راجع: Monnot,**les doctrines des chretiens**,pp 9-30

القرون الهجرية الأولى فلا تكاد تجد في ذلك بحثا باللغة العربية، ولا ننسى هنا الصعوبة التي لاقاها البحث في توثيق الآيات الإنجيلية التي استدل بها عبد الجبار، إذ أن الترجمة التي اعتمدها اندثرت، والترجمة الحديثة تختلف عنها في الألفاظ والتعابير، فاحتاج ذلك تدقيقا وصبرا.

وكل هذه العوامل أدت إلى السعي الجاد بحثا عن مادة علمية مقبولة، وألزمنا ذلك السفربحثا عن مراجع بالعربية أوبالفرنسية أوالانكليزية، وأنا مدين في ذلك إلى السلطات الكنيسية بالجزائر وتونس، وأخص بالذكر الأب فيليكس تليتشيا الذي قدم لي يد المساعدة في التوثيق، والسادة القائمين على مكتبة الآباء البيض بتونس، فقد منحوني كل ما من شأنه أن يساعدني على البحث، كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء المركز العالمي للفكرالإسلامي بواشنطن، وأخص بالذكر الدكتور محي الدين عطية، بما منحه لي من مصادر ومراجع.

ومهما يكن من أمر، فقد أمكن تذليل هذه الصعوبات بالتتبع المتأني لكتابات القاضي والإستعانة بكل ما من شأنه أن يساعدني على ذلك.

**د. الإجراءات المنهجية :**

لما كان (**منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى**) يعني جملة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها رد عبد الجبارعلى النصارى بلوغ الحقائق المتوخاة، اقتضى ذلك تحديدا دقيقا لخطة البحث والمناهج الدراسية الموظفة والمصطلحات المستخدمة.

**١ – خطة البحث:**

لا يمكننا بحال أن نفصل بين منهج ما وشروطه المعرفية والإجتماعية، إذ تزيده وضوحا، ولذا توخينا في تحليلنا لمنهج القاضي في الرد على النصارى عدم الفصل بين المنهج وسياق التطورالنقدي، وبينه وبين المجتمع الذي أنتجه، وبينه وبين كاتبه، وهوما يسمح لنا باعتبار المنهج والمعرفة والمجتمع والشخصية أربع وحدات أساسية لبحثنا، ويفرض علينا تحليلا للعناصر التالية :

أ – **فمن جهة**، سنحلل السياق القرآني في مواقفه مع العقائد النصرانية بخصوصياته المنهجية، إذ يرجع إليه الأمر في تقرير كثير من منطلقات الردود الإسلامية على النصارى –كما سيتوضح لنا في الفصول القادمة–، وهو ما نقترحه **تمهيدا للبحث**.

ب – **ومن جهة أخرى**، فإن رد عبد الجبارعلى النصارى قد تكون في ظروف تاريخية–إجتماعية، والتي كانت مهدا لتكون خصوصياته. والكشف عن ذلك هو كشف عن دوافع الرد وأغراضه ووظائفه التاريخية.

ومهما يكن، فإن للقاضي ما يميزه عن غيره من الباحثين، وخصائص حياتية تجعل منه نموذجا مميزا، فكان البحث عن عصره وترجمته وثقافته، وعرض مؤلفاته في الرد على النصارى، وهذا ما نقترحه **فصلا أولا**.

**ج – ومن جهة أخرى**، سنقدم على دراسة استكشافية لنصوص ردود عبد الجبار بحثا عن طبيعة المنهج بمفهومه السابق الذي عرفناه به، فنبرز أسسه ومقوماته وأدواته التحليلية، **وهو ما نجعله فصلا ثانيا.**

**د – ومن جهة أخرى**، سنحلل مجهودات عبد الجبار النقدية ونتائجه في الرد النصارى، وقد اقتضى ذلك ثلاثة فصول نقدية؛

فيهتم **الفصل الثالث** بتناول **رد عبد الجبار على مصادر الدين النصراني**، فيستعرض مصادر الدين النصراني كما عرفها وتناولها ، ثم يوضح المداخل النقدية التي وظفها في نقدها.

وأما **الفصل الرابع**، فقد اهتم بتناول **منهج عبد الجبار في الرد على الإلهيات النصرانية**، فيستعرضها، ثم يحلل ردوده عليها.

وفي **الفصل الخامس**، سنهتم بدراسة **منهج عبد الجبار في الرد على المسيحولوجيا النصرانية**، أو العقائد النصرانية المتعلقة بالمسيح، فنستعرضها، ثم نبين ردوده عليها.

**ثم خاتمة**، نستعرض فيها نتائج البحث.

**٢. مناهج الدراسة:**

لا تتم المعالجة النقدية إلا بتوظيف مناهج دراسية، ويبدو أن أليقها بموضوعنا هي **ما يلي:**

١.**المنهج التاريخي:** يفيدنا في جمع المعطيات الخاصة بالظرف التاريخي الذي تكون فيه الخطاب، وكما يساعدنا في جمع المعطيات الخاصة بالقاضي عبد الجبار، وسيكون ذلك مدعما بالدراسات التاريخية التحليلية.

٢.**المنهج المقارن:** إذ يحتاج التقييم الأمثل للجهد النقدي مقارنة بغيره من الجهود، بحثا عن الإبتكارية والخصوصية، وهو ماسنبثه في جزئيات من العرض والنقد.

٣.**منهج تحليل المضمون:** فنفيد منه في الكشف عن شبكة المقولات والمنطلقات والحقول الدلالية التي تتحكم في النص وتؤسس لا شعوره وأنظمته الدلالية.

**٣.المصطلحات الموظفة:**

يحسن بنا قبل أن نبدأ في التحليل النقدي أن نبين المصطلحات الجديدة التي تم توظيفها في البحث بدلالة جديدة، هي مايلي:

١– **الإلهيات:** وظف هذا المصطلح مرات، فإذا أسند إلى النصرانية فإنه ترجمة للمصطلح اللاتيني(Theologia)، والذي يعني مقالات النصارى في الله والتوحيد، وما يتعلق به، كالقول بالجوهر والأقانيم الثلاثة والعلاقة بينهما، ونظريات الفرق النصرانية المختلفة في الإلهيات.

وإذا ورد مسندا إلى النصرانية من غير تخصيص بفرقة ما فإنه يدل على إلهيات جميع الفرق النصرانية. أما إذ اقترن باسم فرقة معينة فإنه يدل على إلهيات تلك الفرقة خاصة.

٢ – **المسيحولوجيا:** استحدث هذا المصطلح ووضع كترجمة للمصطلح اللاتيني(Christologia)، والذي يقصد به العقائد المتعلقة بالمسيح عليه السلام وطبيعته وحقيقته. وإذا أسند هذا المصطلح إلى القرآن، فإن المراد به موقف العقائد القرآنية من المسيح. وأما إذا اسند

إلى النصارى من غير تقييد بفرقة ما، فإنه يدل على مسيحولوجيا كل الفرق النصرانية، وأما إذا أسند إلى فرقة نصرانية خاصة، فإن المراد به عقائد تلك الفرقة في المسيح.

٣ – **المسيحية**: لستخدم هذا المصطلح للدلالة على عقائد المسيح ودينه المنزل عليه كما ورد في القرآن.

٤ – **النصرانية**: ويدل هذا المصطلح على العقائد النصرانية التي تكونت بعد المسيح، ولهذا فقد يرد مقرونا بالتاريخية، وهو بذلك يفرق عن مصطلح المسيحية السابق. ويشمل هذا المصطلح جميع عقائد الفرق النصرانية. إلا إذا اقترن بتخصيص، كقولنا النصرانية الملكية، أو النسطورية، أو غير ذلك، فإنه يدل على نصرانية تلك الفرقة خاصة.

ونعتقد أن هذه الإجراءات المنهجية كافية لخوض غمار منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى واستكناه مغلقاته.

ولا يفوتني الآن أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور بشير بوجنانة الذي تحمل أعباء الإشراف على هذه الرسالة، كما أتوجه بخالص الشكر إلى الدكتور أنيس جميل طبارة الذي كان لي أبا عطوفا ومعلما مرشدا. والذي فتح أمامي آفاق البحث، وكم تمنيت أن يرى البحث بعد استكماله. كما أتقدم بالشكر إلى السلطات الكنسية بالجزائر وتونس، فلهم جزيل الشكر على ما قدموه لي من مراجع. ولا أنسى أن أشكر برهان بسيس، ووالدته الفاضلة، بما قدموه لي من عون طيلة إقامتي بتونس.

كما أشكر نورالدين معمري، وسامعي ادريس على إعاناتهم المديدة، وعماربلقاضي الصديق الوفي على متابعاته المتأنية لخطوات البحث.

**وقبل كل هذا وذاك أسجد شاكرا لله رب العالمين على فتوحاته وعطاءاته الفياضة وإعاناته التي أكملت بها هذا البحث، وفتح لي آفاقا ما كنت أعرفها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# تمهيد

## منهج
## القرآن في الرد على النصارى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صنفت الحضارة الإسلامية الرد على النصارى في إطار معرفي واحد مع باقي ردودها على الأديان الأخرى، وهو ما عرف بأسماء مختلفة؛ منها علم الكلام، وعلم مقالات غير الإسلاميين، وعلم الملل والنحل، وسمي أيضا بعلم الردود، ويضاهي في وقتنا الحاضر علم الأديان.

وللرد الإسلامي على النصارى أهداف، نوجزها فيما يلي:

١ - فمن جهة، هو دفاع عن التصورات القرآنية والإسلامية بخصوص الإلهيات والمسيحولوجيا، إذ أن القرآن قد أعطى تقريرا كاملا حول الإلهيات، وأبان عن تصور كلي حول النصرانية التاريخية.

٢ - ومن جهة، أخرى هو مشروع هجومي على معتقدات النصارى في كل ما تختلف فيه مع المفاهيم القرآنية، بغية نقدها وتقويمها لتسهل دعوة معتنقيها بعد ذلك(١). وهذا يجعلنا نقول إن الرد على النصارى هو علم مخاطبة النصارى، ودعوتهم إلى العقائد الإسلامية.

والفكر الإسلامي في رده على النصارى مدين بتصوراته الأساسية حول النصارى وعقائدهم للقرآن الكريم، إذ منذ بداية نزوله على النبي عليه الصلاة والسلام بدأت تتضح المفاهيم الأساسية والتصورات الخاصة بالدين الجديد، وخالف في ذلك الأديان السائدة آنذاك. وأوضح موقفه المعرفي منها، وحدد كيفية التعامل معها، وقد حظيت النصرانية من ذلك التوضيح بنصيب وافر من العهد الأول، فوردت آيات بخصوص المسيحولوجيا في العهد المكي، ثم تلا ذلك توضيح أعمق في العهد المدني، إن في الجانب المعرفي، وإن في كيفية التعامل معها(٢)، وحول هذه الآيات تكونت مجموعات تفسيرية تبرز المسيحولوجيا القرآنية، ثم تبلورت لتصير دراسات إسلامية متخصصة، لها تقنياتها الاستدلالية وفرضياتها المنهجية وأدواتها التحليلية.

---

(١)عضد الدين الإيجي ، المواقف في علم الكلام ، (بيروت: عالم الكتب ، د ت)، ص١١.

(٢)الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، من ص١١٤-١٢١، حيث أعطى دراسة تقويمة إحصائية لهذه الآيات، تبعا لنزولها.

وأول ما يلفتنا في موقف القرآن من النصرانية اعترافه بها وباليهودية كديانات سماوية، مصدرهما **الوحي الإلهي**، ثم لم تلبثا أن تغيرتا بفعل **التحريف والتبديل**، فهويقر أن هناك دينا قد أنزل في مرحلة تاريخية معينة على النبي عيسى عليه السلام، وهو الذي يعده النصارى واضعا لدينهم، ولكن هذا لم يعدم من وجود اختلاف كبير بين التصورين القرآني والنصراني حول عقيدة المسيح(١).

والقرآن أولى أهمية خاصة لحياة المسيح عليه السلام، وإعادة سرد أحداثها، وخصها بإيضاح، وهو يخالف في ذلك -كما سنرى- جملة تصورات النصارى حول حياته عليه السلام، كما اهتم بالرد على معتقداتهم فيه.

والرد القرآني على النصارى يكشف عن عنصرين جديرين بالدراسة، وهما:

١. **أسس المنهج القرآني في الرد على النصارى.**
٢. **نتائج النقد القرآني للعقائد النصرانية.**

## المبحث الأول:

# (أسس)
# المنهج القرآني في الرد على النصارى

عرفنا المنهج -سابقا- بأنه(**مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم، بلوغ الحقائق المتوخاة، مع إمكانية تبيانها والتحقق منها**)، وهو ما يفترض أن العملية المنهجية تعتمد على ثلاثة أنشطة متكاملة؛ عمليات ذهنية، وأهداف متوخاة، وطرق دراسية. وتحليل كل هذه العمليات سيجعلنا نخرج عن القصد الذي توخيناه، ولذلك سنهتم بالمطالب التالية:

١. **الأسس المعرفية لمنهج القرآن في الرد على النصارى**
٢. **الضوابط الإبستيمولوجية لمنهج القرآن في الرد على النصارى**
٣. **قيم ومسلمات منهج القرآن في الرد على النصارى**
٤. **مناهج القرآن في الرد على النصارى.**

---

(١) راجع: محمد أبوزهرة: محاضرات في النصرانية، (الجزائر، دار الشهاب،١٩٨٦)، ص ص٨٣-٩٧

## المطلب الأول:الأسس المعرفية لمنهج القرآن في الرد على النصارى

كشف التعامل القرآني مع العقائد النصرانية عن وجود أسس معرفية معتمدة في النقد والرد، فتعرضه لها في آيات مختلفة إقرار بإمكانية المعرفة عموما والمعرفة الدينية خصوصا، وهو ما يسمح بالخوض في القضايا العقدية والكلامية، والبحث عن أدواتها الاستدلالية.

وبالإستقراء لنصوص المسيحولوجيا القرآنية يتضح أن القرآن قد وظف في مناقشاته للنصارى مصدرين استدلاليين، وهما:

١. العقل

٢. الوحي

### أولا: العقل

تكشف معالجة القرآن النقدية للعقائد النصرانية عن اعتماد صريح على العقل، وهو مايجعلنا نؤكد ثانية أن القرآن يعتمد مبدأ إمكانية المعرفة العقلية، فالقرآن الكريم يرفض أن يكون لله ولدا، بناء على دلالة الإلتزام، كما في قوله تعالى:﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١)، إذ العلاقة بين الابن والصاحبة علاقة تلازم، فلو قلنا إن لله ابنا، فالدلالة تقضي بوجود صاحبة له أيضا، وهو ما يرفضه النصارى، فيلزمهم بناء على ذلك رفض كون الابن لله، وهو ما يكون عقيدة مقبولة لدى المسلم، ونقدا منهجيا للنصارى.

### ثانيا: الوحي

لسنا بحاجة الآن إلى إثبات تأكيد القرآن على الأهمية المعرفية للوحي والنبوة، إذ أن ذلك مسلم من كل النقاد المسلمين، فيكفي لتحقيق معرفة ما أن يعتمدها الوحي. **والوحي يشمل القرآن وغيره من الكتب المقدسة المنزلة على الأنبياء غير المحرفة**، وجميعها تتفق في العقائد والأحكام النظرية، كتوحيد الله، والأمر بعبادته. وقد تختلف في الشرائع العملية، وهو مايعنيه قوله تعالى:﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى،أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَتَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَعَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾(٢).

والأقوام التي أنزلت عليها الكتب المقدسة مطالبة بالرجوع إلى أحكام الوحي لتعرف الحق من الباطل، كما في قوله تعالى :﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٣)، ويقول أيضا:﴿ **وَلَوْأَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ، لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾(٤).

---

(١)سورة الأنعام، آية ١٠١.

(٢)سورة الشورى ،آية ١٣

(٣)سورة آل عمران ، آيات ٩٣-٩٤.

(٤)سورة المائدة،آية٦٦.

وهذا التقرير القرآني حول ماهية عقائد الأنبياء الأوائل يسمح بأن نعيد بناء عقائد الكتب المقدسة المنزلة قبل القرآن، اذ جميعها تشترك وتتفق مع عقائد القرآن؛ **فعقيدة القرآن هي عقيدة الأنبياء والكتب المنزلة من قبل**، وهو يسمح لنا بالمقارنة المنهجية بين العقائد القرآنية وعقائد الكتب المقدسة الحالية، ويطرح إشكالية المفارقات العقدية بينهما، إذ أن كل اختلاف يحتاج شرحا وتعليلا، وقد شرح القرآن تلك المفارقات **بنظرية التحريف**، فالكتب المقدسة الحالية،التوراة والإنجيل قد اعتراها تحريف وتبديل، وهو ما عناه قوله تعالى:﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾(١).

## المطلب الثاني:الضوابط الإبستيمولوجية لمنهج القرآن في الرد على النصارى

اعتمد القرآن في رده على النصارى على عدة ضوابط ابستيمولوجية، وهي:

١. **الاعتراف القرآني بوجود أديان أخرى.**
٢. **الطبيعة المعرفية للرد على النصارى في القرآن**

**١. الاعتراف القرآني بوجود أديان أخرى.**

إن التصورات القرآنية تعتمد على مبدإ:﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾(٢)، ومبدأ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾(٣)، وهو ما يمدنا بمفاهيم وتصورات تجاه الأديان الأخرى، فالقرآن لا يعترف بالأديان الأخرى ولا يرى لها مشروعية وجود، فما الدين إلا الإسلام، وما هذه الأديان إلا مظاهر من الشرك والتحريف. وقد أتبع ذلك توضيحا وتحديدا لكيفية معاملتها، سواء على المستوى الإجتماعي، كما في قوله تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ، أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(٤)؛ أو على المستوى المعرفي والعقائدي، كما في قوله تعالى:﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٥).

**ثانيا: الطبيعة المعرفية للرد على النصارى في القرآن**

من مقاصد القرآن إبانة التاريخ الديني للبشرية، فقد تحدث عن نشأة العبادات الوثنية مع قوم نوح، واتخاذهم الأصنام آلهة، وتحدث عن تاريخ الأنبياء ودعواتهم، ومالاقوه من مصاعب، وكيفيات وقوع الابتداع، وخلفياته النفسية والاجتماعية والمعرفية(٦).

وتعامل القرآن مع قضايا الدين النصراني، كان وفق تصورات إبستيمولوجية جديرة بالدراسة، فقد تناول العقائد النصرانية بطريقتين متكاملتين، وهما:

---

(١)سورة المائدة،آية١٣.
(٢)آل عمران، آية١٩.
(٣)آل عمران، آية٨٥
(٤)سورة الممتحنة، آيات٨.
(٥)سورة النحل، آية ١٢٥
(٦)سورة نوح.

١ – الطريقةالآنية:

وتمتاز هذه الطريقة بالنظر إلى النسق العقدي دون التفات إلى الجانب التاريخي النقدي منه، والتركيز على **نقد تماسك العقائد الداخلي**، كقوله تعالى:﴿ **وَلاتَقُولُوا ثَلاثَةٌ، انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾(١)، فالآية نقد لعقيدة التثليث، ولتماسكها فحسب، وهو ما يجعل من الرد موضوعا كلاميا، ويدرس دراسة منطقية.

٢ – الطريقة الزمانية:

وهى النظرة التاريخية التى تهتم بعنصر الزمن فى النقد، وإبراز الجانب التاريخى من الفكر، كما فى قوله تعالى:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(٢)، وما يثير الإنتباه فى هذه الآية إقرار القرآن بوجود الفكر الإنسانى فى العقائد اليهودية والنصرانية، وهوما يعطى توجها آخر للرد على النصارى، وتجعل الطبيعة المعرفية له مغايرة للطريقة الأولى التى توظف النظرة الآنية، وتجعل من الرد **بحثا عقديا كلاميا**؛ فتوظيف الطريقة الزمانية يجعل الموضوع بحثا تاريخيا نقديا للعقائد.

## المطلب الثالث: قيم ومسلمات منهج القرآن في الرد على النصارى

ثمة قيم ومسلمات وظفها القرآن في الرد على النصارى، والكشف عنها يعين على فهم أشمل وأفضل للنسق الفكري الذي يؤسس هذا النقد. وهذه القيم هي الأهداف التي من أجلها شرع النقد القرآني للنصارى.

والتتبع الدقيق للقصص القرآني عامة يكشف عن تصورات خصائص سردية؛ فالقصة لم تذكر بغية ترف تاريخي، بل تهدف إلى مقاصد عقدية ودينية(٣). وقصة عيسى عليه السلام هي من هذا القبيل، إذ لم تورد كل الأحداث مستخدمة تقنيات الحذف، للوصول إلى مقاصد عقدية، وإثبات قيم، وأهمها مايلي:

**١ – التوحيد.**

**٢ – المسيحولوجيا القرآنية.**

**٣ – الإعجاز.**

---

(١)سورة النساء، آية ١٧١

(٢)سورة التوبة ،آية ٣٠

(٣)راجع:عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء في القرآن الكريم،(الجزائر: مكتبة رحاب،دت) ص ص١–٢٠.

## أولا: التوحيد

وهو أهم مقصد قرآني، فقد تأسس عليه القرآن كله، والتوحيد صفة إلهية توجب لله عدم المثلية، كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١)، وللتوحيد اعتبارات مختلفة؛ فمنه توحيد ذات، ومنه توحيد صفات، ومنه توحيد أفعال.

وحضور التوحيد في النقد القرآني للنصارى واضح في آيات كثيرة، ومنها ما يلي:

١ – يقول تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، فالأمر كله لله، وما المسيح إلا عبد من عباده.

٢ – ويقول:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ، انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾(٣)، فالتوحيد يقتضي تعاليه تعالى عن الولد.

٣ – ويقول أيضا:﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤)، فمنطوق الآية يفيد تعاليه تعالى عن الولد، لتنافي ذلك مع مقتضيات الألوهية؛ فالتوحيد أساس مسيحولوجيا القرآن.

## ثانيا: المسيحولوجيا القرآنية

تعرض القرآن لكثير من مشاكل المسيحولوجيا وقضاياها، ومن ذلك ما يخص المشهد الاجتماعي الذي ولد فيه النبي عيسى المسيح، يقول تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا، فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٥)، فهذه الآيات تصور الوضع التاريخي الذي نشأ فيه المسيح، وهو المهد الأول لميلاده،و فيها تلميح إلى بعض أحوال الوضع الإجتماعي الذي سيولد فيه السيد المسيح، و من مظاهر ذلك مايلي:

---

(١)سورة الاخلاص.
(٢)سورة المائدة،آية ١١٧
(٣)سورة النساء،آية١٧١.
(٤)سورة الأنعام ،آية١٠١
(٥) سورة آل عمران ،آية ٣٣-٣٧.

١ – أن أم السيد المسيح مريم عليها السلام قد ولدت في جو ملؤه الطهر والنسك والعبادة، إذ نذرت أمها أنها إن ولدت ذكرا، بذلته للهيكل، فلما كانت أنثى، وفت بنذرها، وكلها قرائن تاريخية تدل على ورع المهد العائلي التي تربت فيه

٢ – تمت كفالة وتربية أم المسيح بالهيكل وبرعاية زكريا الرجل الصالح، وفيه تربت على العبادة والنسك، برعاية النبوة والوحي الإلهي.

٣ – أن أم المسيح كانت عابدة ناسكة في ذلك الهيكل، حتى ظهرت عليها كرامات –بالمفهوم الكلامي–.

وجو كهذا، سيكون له أبلغ الأثر في تربية الولد المنتظر، المسيح عيسى، ويدفع كل اتهام عن أمه بالفاحشة.

ويوضح القرآن الحالة الوجدانية للسيدة مريم قبيل ميلاد المسيح، فيقول:﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ.ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾(١)، وهو ما يؤكد أن مريم كانت قبيل ميلاد المسيح عليها السلام متحلية بقيم عالية وصفاء روحي سام. ثم لا يلبث أن يتوضح لها حقيقة اصطفائها من بين نساء العالمين، فتُخبر أنها ستصير أما للمسيح، يقول تعالى:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٢). فمريم العفيفة تتساءل عن كيفية إمكان حمل من غير أب، فتقول:﴿ **رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾(٣)، وقد تميز هذا العرض بكثرة الحذف؛ إذ أن تلك الإشارات التاريخية كانت مربوطة بمقصد ديني، وهو ما يكشف عن الخصائص الفنية والتاريخية لقصة عيسى القرآنية في إبراز المقصد العقدي.

ثم لا يلبث أن يتحقق ما وعدت به السيدة مريم أم المسيح، ويتوضح لها كيف يكون الولد من غير أب، يقول تعالى:﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾(٤)، فالخلق من غير أب هين على الله، بل إن ذلك هو معجزة عيسى عليه السلام.

وتتم ولادة السيد المسيح من غير أب، بنفخة من الملك في مريم عليها السلام، يقول تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾(٥)،

---

(١)سورة آل عمران، آية ٤٢-٤٤

(٢)سورة آل عمران،آية٤٥-٤٦

(٣)سورة آل عمران،آية٤٧.

(٤)سورة مريم،آية١٦-٢١.

(٥)سورة النساء،آية ١٧١.

وهو ما يضفي على المسيح أربعة معان متكاملة:

١ – الآدمية

٢ – الكلمة

٣ – الروح

٤ – الرسولية

١ – الآدمية

أول ما تصرح به الآيات القرآنية تجاه المسيح عليه السلام أنه عبد الله، ولا مجال للتصور بأنه إله، أوأن الله اتحد به، أو أنه ابن الله، يقول تعالى:﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾(١)، ويقول:﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(٢)، ويقول أيضا:﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، آتَانِيَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(٣)، ويقول أيضا:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٤)، وكلها آيات تقر بأن عيسى عبد الله لا غير.

والآدمية أهم ما يفرق بين الموقف القرآني والموقف النصراني، إذ أن النصارى يعتقدون أن المسيح فيه اللاهوت وفيه الناسوت، وهما متحدان أبدا، **والقرآن بإقراره لآدمية المسيح وبشريته يجعل من المحال تصور إلهيته**، رغم أنه ولد من غير أب.

٢ – الكلمة

إن ميلاد السيد المسيح كان معجزا، وقد كان ذلك بالكلمة، كما في قوله تعالى:﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾(٥)، وقوله تعالى:﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾(٦)، فأطلقت الكلمة على المكون، والمراد بالكلمة هو **كلمة التكوين** التي يشرحها قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا، أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٧)، وقوله معقبا على قول مريم عليها السلام:﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا، فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٨). وإطلاق الكلمة على عيسى عليه السلام مشهور بين أعلام الصحابة، كابن عباس ومجاهد وقتادة، وسبب ذلك (**أنه وجد بكلمة 'كن' من غير توسط سبب عادي، فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر**)(٩)، إذ أن ولادته تمت من غير أب؛ فأمره عجيب، وبذلك صار مظهرا

---

(١)سورة النساء، آية١٧٢.
(٢)سورة المائدة ،آية٧٢.
(٣)سورة مريم،آية.٣٠
(٤)سورة الزخرف،آية٥٩.
(٥)سورة النساء،آية ١٧١
(٦)سورة آل عمران، آية٤٥.
(٧)سورة يس،آية٨٢.
(٨)سورة آل عمران، آية٤٧.
(٩)شهاب الدين الألوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،( بيروت: دار الفكر،١٩٨٣)،ج٣،ص١٤٧.

من مظاهر عظمة الله، يقول الألوسي:(وإطلاق الكلمة على من أطلقت عليه باعتبار أنه خلق من غير واسطة أب، بل بواسطة كن فقط، على خلاف أفراد بني آدم، فكان تأثير الكلمة في حقه أظهر وأكمل)(١).

٣ – الروح

تطلق الروح في كلام العرب على النفخ، ومنه قول ذي الرمة:

وقلت له ارفعها إليك وأخيها بروحك واقتت لها قبئة قدرا(٢).

ويعني بروحك: بنفخك.

وقد وردت آيات تصف المسيح بالروح، يقول تعالى:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(٣)، وقال أيضا:﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا، وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٤)، والقصد بروح الله: نفخة منه، وقوله﴿مِن رُّوحِنَا﴾ تشرحه الآية الثانية التي سبق ذكرها(٥)؛ فالنفخ كان من جبريل، ولذا نسب إلى أنه روح من الله(٦).

٤ – الرسولية

والخاصية الرابعة للمسيحولوجيا القرآنية رسولية السيد المسيح، فالمسيح قد أرسله الله إلى بني إسرائيل كما في قوله:﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٧).والرسولية صفة مترتبة على عدد من الخصال التي اتصف بها عيسى ابن مريم، فقد كان:﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(٨)، وأرسل إلى بني إسرائيل، وخصه الله بمعجزات تظهر على يديه دلالة على صدق دعوته، يقول الله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٩).

ورسالة السيد المسيح هي واحدة من بين رسالات أنبياء أرسلهم الله إلى الناس، وأوصاهم بالتوحيد وبالصلاة والزكاة والعبادة، كما في قوله:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾(١٠)، ومضمون الرسالة التي جاء المسيح تشترك مع مضامين رسالات الأنبياء الآخرين في أمور كثيرة كالعقائد والأخلاق وغيرها، يقول

---

(١)المصدر السابق، ص١٦٠.
(٢)فخر الدين الرازي،التفسير الكبير مفاتح الغيب،(القاهرة:المطبعة المصرية، ١٩٣٨)،ج٦ص١١٨.
(٣)سورة النساء،آية ١٧١.
(٤)سورة الأنبياء، آية٩١.
(٥)سورة النساء، آية١٧١
(٦)أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري،جامع البيان في تفسير القرآن،(القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٢١هـ)ج٦ص٣٥.
(٧)سورة آل عمران، آية ٤٩
(٨)سورة آل عمران، آية ٣٩
(٩)سورة آل عمران، آية ٤٩
(١٠)سورة مريم ، آية ٣٠-٣٢.

تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١).

وتشترك رسالة المسيح مع باقي رسالات الأنبياء في الغاية، فما شرعت إلا لعبادة الله، يقول تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا، فَاعْبُدُونِ﴾(٢). ومهمة رسالة عيسى عليه السلام تكملة لما أتى به الأنبياء من قبل، يقول تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، فأكملت رسالة موسى عليه السلام، الذي وصف كتابه بأنه إمام، يقول تعالى:﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً. وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

والله خص بعض الأنبياء بكتب مقدسة أنزلت عليهم، وخص عيسى عليه السلام بالإنجيل، يقول تعالى:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ، وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾(٥)، ويقول أيضا:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ، وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٦).

والإنجيل لغة،لفظة يونانية مركبة من كلمتين "إيف"ومعناها الجيد أو السار، و"إنجليون"، ومعناها خبر؛ فيكون معنى الإنجيل " الخبر السار"(٧).

ويحق لنا أن نسأل عن سبب كون هذا الخبر سارا؟

وقد يكون التأويل الأرجح هو ما تذكره سورة الصف:﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(٨)؛ فالبشرى مضمونها قدوم نبي جديد.

## ثالثا: الإعجاز

وهو ثالث المنطلقات التي وظفها القرآن في الرد على النصارى؛ والإعجاز ظاهرة قرآنية مميزة، إذ أنه قد تحدى الناس مرارا على أن يأتوا بمثله أو بعشر آيات منه،أو بآية إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فما استطاعوا.

و لما كان التحدى القرآني للناس قد وقع بآية وبعشر آيات منه جاز لنا أن نقول إن الله قد تحدى الناس على أن يأتوا بمثل آيات قصة عيسى المسيح عليه السلام، إذ الإعجاز قد وقع بالقرآن كله لفظه ومعناه(٩).

---

(١)سورة الشورى ، آية ١٣

(٢)سورة الأنبياء ، آية ٢٥

(٣)سورة المائدة ،آية ٤٦

(٤)سورة الأحقاف ،آية ١٢

(٥)سورة آل عمران ،آية٤.

(٦)سورة المائدة ،آية ٤٨

(٧)راجع:تمهيد إنجيل لوقا-بشرى المسيح يسوع-،(بيروت: جمعية الكتاب المقدس المتحدة،١٩٩٢)، ص٢.

(٨)سورة الصف،آية٦

(٩)راجع:جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن،(بيروت:دار الفكر،١٩٨٦)،ج٢،من ص١١٦-١٢٥.

وما أثاره القرآن من مباحث حول المسيح وعقائد النصارى يمكن أن نستشف فيه ثلاثة مظاهر إعجازية جديرة بالتتبع، وهي:

**١ – المعرفة التاريخية**

**٢ – التكامل القصصي القرآني**

**٣ – النقد القرآني للنصرانية**

**١ – المعرفة التاريخية**

إن ما ذكره القرآن من آيات حول المسيحولوجيا، فيه ما يوافق الأناجيل، وفيه ما يخالفها، وهذه المعرفة التاريخية تشكل في ذاتها مظهرا مميزا للقرآن.

فعرض القرآن لعقائد النصارى وتفصيله القول فيها – بما كان العرب يجهلونه– يعد إعجازا، فقد أخبر بأنهم مثلثة ومجسدة ومحرفة للدين، ولم يكن عرض ناقل أو مقتبس، بل كان عرض محلل وناقد للعقائد كما هي في الحقيقة، لا كما يحسبها أهلها، وهوما أفحم به الرسول عليه السلام العرب والناس، إذ أنه (قد حكى حقيقة مذهبهم، ولم يكن من المجادلين ولا من المتتبعين، ولا ممن يقرأ الكتب ويلقى أهله من المتكلفين، ولا كانت مكة والحجاز إذ ذاك بلاد فيها شيء من هذا، فأنتشر هذا عنه صلى الله عليه وسلم، وفتش الناس عنه بعد ذلك، فوجدوا الأمر–كما قال وكما فسر– بعد الجهد وطول الاستقصاء في الطلب والتفتيش. وما أكثر ما تلقى منهم، فيقول: ما قلنا في المسيح إنه الله، ولا قلنا أن الله ثالث ثلاثة، ومن حكى هذا عنا فقد أخطأ وكذب؛ ليعلم أن **وقوف محمد صلى الله عليه وسلم على هذا إنما هو من قبل الله، وأن ذلك من آياته**)(١)، وما كان ذلك ليتأتى له إلا بالوحي والقرآن.

**٢ – التكامل القصصي القرآني**

تميزت القصة القرآنية بخصائص فنية و تاريخية مختلفة، ولقصة المسيح عليه السلام خصائص فنية تميزها عن قصته في الأناجيل. وتحليل كل خصائص قصة المسيح القرانية يقتضي منا بحثا قائما بذاته، ونكتفي بمسألة واحدة ندرسها، وهي **مسألة كلام عيسى في المهد**. والتي هي أهم معجزاته التي تفرد القرآن بذكرها، يقول تعالى:﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٢)، وهي المعجزة التي لا يؤمن بها النصارى، إذ يرون أن ذلك اختلاق من النبي عليه السلام.

وقصة مريم–كما ترويها الأناجيل– تكاد تتفق مع العرض القرآني إلا في جزئيات (٣). والسؤال الذي يبقى مطروحا على النصارى، إن مريم حينما جاءت بابنها تحمله، ثم

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة ج١، تحقيق عبد الكريم عثمان،(بيروت:دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٦٦) ص٩٢.

(٢) سورة آل عمران، آية٤٦.

(٣)راجع بخصوص المسيحولوجيا المقارنة بين القرآن والأناجيل:

أبو زهرة،محاضرات في النصرانية،ص ص٨٤-٩٨.

النجار، قصص الأنبياء، من ص ص٣٧٢-٤٦٥.

قالت إنه نبي من الله، فلماذا لم يتهمها المجتمع بالفاحشة آنذاك؟ ولماذا لم يقم عليها اليهود حد الفاحشة، علما أنهم كانوا يستطيعون ذلك؟(١).

والأحداث التاريخية التي ترويها الأناجيل عن المسيح لا تمنحنا تفسيرا مقبولا لذلك، بل تجعلنا نفترض وجود عنصر ناقص، دعم موقف السيدة مريم عليها السلام من لحظة ميلاده، وجعل اليهود يحجمون عن التفكير في إقامة الحد عليها واتهامها.

وكلام عيسى في المهد الذي أورده القرآن هو خيرعنصر تتوفر فيه تلك الصفات، فما أحجم اليهود عن إقامة الحد عليها إلا لما أبهروا بكلامه. وهو ما يجعلنا نحتار في الظاهرة القرآنية، خاصة وأن صاحبها لم يكن من الدارسين، ولا من المخالطين لأهل النصرانية، والعجب أكبر إن علمنا أن هذا العنصر لم تعرفه النصارى، وهو ما يمنح بعدا آخر للوحي والنبوة(٢).

٣ – النقد القرآني للنصرانية

تؤكد الدراسات المسيحية المعاصرة على وجود بعد بشري في العقائد النصرانية، ولم يعتمد هذا الموقف النقدي إلاحديثا، وبعد دراسات بدأت مع القرن السادس عشر على أيدي أعلام، كاسبينوزا ثم رينان،ثم مع بيتلمان(٣). وانتهت إلى نظريات ونتائج، وأبرزها مايلي:

١. وجود فكر إنساني في الكتب المقدسة النصرانية، حيث يقرر ذلك كل من اسبينوزا وفلهاوزن وغيرهم.

٢. أسطورية قصة المسيح كما ترويها الأناجيل، وصار مصطلح تفكيك أسطورة المسيح شائعا، كما صار معروفا أن معظم العناصر المسيحولوجية واللاهوتية النصرانية أسطورية، وضاربة في القدم الوثني، كالتجسد والتثليث والصلبة والتأليه، وغيرذلك(٤).

٣. كشفت الدراسات التاريخية المعاصرة عن وجود أصول وثنية قديمة في المسيحولوجيا والإلهيات النصرانية، كان لها دور فاعل فيها(٥).

فإذا عدنا إلى القرآن فإننا نجده قد سبق إلى تلك النظريات، بل إنه قد أعطى حلولا لتلك الإشكاليات التاريخية، إذ أنه استعرض النصرانية استعراضا آنيا عقليا، وبطريقة تاريخية ومقارنة، فحقيقة العقائد النصرانية غلو في الحكم والتقدير، كما في قوله تعالى:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَاتَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَاتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

(١)النجار،قصص الأنبياء،ص٣٨٥.
(٢)المصدر السابق.
(٣)راجع: dufour.,les Evaugiles, in encyclopeoeidia universalis ;p 818
(٤)شارل جيور،المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود،(بيروت: المكتبة العصرية، دت)،ص ص١٨١-٢٠٤.وأيضا: باروسلاف تشرني،الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري،(مصر:وزارة الثقافة،دت)، ص ص٢٠٦-٢١٥.
(٥)المصدران السابقان

رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾(١)، فيصرح بأن مقالة النصارى في المسيح هي غلو في التقدير.

ويرجع هذا الغلو -كما يبدو في القرآن -إلى أن المسيح قد ولد من غير أب. فتجد الناس ينادونه -في أول الأمر-ابن الله،لأنه لاأب له حقيقة، فأرادوا بذلك المجاز، ثم إن هذا الموقف ما يلبث أن يتطور ليصير المسيح ابن الله حقيقة، وساعد على ذلك وجود عناصر معرفية ساهمت في تدعيم **فكرة المسيح ابن الله**؛ فثمة **ثقافات الذين كفروا** سائدة في الشرق الأوسط، والتي انبنت العقيدة عندهم على تصور البنوة الإلهية، وهو ما ادعاه **اليهود القدامى لعزير**، فقالوا: هو ابن الله(٢). وأساطير **اليونان والرومان والمصريين القدامى والآشوريين** كلها مشبعة بما يضاهي معتقدات النصارى في المسيح(٣). وهذا التأثر هو الذي أشار إليه القرآني، يقول تعالى:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(٤)، فالاتهام بالمضاهاة صريح، وهو ما يجعلنا نقول إن القرآن يتهم النصارى بالمضاهاة والتأثر بالفكر الوثني القديم.

ورغم هذه الإشارات النقدية القرآنية، فإن الفكر الإسلامي تعامل مع هذه العقائد النصرانية لم يثره الجانب التاريخي والمقارن منها، وآثر المنهج الآني والدراسات الكلامية الجدلية، بإستثناء **القاضي عبد الجبار والعامري** -كما سيأتي -.

## المطلب الرابع: مناهج القرآن في الرد على النصارى.

إن القرآن قد وظف في الرد على النصارى ثلاثة مناهج أساسية، وهي:

**١ - المنهج العقلي**
**٢ - المنهج التاريخي النقدي**
**٣ - المنهج المقارن**

### أولا: المنهج العقلي

إن القرآن قد أعلى من قيمة العقل، وليس أدل على ذلك ككثرة الآيات التي تدعو إلى التفكير والتأمل، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن خصوصيات منهجه العقلي في التعامل مع العقائد النصرانية. يقول الله تعالى:﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ،وَلَمْ**

(١)سورة النساء،آية ١٧١.
(٢)سورة التوبة،آية ٣٠.
(٣)جبير، المسيحية، نشأتها وتطورها،ص ص٧٥-٩٩.
(٤)سورة التوبة، آية٣٠.

تكن له صاحبة، وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم﴾(١)، فالآية تدعو إلى التفكر في إشكالية الإبن -كما هي معروفة عند النصارى-، إذ لاشك أن الولد لا بد له من أم، هي صاحبة للأب، فلو قلنا إن لله ابن لاستلزم ذلك أن تكون له صاحبة، وهو ما يرفضه النصارى، وفي ذلك إبطال لعقيدة تأليه المسيح، وإقرار ضمني بكفاءة العقل وقدرته على حل المشكلات العقدية.

ويقول الله:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، سُبْحَانَهُ، بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كُل لَّهُ قَانِتُونَ﴾(٢)، فتثير الآية إستفهاما حول سبب اتخاذ الله الولد. فلماذا يتخذ الولد، وله ما في السموات والأرض؟ فحقيقة نسبة الولد لله إشكال عقدي، فلا يتخذ الولد إلا إذا كان محتاجا إليه، وهو ما يسلب صفة الغنى عن الله؛ والآية قد استخدمت العقل ودلالة الإلتزام لإبطال رأي النصارى.

ويقول في آية أخرى:﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ، انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾(٣)، فالآية في استدلالها على بطلان عقيدة التثليث تؤكد على التنزيه، فالله يخالف للحوادث، فهو الذي﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٤)، ولا يعقل أن يصدر عنه فعل الولد. وطرح القرآن كان بسيطا يعتمد على أوائل العقول من غير دخول في تقعيدات جدلية، ويعتمد على الفطرة البشرية، إذ أنه أراد أن يخاطب كل العقول البشرية.

## ثانيا: المنهج التاريخي النقدي

إن تعامل القرآن مع النصرانية لم يخل من نظرة زمنية،أو بالأحرى نظرة تاريخية نقدية، فقوله تعالى:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَتَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، وَلاتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(٥)، وقوله:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٦)، يبين أن قول النصارى في العقائد يخالف قول المسيح عليه السلام، فقد كان عليه السلام نبيا صالحا من أنبياء بني إسرائيل، وكان يقول:﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾(٧).

ومن هذا العرض نرى الفرق شاسعا بين عقائد النصارى وعقائد المسيح -كما

(١)سورة المائدة،آية ١٠١.
(٢)سورة البقرة،آية١١٦.
(٣)سورة النساء، آية ١١١.
(٤)سورة الشورى،آية١١.
(٥)سورة النساء، آية١٧١
(٦)سورة المائدة، آية٧٢
(٧)سورة مريم ،آيات ٣٠-٣٢.

يصورها القرآن-، وهو ما يجعلنا نتساءل عن الأدوار التاريخية التى أدت إلى وقوع هذا التغير ،إذ المسيح -كما يخبر القرآن- برىء من هذا التغيير، يقول تعالى:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(١).

والقرآن في كشفه عن هذا التغير**الذي طرأ على العقائد المسيحية** وظف الأدوات النقدية التالية:

**١. نقد الرواية**
**٢. نقد المضمون**

**١ – نقد الرواية**

اعتمد القرآن فى نقد الرواية على ضابطين، وهما:

**أ . نقد العدالة**
**ب. نقد الضبط**

**أ – نقد العدالة**

كما فى قوله تعالى:﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾(٢)، وقوله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾(٣)، وآيات أخرى كثيرة تشهد على حكم القرآن على عدالتهم، والطعن فى العدالة يلزم رفض كل رواية يمكن أن تصدر عنهم، ذلك أنهم ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾(٤).

**ب – نقد الضبط**

والضبط مقياس لمعرفة حفظ الراوي، وتشهد آيات كثيرة على قلة حفظ أهل الكتاب لكتبهم ، فتقول آية:﴿ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾(٥)، وتقول أخرى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٦)، ويقول أيضا:﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ**

---

(١)سورة التوبة،آية ٣٠.
(٢)سورة البقرة ،آية ٥٩
(٣)سورة آل عمران،آية١٨٧
(٤)سورة المائدة ، آية ١٣
(٥)سورة الانعام ،آية ٩١
(٦)سورة آلعمران، آية٩٣-٩٤.

اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً، فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾(١)، ونقد الضبط يلزم عنه رفض للروايات النصرانية وعقائدها.

٢ - نقد المضمون

ثانى محور نقدي قرآنى للعقائد عامة وللنصرانية خاصة نقد المضمون، وإن كان فى حقيقة الأمر لايمكن الفصل بين نقد الرواية ونقد المضمون(٢)، إذ أن الواحد منهما لا يقوم إلا بالآخر. والتتبع المنهجى للقرآن القرآن يكشف عن ضابطين وظفهما فى نقد مضمون كتب النصارى المقدسة، وهما:

أ. مخالفة العقل

ب. عدم الإتساق

أ - مخالفة العقل

إن القرآن دعوة صريحة لإستخدام العقل فى قضايا العقيدة، ويبدو ذلك جليا في آيات النصرانيات، يقول الله تعالى في التثليث:﴿ وَلاتقولوا ثَلاثَةٌ،انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾(٣)، فثمة رفض تام لعقيدة التثليث ورفض جملة أدلته الكتابية بدافع عقلى. فالأدلة الكونية والفطرية تدل على وحدانية الله، وتقتضى تنزيهه. والآيات التى ذكرناها فى استدلالات المباحث السابقة كلها تؤيد هذا التوجه، وما ذكرناه حول دلالة الإلتزام يصلح دليلا لتبيان إعتماد القرآن على العقل فى مناقشة المباحث العقدية النصرانية.

ب - عدم الإتساق

قال تعالى:﴿ لو كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٤)، فدلت هذه الآية على أن النص المنزل حقا، لايمكن أن يكون فيه اختلاف. فلاتعارض بين المعقول والمنقول الصحيح. وهذا المبدأ كان دافعا للدراسات الإسلامية اللاحقة لتناول آيات الأناجيل الأربعة والتوراة بدراسة توافقها واختلافها، وبذلك تكون علم نقد الكتاب المقدس(٥).

## ثالثا: المنهج المقارن

وهو ثالث منهج وظفه القرآن في الرد على عقائد النصارى. فإذا كان

(١)سورة البقرة ،آية٧٩

(٢)د حمزة عبد الله المليباري،الحديث المطول-قواعد وضوابط-(الجزائر:دار الهدى ،١٩٩٢)ص.١٦.

(٣)سورة النساء،آية١٧١

(٤)سورة النساء،آية٨٢

(٥)راجع د محمد خليفة، علاقة الاسلام باليهودية -رؤية إسلامية في مصادر التوراة العالمية-، ص ص٣٩-٦٠.

المسيح عليه السلام ليس هو صاحب مقولات النصرانية التاريخية، فإن هذا يعني أنها حديثة العهد والنشأة، وهو ما يجعل البحث مشروعا عن الثقافات التاريخية التي أثرت المنظومة العقدية النصرانية بتلك المفاهيم العقدية، يقول الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(١)، فالآية تقرن المعتقدات التاريخية السائدة بين اليهود والنصارى بما هوموجود من قبل في الأمم الوثنية، كما أنها تجعل من مصادرها المعتقدات اليهودية السائدة آنذاك، فالقول بتأليه عيسى هو تأثر بثقافات وثنية كانت تسود المحيط النصراني، وإشارة القرآن الى ذلك كانت عامة مجملة من غير تفصيل.

إن هذه الآية ومثيلاتها تجعلنا نجزم أن القرآن قد كان سباقا إلى توظيف المنهج المقارن في تناول العقائد النصرانية. ورغم ذلك فإننا لا نجد في الدراسات الإسلامية قديما، من يثير هذا النقد عدا القاضي عبد الجبار كما سيتبين في هذه الدراسة.

## المبحث الثاني:

# نتائج النقد القرآني للعقائد النصرانية

بعد استعراضنا لخصائص المنهج القرآني في الرد على النصارى، نحبذ أن نذكر بعضا من نتائج نقده في هذا الشأن، ونختار منها ثلاثة مطالب نقدية أساسية، وهي:

١ – نقد رواية الكتب المقدسة
٢ – نقد التثليث والتجسد
٣ – نشأة القول بالعقائد النصرانية.

### المطلب الأول: نقد الكتب المقدسة

لاداعي للتذكير بأهمية الكتب المنزلة في نظر القرآن، وبمصدرها الأساسي الوحي، فذلك ما هو محل إتفاق بين المسلمين، والقرآن يقر بوجود كتاب منزل على المسيح هو الإنجيل، يقول تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي،وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾(٢)، ويقول في شأن الإنجيل:﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾(٣).

---

(١)سورة التوبة،آية٣٠.
(٢)سورة مريم، آية ٣٠-٣٢.
(٣)سورة الحديد ،آية٢٧.

ورغم هذا الإقرار الأولي، فإن القرآن يوضح أن الإنجيل المعاصر للنبي عليه السلام ليس كما أنزل على النبي المسيح عليه السلام، وتناول بعضا من خصائص الرواة الذين نقلوه إلينا، نلخصها في نقدين، وهما:

**١ – نقد العدالة**

**٢ – نقد الضبط**

## أولا: نقد العدالة

أولى القرآن عدالة رواة الكتاب المقدس اهتماما، فأثار بعض طباعهم الخلقية كالكذب والإخفاء، وغيره، يقول الله تعالى:﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾(١)، ويقول:﴿ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾(٢)، ويقول أيضا:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾(٣)، فالآيات تصور الحالة الأخلاقية لأهل المعرفة من أهل الكتاب، وهو ما يمكن اعتباره جرحا لعدالتهم. ولايخفى أن الراوي المجروح تهدر روايته كما هو معروف عند المحدثين.

## ثانيا: نقد الضبط

يدرس الراوي عدالة وضبطا، والضبط حفظ الراوي لروايته حفظا يمكن التأكد معه من سلامة نقل الرواية، وقد خصت آيات الحديث حول ضبط أهل الكتاب، يقول الله تعالى: ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾(٥)، ويقول:﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(٦)، ويقول أيضا:﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(٧)، والآيات لاتقدح فقط في حفظ الرواة، بل إنها تتهمهم بالكذب في الرواية، وهوما لايترك مجالا لاحتمال قبول روايتهم.

وهذا النقد الأولي الذي وجهه القرآن إلى الدين النصراني يعطينا تصورا أوليا عن كيفية وقوع التغير والتطور أوالتحريف في العقائد النصرانية، وكيف صار التوحيد تثليثا وتجسيدا.

والآيات القرآنية تبين لنا أن هنالك وسائل استخدمها النصارى في تغيير نصوص الكتب المقدسة، وهي مايلي:

---

(١)سورة البقرة ،آية ٧٩
(٢)سورة الأنعام ،آية ٩١
(٣)سورة آل عمران آية١٨٧
(٥)سورة المائدة، آية ١٣
(٦)سورة آل عمران، آية٧١
(٧)سورة آل عمران، آية ٧٨

١. التحريف: وهو إجراء بشرى لتغيير مضمون الكتاب، يقول الله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾(١).

٢. التبديل: وهو جعل قول مكان قول آخر، يقول الله تعالى:﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾(٢).

٣. الإخفاء: يقول الله تعالى:﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾(٣)، و يقول أيضا:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾(٤).

٤. الكتمان: كما يتضح من قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٥)، ويقول أيضا:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ، وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَبِئْسَمَا يَشْتَرُونَ﴾(٦).

٥. لباس الحق بالباطل: كما فى قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٧)، ويقول أيضا:﴿ وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٨).

٦. الكذب: كما يتضح فى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٩). ويقول أيضا:﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١٠).

٧. لوي الألسنة بالكتاب: كما فى قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١١).

٨. التعطيل: والمقصود تعطيل أحكام التوراة وعدم إقامتها :﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾(١٢).

٩. الإيمان بالبعض والكفر بالبعض: كما هو فى قوله تعالى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(١٣).

١٠. الإهمال: كما فى قوله:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٤)، ويقول أيضا:

---

(١)سورة المائدة، آية ٣٠
(٢)سورة البقرة،آية٥٩
(٣)سورة الأنعام، آية٩١.
(٤)سورة المائدة،آية١٥.
(٥)سورة البقرة، آية١٤٦.
(٦)سورة آل عمران،آية١٨٧.
(٧)سورة آل عمران،آية٧١.
(٨)سورة البقرة،آية٤٢.
(٩)سورة آلعمران، آية٩٣-٩٤.
(١٠)سورة آل عمران، آية ٧٨.
(١١)سورة آل عمران، آية ٧٨.
(١٢)سورةالمائدة،آية٦٦.
(١٣)سورة البقرة آية٨٥.
(١٤)سورة البقرة،آية١٠١

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(١).

١١. الظن: كما في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٢).

١٢. النسيان: كما في قوله:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(٣).

## المطلب الثاني: نقد التثليث والتجسد

يقول النصارى إن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم ، وهوما يناقض المقررات القرآنية، فالله واحد لا شريك له، و متعال عن مجانس؛ إذ أنه لايستقيم عقلا، ومن الأدلة التي يُؤكِّد بها القرآنُ ذلك مايلي:

### الدليل الأول: دليل التنزيه

وهو أول الأدلة التي وظفها القرآن في الرد على النصارى، يقول الله تعالى:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾(٤)، ويقول أيضا:﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٥)، فالسبحانية تنزيه وتبرئة له عما قالوا،( وفي ذلك إبطال لما زعموه، وإضراب عما تقتضيه مقالتهم الباطلة من التشبه بالمحدثات في التناسل والتوالد، والحاجة إلى الولد في القيام بما يحتاج الولد إليه، وسرعة الفناء لأنه لازم للتركيب اللازم للحاجة)(٦).

وتعاليه تعالى وخلقه للمخلوقات، يقتضي تساميه عن هذه المحدثات، وإلا كان محدثا، فيحتاج إلى محدث ويقع التسلسل، وهوباطل. أضف إلى هذا أن( من حق الولد أن يكون من جنس الوالد)(٧)، ويقتضي تعدد الآلهة واحتياجهم وافتقارهم إلى بعض، فتسلب عنه صفة الغنى الإلهية،وبذلك يبطل التثليث والتجسد.

### الدليل الثاني: دليل الصاحبة

إن القول بأن عيسى عليه السلام ولد الله يستوجب القول بوجود الصاحبة، كما في قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ

---

(١)سورة آل عمران، آية١٨٧

(٢)سورة البقرة،آية٧٨

(٣)سورة المائدة،آية١٣

(٤)سورة البقرة،آية١١٦.

(٥)سورة مريم،آية٣٦.

(٦)الألوسي،روح المعاني،ج٣،ص٣٦٦.

(٧)محمود الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،(بيروت:دار الكتاب العربي، دت)،ج١،ص١١٨.

شيء، وهو بكل شيء عليم﴾(١)، وفي هذه الآية إبطال الولد من ثلاثة أوجه:

**أولها:** فالعلم بأن مبتدع السماوات، وهي أجسام عظيمة، لا يليق به أن يوصف بالولادة، والتي هي من صفات الأجسام. ومعلوم ان مخترع الأجسام لايكون جسما أبدا، حتى يكون والدا.

والثاني: أن الولادة لاتكون إلا بين زوجين من جنس واحد، والله متعال عن مجانس؛ ولا يليق به.

**والثالث:** أنه ما من شيء إلا وهو خلقه، والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج(٢).

**والخلاصة** أن هذه الآية ترفض أي اعتبار للتثليث أوالتجسد أوتأليه المسيح.

**الدليل الثالث: دليل تعدد الآلهة**

أكد القرآن على أن تعدد الآلهة يفضي إلى خراب كوني، يقول تعالى:﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ، وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ، إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٣)، فالآية تجعل تعدد الآلهة دليلا للطعن على النصارى، إذ أن ذلك داع لإفراد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه و يستبد به، وهو ما يجعل من المستحيل وصف الله بالولادة، فيبطل قول النصارى في التثليث والتجسد، **ويصير القول بالتوحيد لازما.**

## المطلب الثالث:نشأة القول بالعقائد النصرانيةالتاريخية

يمكن أن نستخلص من مجمل الآيات القرآنية تصورا تاريخيا وشموليا لنشأة العقائد النصرانية. وأول ما يثير الإنتباه أن القول بها حديث النشأة، إذ أن المسيح لم يقل أبدا بالتثليث ولا بغيره من العقائد النصرانية، بل كان يقول:﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾(٤).

والقول بالتثليث نتج عن أسباب مختلفة، ذكر القرآن منها ما يلي:

**١ – الغلو في التقدير**

**٢ – التأثر بالثقافات القديمة**

**٣ – التحريف**

**أولا: الغلو في التقدير**

**فقد أدى الغلو في الاعتقاد إلى جعل المسيح إلها و ابنا ومسيحا متجسدا، قال**

---

(١)سورة الأنعام،آية١٠١.
(٢)الزمخشري،الكشاف،ج٢،ص١٧١.
(٣)سورة المؤمنون،آية٩١.
(٤)سورة المائدة،آية٧٢.

تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾(١)، وقد ساعد على ذلك أن المسيح عليه السلام قد ولد من غير أب، فكان ذلك أدعى للقول بأنه ابن الله.

**ثانيا: التأثر بالثقافات القديمة**

فالقول بالعقائد النصرانية هو تأثر بثقافات بائدة، يقول تعالى في ذلك:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ، يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٢)، فالقرآن يجعل من قول النصارى في المسيح وتأليهم له استمرارا لقول الذين كفروا -من قبل- من الوثنيين وغيرهم، ومظهرا من مظاهر التأثر بهم، وهوما تؤكده الأبحاث العلمية الحديثة؛ **فالنصرانية هي تأثر ديني وإمتداد ثقافي لثقافات المصريين واليونانيين وغيرهم من الأمم الوثنية**(٣).

**ثالثا: التحريف**

والتحريف عمل إنساني بغيته تبديل وتغيير الكلام الإلهي لأهداف معينة، منها الإقتصادية كما في قوله تعالى:﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٤)، ومنها الثقافية والمعرفية كما هو واضح في السببين السابقين، حيث تم تفسير النصوص المنزلة وتغيير القول فيها، حتى تتفق مع آرائهم.

والتحريف قد وقع فعلا، كما في قوله تعالى:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾(٥)، و قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٦)، وتظافر هذه العناصر والأسباب أدى إلى تغير عقائد النصارى في المسيح.

وهذه النبذة كافية لتفهم موقف القرآن من النصرانية جملة، فقد أظهر مواقفه منها بطرق مختلفة، وستعرف هذه توظيفا وتطبيقا في عصور الحضارة الإسلامية؛ إذ **الردود الإسلامية على النصارى هي استمرار نقدي لهذه المواقف.**

وليس من السهل أن نؤرخ لهذه الردود في القرون الأربعة الهجرية الأولى، إذ أن ثلثي الكتابات الإسلامية في هذا الموضوع قد فقدت(٧)، وقد تكتشف وثائق وكتابات تزيدنا فهما حول معالم المنهجية الإسلامية في القرون الأربعة الأولى.

وعليه، فإننا **نفترض** أن الرد على النصارى قد بدأت بوادره مع فجر الحضارة الإسلامية، ولكن التاريخ لا يكشف عن ردود أبعد من القرن الثاني، فلم يحفظ لنا شيئا عن ردود **القرن الأول الهجري**؛ رغم أنه قد وجدت بوادر جدل إسلامي-نصراني، كانت نتيجة

---

(١)سورة النساء،آية ١٧١.
(٢)سورة التوبة،آية ٣٠.
(٣)ينظر شرني،تاريخ الديانة المصرية القديمة،ص ص٢٠٦-٢١٥. جبير،المسيحية نشأتها وتطورها،ص ص١٨١-٢٠٤.
(٤)سورة البقرة،آية ٧٩
(٥)سورة المائدة،آية ٣.
(٦)سورة آل عمران،آية ٧١.
(٧)الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص١٦٣-١٧٠.

طرح قضايا عقدية على بساط البحث كقضية الصفات الالهية والقضاء والقدر(١). فابن النديم يسجل أنه مع نهاية القرن الثاني الهجري ظهرت ردود إسلامية على النصارى، لم يصلنا منها سوى القليل(٢). وما وصلنا منها يبدو عليه عدم التبويب الجيد للقضايا العقدية المدروسة، فالمبحث الواحد تتناوله كثير من المسائل، دون أن يراعي في ذلك ترتيب بين(٣).

و القرن الثالث الهجري رغم أنه تميز بكثرة الردود الإسلامية على النصارى إلا أنه لم تصلنا منها سوى مقتطفات، ومن ذلك أجزاء من الكتاب الأوسط في المقالات للناشيء الأكبر(٤)، وأجزاء من كتاب أبي عيسى الوراق في الرد على النصارى(٥).

أما القرن الرابع الهجري فقد كان أوفر كتبا وأحسن تصنيفا، ورغم ضياع كتب كثيرة من ذلك العهد إلا أنه قد وصلتنا مؤلفات معتبرة، كرسالة الحسن بن أيوب(٦)، و كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري(٧)، و كتاب التمهيد في علم الكلام للباقلاني(٨)، وغيرها(٩).

ثم تأتي كتابات القاضي عبد الجبارمع نهايات القرن الرابع الهجري-كما سيأتي تفصيله-، فيكتب كتاباته الشهيرة(١٠).

أحسب أننا بهذا التمهيد نكون قد اقتربنا من عصر وثقافة القاضي عبد الجبار، وعليه فإننا نعمد إلى بسط شيء من تاريخ الرجل، مبتدئين بالتعرف على عصره.

---

(١)راجع: Bouamama Ali , la littérature polemique musulmane contre le christianisme depuis ses origies j'usqu'au 8e siecle,(algerie: Entreprise nationale du livre,1988),p41-33.

(٢)ابن النديم، الفهرست،(تونس-الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،١٩٨٦)ص١٣٤،٢٠١،٢٠٢،٢١٩،٢٢٠، وغيرها.و الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص١٢٣-١٧٠،حيث أورد ببليوغرافيا الردود الإسلامية على النصارى.

(٣)المصدر السابق.

(٤)الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص١٤٠-١٤١

(٥)Abel, la refutation des trois sectes,pp1-12.حيث عرض ردود الوراق.

(٦)الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص١٢٣-١٧٠.

(٧)أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د.أحمد عبد الحميد غراب،(مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٦٧).

(٨)الباقلاني،التمهيد في الرد على الملحدة والملحدة،(بيروت: المطبعة الكاثوليكية،دت)

(٩)الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص١٢٣-١٧٠.

(١٠)راجع عرض ردود عبد الجبار في الفصل الأول.

# الفصل الأول

# حياة
# القاضي عبد الجبار و عصره

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن إيراد ترجمة وافية للقاضي عبد الجبار ليس الغرض منها إكثار الكلام أو تسويد صفحات زائدة، بل إدراك الظروف المادية والاجتماعية التي نشأ فيها الرجل وتكونت فيها ممارسته الردية على النصارى، وإبراز الخيارات الفكرية التي كانت أمامه، وكيف استطاع أن يشق لنفسه نهجا بينها. ولا يتأتى ذلك إلا بالكلام عن عصره، ثم استعراض أطوار حياته وثقافته ومؤلفاته في الرد على النصارى.

## المبحث الأول:

# عصر
# القاضي عبد الجبار

جرت عادة المؤرخين على تقسيم العصر العباسي إلى عصرين؛ العصر الأول من مطلع القرن الثاني إلى سنة ٢٣٢ ، والعصر الثاني من سنة ٢٣٢ هجرية إلى سنة ٦٤٠ هجرية(١). والتاريخ يخبر أن عبد الجبار ولد سنة ٣٢٥هـ(٢)، وعليه، فهو من العصر العباسي الثاني. وحري بنا ونحن نريد دراسة ردوده أن نورد لمحات عن ذلك العصر التاريخي، من الناحية السياسية والإقتصادية والاجتماعية في المطالب التالية.

---

(١)راجع:
حسن إبراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ج١ط٧(القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،١٩٦٥)ص٤٢٠.
حسن أحمد محمود-أحمد ابراهيم الشريف،العالم الإسلامي في العصر العباسي،ط١،(مصر:دار الفكر العربي،دت)ص٧٣.
(٢)- تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ ،( مصر:المطبعة الحسنية المصرية - دت )،ج٣ص ص٢١٩-٢٢٠. وراجع ترجمته لاحقا في المبحث القادم.

**إن العصر الثاني من تاريخ الدولة العباسية عصر ضعف وانحلال و تجزؤ الدولة الإسلامية**، حيث كان العالم الإسلامي تتقاسمه خلافات إسلامية مختلفة؛ الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي؛ والخلافة الأموية بالأندلس؛ والخلافة الفاطمية في مصر والشمال الإفريقي؛ أما الشام والحجاز فتارة للحمدانيين، وتارة للفاطميين؛ وفي اليمن دول آل زياد وآل جعفر؛ كما بدأت تظهر بوادر دولة جديدة في بلاد ما وراء النهرين هي الدولة الغزنوية(١).

وقد تميزت هذه الحقبة من التاريخ بتناقص الأمراء على الحكم، ووقوع الخلافة العباسية تحت سيطرة الأتراك وبني البويه(٢)، حيث كان الخلفاء بذلك كالريشة في مهب الرياح، ويخضع لرغبات المسيطرين من الأتراك وسلاطين بني البويه(٣).

وتعد هذه الحقبة الفترة عصر إضطراب، إذ داهمت الدولة العباسية أخطار عدة؛ **خطر خارجي تمثل في دولة البيزنطيين**، وخطر داخلي **تمثل في انقسام الدولة العباسية إلى دويلات**، إذ كان العداء مستحكما بين قادة الدولة العباسية في أوائل القرن الرابع، حتى أن الخليفة كان لايأمن على نفسه، فيستنجد بولاته، فكان كالأسير في يد الأتراك إن شاؤا أبقوه، وإن شاؤا قتلوه؛ مما دفع بالخليفة إلى استدعاء بني البويه إلى بغداد، فدخلها **'معز الدولة'** علي بن بويه، الذي تلقب **بصقر الدولة** سنة ٣٣٤هـ، وهو أحد سلاطين البويهيين الذين استحوذوا على السلطة(٤)، فقوي أمرهم، ونفوذهم، وخلعوا الخليفة المستكفي(٥)، ويقول في ذلك السيوطي:(إن معزالدولة دخل على المستكفي في جمادى الآخر سنة ٣٣٤ هجري، فوقف والناس وقوف على مراتبهم ، فتقدم اثنان من الديلم إلى الخليفة، فمد يديه إليهما، ظنا أنهما يريدان تقبيلها، فجذباه من السرير حتى طرحاه إلى الأرض وجراه بعمامته، وهجم الديلم على دار الخلافة إلى الحرم، ونهبوها، فلم يبق فيها شيء، ومضى معز الدولة الى منزله، وساقوا المستكفي ماشيا إليه، وخلع وسملت عيناه يومئذ، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر)(٦).

فصار الخلفاء ألعوبة بين أيدي البويهيين، يتصرفون بهم كما يشاؤون خلعا وقتلا وإهانة، وبعدما أقروا العباسيين في الخلافة جردوهم من كل سلطان، وتدخلوا في شؤونهم،

---

(١)إبراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ص .٤٢٩.
(٢)احمد محمود-ابراهيم الشريف،العالم الاسلامي في العصر العباسي، ص ص٤٩٩-٥٠٥.
(٣)المصدر السابق،ص.٤٢٠
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق،ص ص٤٢٠-٤٢١.
(٦)جلال الدين السيوطي،تاريخ الخلفاء،(بيروت،دار التراث،١٩٦٩)،ص.٣٦٣

فأنقصوا واردهم(١).

وتقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى عصرين؛ عصر أول وعصرثان، ليس تعسفا وليس سياسيا فقط، وإنما هو تقسيم فاصل بين مرحلتين مختلفتين في كل المقومات السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية(٢). فالعصر الأول تميز بشعارات الدعوة العباسية التي ظل الدعاة العباسة يرددونها منذ تنظيم الدعوة حتى عام ١٠٠ هجري، وتنتهي بوفاة المعتصم، حيث وضحت فيها مكاسب الثورة العباسية، وطبقت شعاراتها تطبيقا عمليا، وكان فيه ما كان من سلبياتها وحسناتها(٣).

أما العصر الثاني فقد بدأت فيه مكاسب الثورة تضيع لأسباب خارجة عن إرادة الخلفاء، وأخطاء بادية بدأت تظهر نتائجها بظهور ثورات ذات طابع سياسي إصلاحي، كثورة الزنج وثورة الإسماعيلة، وتنتهي بانتصار الجماعة والخلافة الإسلامية(٤).

وأما **بعد الواثق**، فإن الأمر تغير، ولم يعد الخلفاء محافظين على تلك الصلة بينهم وبين تنظيمات الدعوة العباسية، فظهرت دعوات جديدة أفادت من تجربة العباسيين، كالقرامطة في الشام، والخوارج في المغرب، والإسماعيلية في المغرب واليمن(٥).

**ومهما يكن من أمر، فإن العصر الذي عاش فيه القاضي عبد الجبار، قد عصفت فيه رياح سياسية مختلفة، مما جعل عدم الاستقرار ملمحا من ملامح تلك الحقبة التاريخية.**

## المطلب الثاني:الحالة الإقتصادية

تفيض مصادرنا التاريخية(٦) بأخبار عن بذخ الوزراء والحكام، وترف التجار وحياة المواطنين الكبار، ولكنها لاتعطي صورة صادقة عن الوضع الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، و هو ما يجعلنا غيرعارفين بإقتصادياته. ويمكننا تقسيم المجتمع العباسي إلى ثلاث طبقات، وهي:

١.**الطبقة العامة**: وتشمل الفلاحين وأهل الحرف المختلفة.
٢.**الطبقة المتوسطة**: وتشمل عامة التجار والموظفين وأصحاب الملكيات الخاصة الصغيرة.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)حسن أحمد وأحمد ابراهيم ،العالم الإسلامي في العصرالعباسي،ص.٧٣
(٤)المصدر السابق، ص.٧٤
(٥)المصدر السابق، ص.٢٨٢
(٦)راجع بخصوص الوضع الإقتصادي: عبد العزيز الدوري،تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري،ط٢(بيروت،دار المشرق،١٩٧٤)،وجريدة مراجعه

٣.الطبقة الغنية: وتشمل الخليفة وعائلته، وكبار الموظفين، وكبار التجار(١).

ولا يمكننا التمييز جيدا بين هذه الطبقات، إذ أن الفواصل بينها غير بينة؛ كما أنها لا تنطبق تماما على المقاييس الاجتماعية المهتمة بالنسب والتقاليد.

ويبدو أن مستوى المعيشة كان مرتفعا،إذ أن القرن الرابع الهجري-رغم تقلص أراضي الخلافة العباسية- شهد توسعا ونموا في الحياة المدنية، وازدهارا في المعاملات المالية والمصرفية، وقد كان ذلك عاملا على رفع مستوى المعيشة في المدن، كما أدى اضطراب الحياة السياسية إلى خلل في الحياة الاقتصادية، فقلل وارد الدولة(٢).

و دخول العصر البويهي (سنة٣٣٤هـ) دليل و مؤشر بداية عصر جديد، فكان أن انتهى الترف وانتهى عصر البذخ، وأصبح الإتجاه الاقتصادي الغالب هو الإقطاع، فكان البويهيون يعطون إقطاعات بدل الأجور لموظفيهم من الجند وغيرهم (٣)، وهو ما كان له أثر سلبي على الحياة الاقتصادية؛ فإعطاء أراض لأناس غرباء لا يخدمونها ولا صلة لهم بالفلاحة، أدى إلى قلة الحاصل وارتفاع السعر.

وأهم مؤشر للإحاطة بخفايا الوضع الاقتصادي في عهد عبد الجبار هو الدخل، ومن الوهلة الأولى يمكننا استنتاج ثلاثة أمور تتعلق بالدخل،وهي كمايلي:

١. وجود **تباين كبير** بين الناس، فهناك عدد قليل من الموفورين وطبقة متوسطة، وعامة فقيرة.

٢. لم يكن الشعور **بالملكية الشخصية** واضحا في ذلك العصر، وهوما يوحي بالقلق الاجتماعي.

٣. أدى النفوذ البويهي في الدولة العباسية إلى **اختلال نسبة الدخل** السابقة(٤).

ويبدو أن هذا العصر هو عصر ترف الحكام، فقد صرف الكثير من وارد الدولة لأغراض البلاط، ولذا سمي **بعصرترف الحكام**(٥).

ولا يمكن إغفال **دورات الغلاء** للدلالة على وضع الإنتاج واضطراب الأحوال الاقتصادية في عصر عبد الجبار، فقد **تكررت المجاعات والغلاء إحدى عشر مرة**، حيث كانت لا تدوم في السنة إلا مرات(٦). وهو ما أدى إلى اضطراب في الحياة الاجتماعية والسياسية(٧).

وتجدر الإشارة إلى أثر **الاقطاع العسكري** وجشعهم في الحصول على أكبر وارد ممكن، دون نظر إلى أثر ذلك على المزارعين الصغار، فترك ذلك أثرا كبيرا على الحياة

---

(١)المصدر السابق، ص ص٢٣٩-٢٤٦.
(٢)المصدر السابق، ص٢٤٠
(٣)المصدر السابق، ص ص٢٤٣-٢٤٥
(٤)احمد بن محمد ابن مسكويه،تجارب الامم،ج١ ،(القاهرة: مطبعة شركة التمدن الصناعية،١٩١٥)ص٢٣٨.
(٥)المصدر السابق.
(٦)سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،ط١،ج١٢،(الهند-حيدر آباد:دائرة المعارف العثمانية،١٩٥١)ص.٢٤٤
(٧)المصدر السابق.

الاجتماعية، حيث تخلى كثير من الفلاحين عن أراضيهم، وهاجروا إلى بلاد أخرى، فأدى ذلك إلى تدهور ملموس في الزراعة(١).

## المطلب الثالث:الحالة الاجتماعية

كانت المدن العراقية على العموم أممية، يسكن فيها مزيج من أناس تختلف لغاتهم وتتباين ألوانهم وأديانهم(٢).

فالعرب يسكنون المدن والريف، وأكثرهم كانوا بدوا ، والبدو منهم يحترفون الزراعة والصناعة والتجارة ويكثرون من الغزو والغارات. واستقروا في المدن على هيئة قبائل في أحياء خاصة بهم، وهذا ما ساعد في تكوين خصومات بين القبائل، فيروى أن عضد الدولة أصلح بين ربيعة ومضر بعد أن دامت الخصومة بينهما مائة وعشرين سنة(٣).

وكان العرب يتعالون على الأعاجم، لكنهم يتسامحون أحيانا كثيرة، وأبدوا رغبة في مصاهرتهم، وقد وصل هذا إلى حد أن صاهر الخلفاء الأعاجم أيضا، بل إن منهم من كان من أبناء الإماء(٤). وهذا التقسيم العرقي أفاد في تكون تلك الحركة الفكرية النشيطة التي انتشرت آنذاك(٥).

وأما الفرس، فقد كان منهم سكان أصليون بالعراق، كما تسلل آخرون إليه بعد ظهور العباسين، خصوصا في عهد المأمون؛ حيث كانت لهم أهمية خاصة في حقل الثقافة والسياسة، وخلفهم الأتراك فيما بعد(٦).

وأما الديالمة فهم شعب ايراني جبلي كان يسكن جنوب شرق بحر قزوين، وجاء بعضهم إلى العراق قبل العهد البويهي سنة ٣٣٤ هجري، وبعده صار الديالمة يشكلون الجزء المهم من الجيش وملاك الأراضي(٧).

والترك ظهروا في عصر المعتصم، ثم صارت لهم الكلمة العليا في البلاد، وحافظوا على سلطتهم حتى الفتح البويهي، وقد كتب الجاحظ رسالة في مدح الأتراك بعنوان 'مناقب الترك'(٨)، أثنى فيها على شجاعتهم وصبرهم وأمانتهم وعلى قابليتهم العسكرية(٩)، وقد جعل

---

(١)المصدر السابق، ص ص٢٤٤ -٢٤٥.

(٢)إخوان الصفا وخلان الوفاء،رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء-تصحيح:خير الدين الزركلي-،ج١،(القاهرة:المكتبة التجارية،١٩٢٨) ص.١٤٩.

(٣)الدوري،تاريخ العراق الإقتصادي،ص.٢٤٤

(٤)المصدر السابق.

(٥)الثعالبي،فقه اللغة وأسرار العربية،(بيروت: دار الفكر،دت)،ص.١

(٦)الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج٣،ص.٤٣٩

(٧)المصدر السابق.

(٨)أبو عثمان الجاحظ،مناقب الترك.(القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٦٥)

(٩)أبو عمرو بحر عثمان الجاحظ ،البيان والتبيين،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت)،ج٣، ص٢٠٦.

لهم بدو العجم لقبا لهم، فهم لا يميلون للصناعة أو للزراعة أو للعلوم، وهذا ما جعل البوهيين يتخذون جندهم من الديالمة والترك(١).

وأما النبط، فيرى المسعودي أنهم سكان العراق القدامى(٢)، وأن الفرس أضعفوهم، فدخلوا في جملة الفرس، وانتسبوا إليهم. ولما حصلت الفتوحات الإسلامية ذهب بعض النبط ينتسبون للفرس وأزالوا النبطية لزوال عزهم. وقد كان لهذه الطبقة دور كبير في الحركة الثقافية؛ فخرجت كثيرا من الأطباء والفلكيين والعلماء، حيث كانت حران المركز الأول للثقافة الآرامية(٣).

والكرد كانوا يسكنون أيضا في القسم الأعلى من العراق في الجهات الشرقية الشمالية الشرقية ،وكان أكثرهم رعاة ثم في مرحلة أخرى استقر بعضهم في الموصل وقربه(٤).

وكانت في العراق عدة مجموعات يهودية، فبغداد فيها رئيس الطائفة الإسرائيلية،يدعى رأس الجالوت، وهي مركز اليهود الأول، حيث يوجد بها شارع يدعى درب اليهود. والبصرة احتوت أيضا على مجموعة يهودية مهمة حيث سكنوا في حلوان وفي مدينة النهروان، ولهم معهدان مشهوران في سورى بجوار الحلة، وفي مدينة بجوار الأنبار، وعلى رأس كل منهما عميد(٥)، وعامة اليهود كانوا صياغين وصفارين وقصابين، إلا أن وضعهم تبدل فصار منهم التجار والصرافون، كما كان منهم الموظفون والإداريون(٦).

وهكذا ففي بغداد قبائل وأخلاط بشرية مختلفة في أجناسها وفي مهنها، فأدّى إلى تنوع فكري وتقسيم عمل وتنظيم مجتمع، مما كان سببا للتصارع والتشاحن الاجتماعي(٧).

ويبدو جليا أن هذا العصر الذي ولد فيه عبد الجبار كان عصر أزمات اقتصادية واجتماعية عنيفة، كان لها أثر على الوضع الفكري.

## المطلب الرابع:الحالة الفكرية

إن أهم ما يميز عصر القاضي عبد الجبارهو الصراع المذهبي والفكري بين أصحاب العقل والاعتزال، وأنصار الجبر، وأنصار السلف، وأنصار الديانات الأخرى، كاليهودية والمسيحية والمجوسية، وغيرها.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)محمد المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،(برلين: مطبعة برلين،١٩٠٦)ص.١٠٨.
(٣)ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،(القاهرة:المطبعة الهندية،١٩٢٤) ص.٦٣٤.
(٤)بن حوقل،المسالك والممالك-باعتناء كرامرز -،(ليدن:مطبعة ليدن،١٩٣٨)ص.٢١٧-٢١٨.
(٥)الحموي،معجم البلدان،ج٤،ص.١٤٥.
(٦)الدوري،تاريخ العراق الإقتصادي،ص.٣٣.
(٧)المصدر السابق،ص٣٣.

وقد ساعد التركيب الاجتماعي الذي ذكرناه سابقا بعناصره المختلفة، على اتساع الشعوبية، فصارت معينا لكل الحركات الباطنية التي بلورت تصورات ومفاهيم غير إسلامية، و خير ممثلي هذه الأراء ابن المقفع، وزكريا الرازي، حيث اشتركت آرائهم وأفكارهم في نفس المفاهيم، كإبطال النبوات ورفض الديانات، وغيرها من الأراء(١).

ومن الضروري أن نشير إلى أن القرن الرابع الهجري الذي نحن بصدد البحث في تياراته الفكرية ليس مبتور الصلة من الناحية الفكرية بالقرون التي سبقته، فكثير من هذه المذاهب التي نتعرض لها كانت قد تكونت في عصور مضت(٢).

وذكرنا أن الخلافة العباسية قد تراخت قبضتها واضمحل أمرها في كثير من المناطق الإسلامية، وقد كان ذلك منذ القرن الثالث الهجري، وما زال سلطانها يضعف ونفوذها ينحسر حتى تفككت؛ فصارت فاطمية في مصر والمغرب العربي وعباسية في المشرق الاسلامي وأموية في الأندلس، وغزناوية في خرسان، وإيالكخانيون فيما وراء النهر. والدولة البويهية قد تمكنت من السيطرة على مركز الخلافة. إن هذا الاضطراب السياسي كان من أهم العوامل المساعدة على النهضة الفكرية، ذلك أن ضعف الحكام جعلهم يسعون وراء جلب عدد من المفكرين و العلماء، افتخارا بهم، وتزيينا لمجالسهم. وقد كان هذا السعي والتشجيع وراء كتابة كثير من المؤلفات ونشاط المذاهب المختلفة، و كتب أعظم المؤلفات الإسلامية، ككتاب القاضي عبد الجبار الهمذاني المغني في أبواب العدل التوحيد(٣)

وقدأدى هذا التفكك للدولة إلى انفصال واستقلال تلك الدويلات، فصار لكل واحدة وارد يصرف في نفقاتها المختلفة، وخصص منه جزء للحياة الثقافية والعلم، فشجع ذلك العلماء، و شجع تأليف الكتب، وهو ما كان حافزا للعلماء على أبحاثهم المختلفة، فأنتج ذلك العصر أعظم المدارس العلمية المختلفة في شتى الميادين، وتكونت المجالس العلمية والنوادي المعرفية، كنادي الصاحب بن عباد وزير آل بويه في الري وأصفهان، يحضره العلماء من شتى المذاهب، والقاضي عبد الجبار المعتزلي كان من روادة، وقد كان بديع الزمان الهمذاني، وأبو الفتح البستي، وأبو اسحاق الاسفراييني من رواد تلك المجالس أيضا(٤).

وهذا التشجيع السياسي للعلم وتعدد مدن العلم وعواصمه، فالقاهرة و الري و شيراز وبغداد والبصرة وغيرها كلها عواصم معرفية، كان هدفه سياسيا، إذ الأمراء يتباهون بعدد الحضور من العلماء(٥). و أدى هذا إلى تنافس واحتكاك فكري بين الفرق والمذاهب المختلفة، كالإحتكاك بين أهل السنة و المعتزلة، وبين الأشاعرة والحنبلية والمعتزلة، وبين علماء الفقه والمتصوفة، فازدهر البحث ونشأت الفرق المختلفة(٦).

---

(١)راجع آدم متز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة عبد الهادي أبو ريدة،ط٤،(القاهرة:مكتبة الخانجي،١٩٦٧)،ج١

(٢)محمد حلمي،الخلافة والدولة في العصر العباسي،(القاهرة:مكتبة الشباب،١٩٧٥)،ص ص١٠٦-١٠٧.

(٣)راجع عرضه في المبحث القادم.

(٤)المصدر السابق،ص٨٩.

(٥)أحمد أمين،ظهر الإسلام،ط١،ج٢ (القاهرة: النهضة المصرية ،١٩٦٧)،ص٢٦٠.

(٦)لويس غارديه و ج قنواتي،فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية،ج١،ص ص٦٤-٧٧.

إن القرن الرابع الهجري جمع بين أعظم علماء المدارس الإسلامية المختلفة، وشهد مناظرات ساخنة بين ممثليها، وكتبت فيه أعظم كتب الكلام(١)، وكان للقاضي دور عظيم فيها(٢)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد ليشمل حلقات الدرس في المساجد، والمناظرات التي تدور بين علماء المذهبين، أوبينهما وبين أصحاب المذاهب الأخرى؛ فالمعتزلة اتخذت مسجد شيراز منارة لها، واتخذها القاضي مقر محاضراته(٣).

والعالم الإسلامي في القرن الرابع عرف تنوعا من الأديان، وأشهرها النصرانية، ومن معتنقيها السكان الأصليون لمناطق فتحها الإسلام، وفي مثل هذه البيئة نشأ عبد الجبار؛ فوجد من الآراميين النصارى مثلا في تكريت والرقة وقرب الموصل(٤).

ونصارى العالم الإسلامي في القرن الرابع، منهم اليعاقبة، والنساطرة، والملكية أيضا(٥)؛ فاليعاقبة نسبة إلى يعقوب البردعي، أسقف الرها(٦)، وتعرف أيضا بالمونوفيزية، والسريان اليعاقبة، وتنتشر في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي، نخص منها بالذكرمصر والشام(٧). وقد كان لهذه الفرقة نشاط جدلي في العالم الإسلامي(٨). و الملكانية أوالملكية نسبة إلى ملك الروم اليزنطي(٩)، وتعرف أيضا بالخلقيدونية، إذأنها تمثل الكنيسة الرسمية للدولة الرومية بالقسطنطينية، وتنتشر في العراق، والشرق الأدنى وآسيا الصغرى(١٠). وأما القسطورية، وتعرف الآن بالأورثودكس، فقد انشقت من القرن الخامس الميلادي عن باقي الفرق النصرانية، وكانت تنتشر في مناطق عدة من العالم الإسلامي، في العراق، وفي بلاد فارس مهد الدولة الساسانية(١١).

وتعايش النصارى مع المسلمين لم يخل من استهزاء وضغينة بينهما، وهو ماتعكسه الكتابات الإسلامية في حديثها عن أهل الملل الأخرى، والتي تعد النصارى أجهل خلق الله، ورهبانهم أفسق الناس، وراهباتهم أفجر وأحمق الخلق(١٢). ورغم ذلك، فإن كثرة من أهل الملل الأخرى قد اعتلوا مناصب في الدولة الإسلامية، وكان للنصارى شأن عظيم فيها، حتى ولد ذلك تذمرا في الأوساط الإسلامية، وعدوه مظهرا من مظاهر انحطاط الأمة الإسلامية(١٣).

**فالقرن الهجري الرابع في العالم الإسلامي عصر الفرق الإسلامية المختلفة والأديان المتناظرة.**

---

(١)الحاكم، شرح عيون المسائل،ص٢٦٦

(٢)ابن حزم،الفصل في الملل والنحل،ج١،ص١٠٨.

(٣)تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ ،( مصر:المطبعة الحسنية المصرية – دت )ص١١٤.

(٤)المصدر السابق،١١٢.

(٥)متز ، الحضارة الإسلامية،ص ص٨٥-٨٧؛والحموي، معجم البلدان،ج٣،ص ص٣١٨-٣١٩، وراجع:
Danielou et Marrou, **nouvelle Histoire de l'eglise**,t1p326.. حيث أرخ للتوسع النصراني في العالم العربي.

(٦)المصدر السابق.

(٧)Danielou et Marrou, **nouvelle Histoire de l'eglise**,t1,pp404-413.

(٨)المصدر السابق،ج١،ص٤٢١، وأيضا:الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٩٥.

(٩)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص ص٩٥-١٠٨، والمغني،ص ص٨٢-١٥٠، حيث استعرضها مع بقائي الفرق.

(١٠)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٩٥.

(١١)المصدر السابق، وأيضا: Danielou et Marrou, **nouvelle Histoire de l'eglise**,t1,p387

(١٢)متز، الحضارة الإسلامية،ص ص١٠٢، ١٠٥.

(١٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٩١.

المبحث الثاني:

# حياته و ثقافته

ونهتم في هذا المبحث بتناول ثلاثة مطالب من تاريخ القاضي عبد الجبار، وهي:

١ – ترجمة القاضي عبد الجبار

٢ – مراحل حياته

٣ – ثقافته

## المطلب الاول: ترجمته

اتفق الذين ترجموا للقاضي عبد الجبار – فيما أوردوه–حول اسمه ومولده ونسبته، وكنيته ولقبه وطبقته من غير خلاف يذكر(١).

أما اسمه فهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمذاني الأسد أبادي(٢).

---

(١) راجع:

-الخطيب البغدادي (ت. ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام،( بيروت: دارالكتاب العربي، د.ت )،ج ١١ – ص ص ١١٣ – ١١٥.

– ظهير الدين الروذراوري (ت. ٤٨٧ هـ) ، ذيل كتاب تجارب الأمم – صححه:هـ . ف . أمدروز ( القاهرة : شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦ )، ج ٣ ،ص ص ٢٦١ – ٢٦٣.

-عبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، الأنساب، ط ١ ( حيدر أباد الدكن دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٢)، ج ١ ، ص ص ٢١١ – ٢١٢.

-عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، المنتظم في تاريخ الأمم ، ط ١،(حيدر أباد الدكن : دائرة المعارف العثمانية،١٣٥٨ )، ج ٧، ص ١٨٠.

-علي بن الأثير (ت٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ – صححه : عبد الوهاب النجار–(القاهرة : دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٣ )، ج ٧ ، ص ص ٩٣ – ٩٤ و ص . ٣١٥.

-اسماعيل ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، (بيروت دار الفكر – النجار ١٩٥٣)، ج ٤ ، ص ص ٥٢– ٥٣. --محمد الذهبي ( ت ٧٤٨. هـ )، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،(بيروت، دار الفكر.ت)ج٣ص٢٠٣.

-نفس المؤلف،ميزان الإعتدال في نقد الرجال – تحقيق :علي محمد البجاوي ط١ ( القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٣)ص.٥٣٣.

-نفس المؤلف ، العبر في خبر من عبر – تحقيق : فؤاد سيد ،( الكويت : دائرة المطبوعات و النشر ،١٩٦١)،ج٣ ، ص.١١٩

-عبد الله اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط١( حيدر أباد الدكن : دائرة المعارف النظامية ،١٣٣٨ه )،ج٣ص٢٩.

– تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ ،( مصر:المطبعة الحسنية المصرية – د.ت )،ج٣ص ص٢١٩–٢٢٠.

-جمال الدين الأسنوي (ت٧٧٢ هـ) ، طبقات الشافعية – تحقيق : عبد الله الجبوري ، ط ١ (بغداد : ديوان الأوقاف ، ١٩٧٢ م)، ص ص ٣٥٤ – ٣٥٥.

(٢)الحاكم الجشمي،شرح عيون المسائل،–ضمن فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة–تحقيق فؤاد السيد–ط٢،(تونس:الدار التونسية للنشر–الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٦)،٣٦٥.

وأمامولده، فلا تخبرنا عنه المراجع شيئا، سوى أنه قد توفي سنة ٤١٥هـ- كما ذكر أكثر المؤرخين-(١)، فإذا علمنا أنه قد عمر طويلا، و مات في ذي القعدة خمس عشرة وأربعمائة من أبناء التسعين(٢)، فإنه يمكننا أن نقول أن عبد الجبار قد ولد في سنة ٣٢٥ هـ.

وأما نسبته فقد أختلف فيها بعض الشيء، فنسب إلى همذان(٣)، ونسبه البعض إلى أسد أباد(٤)، ونسبه آخرون إلى إسترأباد(٥)، وقيل أنه من الري(٦).

وأما من قال الهمذاني فقد قال إنه من همذان عاصمة إقليم الجبال، وهي مدينة في إيران، حيث يشمل هذا الإقليم مدينة همذان والري وملحقاتها، وأصفهان وملحقاتها، و قد كان الإقليم يسمى بإسم عاصمته(٧).

وأما من وصفه بالأسد أبادي ، فقد جعل نسبته إلى أسد آباد، وهي مدينة قريبة من همذان(٨).

ولم ينسبه إلى استرأباد سوى القليل من الباحثين(٩)، واسترأباد في بلاد الديلم بجرجان، وهي إقليم بفارس شرقي جنوب بحر قزوين، وتسمى أيضا بجرجان(١٠).

و أما من نسبه الى الري، فقد نسبه إلى تلك البلاد العظيمة التي بلغت شأوا عاليا في العلم والحضارة، من العراق(١١).

وأما كنيته، فقد ثبت أنه يكنى بأبي الحسن(١٢).

وأما لقبه، فهوقاضي القضاة، فلا يذكر إلا به، ولا يطلق على أحد من المعتزلة سواه: ذلك أنه شغل منصب قاضي القضاة في عهد دولة بني البويه في وزارة الصاحب ابن عباد من سنة ٣٦٧ هجرية إلى سنة ٣٨٥ هجري(١٣).

وأما طبقته، فقد جرت عادة علماء طبقات المعتزلة على جعله من معتزلة الطبقة الحادية عشرة(١٤).

---

(١)السبكي، طبقات الشافعية،ج٣،ص٢٢٠، وابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٧،ص٣١٥.
(٢)الذهبي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج٣،ص٢٠٢.
(٣)المصدر السابق.
(٤)ابن حجر العسقلاني،لسان الميزان،ط١،(حيدر آباد -الدكن،دائرة المعارف النظامية،١٣٣٠هـ)،ج٣،ص ص٣٨٦-٣٨٧.
(٥)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج٧،ص٩٣.
(٦)السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،،ج٣،٢١٩.
(٧)مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة والعلوم،(بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٧)،(( جرجان))
(٨)المصدر السابق،((أسد أباد))،ابن الأثير،الكامل،ج٩،ص٣٥٣.، وعثمان،قاضي القضاة، ص١١.
(٩)أشار إلى ذلك: ابن حجر العسقلاني،لسان الميزان،ج٣،ص ص٣٨٦-٣٨٧.
(١٠)عثمان،قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني،ص١١.
(١١)المصدر السابق،ص ص١٢،١٣.
(١٢)الحاكم،شرح عيون المسائل،ص٣٦٥.
(١٣)المصدر السابق،ص٣٦٦
(١٤)المصدر السابق،ص٣٦٥.

نستطيع من خلال تتبع حياة القاضي عبد الجبار وسبر أعماقها أن نميز بين ثلاث مراحل أساسية، وهي:

١ – مرحلة النشأة والتلقي
٢ – مرحلة النضج والتصنيف
٣ – مرحلة العزل

## أولا: مرحلة النشأة والتلقي

نشأ القاضي عبد الجبار وترعرع في مدينة أسد أباد، فهنالك كانت البداية، وقد شاء القدر أن يولد القاضي عبد الجبار للسيد أحمد بن عبد الجبار(١)، والذي لم يحفظ لنا التاريخ عنه شيئا يذكر سوى أنه كان حلاجا، يمتهن الحلاجة، يصدرها صوفا إلى همذان وسوادها، والحلاجة آنذاك لم تكن مكسبة، فكانت ظروف العائلة المادية سيئة(٢).

وقضى القاضي عبد الجبار سنين الصبى في هذه الرقة، ومع ذلك فلم تمنعه من طلب العلم على علماء في أسد أباد وقزوين، حيث كانت تدرس علوم كثيرة، فاستفاد من ذلك الجو الثقافي الذي كان سائدا في أسد أباد(٣).

ودرس القرآن وحفظه، وقرأ الحديث في أسد أباد، وهو ابن عشر سنوات، وهو ما يدل على اهتمامه بالعلم من الصغر، وتلقى دروسه الأولية على رجالات العلم المعروفين في بلدته، كالأستاذ الحافظ الثقة الزبير بن عبد الواحد(٤)، والأستاذ أبي الحسن بن سلمة القطان(٥).

و لما قارب العشرين من العمر توجه إلى همذان في سنة ٣٤٠هـ ، فسمع الحديث عن عدد من ثقاتها، منهم أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب(٦)، ثم اتجه صوب

(١)راجع:الحاكم ، شرح عيون المسائل،ص٣٦٥.
-ابن الجوزي،المنتظم في تاريخ الأمم،ج٧، ص١٨٠.
-ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج ٧ ، ص ص ٩٣ .
-ابو الفداء ،المختصر في أخبار البشر، ج ٤ ، ص ص ٥٢-٥٣.
-الذهبي، ميزان الإعتدال في نقد الرجال،ص٥٢٢.
(٢)عثمان، قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي، ص ص٢٢-٢٣.
(٣)الحاكم، شرح العيون،ص٣٦٦.
(٤)الزبير بن عبد الواحد، محدث، فقيه، من كبار محدثي عصره درس على بن سلمة بن القطان، كان معاصرا له،توفي سنة٣٤٧هـ؛(راجع:ياقوت،معجم البلدان،ج١،ص٣٤)
(٥)أبو الحسن بن سلمة بن القطان، ولد سنة٢٥٤هـ، وتوفي سنة٣٥٤هـ،من أكبر المحدثين في عصره، محدث قزوين ، عرف عنه الزهد؛ (راجع:الذهبي، العبر في أخبار من ذهب،ج٢،ص٢٧٢)
(٦)أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، توفي سنة٣٤٢. محدث، معتزلي، فقيه، من طبقة الإعتزال القاسمة؛ راجع:عبد الجبار،فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة،ص٢٢١.

إصفهان في سنة ٣٤٥هـ(١)، وتتلمذ على يدي الشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن جعفر(٢).

ومما يلفت النظر أن اهتمامات القاضي عبد الجبار بالحديث عظيمة ، فقد تتلمذ على مشائخ عدة، و لعل في هذا ما يناقض قول الذين يرون أن من أسباب ظهور الاعتزال وانتشاره قلة بضاعة أهله من الحديث.

ثم قصد البصرة طلبا للعلم ، واتجه إلى مجالس أهل المعرفة(٣)، ليحضر طلقات الأشاعرة العقدية وحلقات الشافعية الفقهية، وتتلمذ في أحضانهما، واعتنق -بعد مدة - الأشعرية أصولا والشافعية فروعا، ورغم هذا التمذهب، فقد كان يحضر مجالس المناظرات العلمية التي كانت تقام بالبصرة بين الفرق الإسلامية المختلفة، وكان أن تعرف في تلك السنين على رجالات المعتزلة، وكان منهم عالم الاعتزال المشهور أبي إسحاق بن عياش(٤)، فاقتنع بالأصوليات الاعتزالية مذهبا، إثر مداراساته مع أبي إسحاق الذي صاحبه القاضي مدة من الزمن، ودرس عليه علم المعتزلة؛ فأبو اسحاق يشكل طفرة في حياته الفكرية، وبقي عبد الجبار وفيا له، ويستشهد به ويثني عليه(٥).

و وجه اقتناع القاضي بالاعتزال حياته الفكرية وأنار طريق منهجه النقدي، فتخصص في دراسته، وانتقل إلى بغداد عاصمة الفكر والعلم، ليدرس على الشيخ أبي عبد الله البصري(٦)، ولم تكن العلاقة بينهما علاقة أستاذ بتلميذ، بل إن الأستاذ أبا عبد الله البصري تكفل بإقامة القاضي، فأقام عنده مدة مديدة(٧)، حتى فاق الأقران، وخرج وحيد دهره و فريد زمانه، وصنف، وهو بحضرته كتبا كثيرة(٨). وللأسف، فلسنا ندري متى كانت هذه الرحلة، إلا أن تاريخ خروجه من بغداد ثابت، فقد كان ذلك في سنة ٣٦٠هـ، فالحاكم يذكر أن القاضي ابتدأ برامهرز الإملاء في مسجد عبد الله بن العباس متبركا به(٩).

ثم يقصد القاضي في رامهرمز إلى دروس الأستاذ أبي العباس بن رزق (١٠)، وهذا التتلمذ هو آخر مواظبة دراسية للقاضي، إذ لم يحدثنا التاريخ عن طلبه للعلم بعد ذلك.

---

(١)الحاكم، شرح عيون المسائل، ص ٣٦٦.

(٢)عبد الله بن جعفر، ولد سنة٢٤٢هـ وتوفي سنة ٣٤٦هـ محدث أصفهان، من أساتذة عبد الجبار؛ قال عنه ابن حجر ثقة(راجع:ابن حجر، لسان الميزان،ج٣ص٣٨٦.، عبد الجبار، فضل الإعتزال، ص٧٦.

(٣)عثمان، قاضي القضاة،ص ص٥-١٥.

(٤)الحاكم، شرح العيون،ص٣٦٦.

(٥)المصدر السابق،ص٣٦٥.وهو من علماء الإعتزال الطبقة العاشرة القرن الثالث الهجري، له تصانيف كثيرة في الإعتزال، ويثني عليه عبد الجبار كثيرا(راجع ترجمته في: عبد الجبار فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة،ص ص٢٢٨-٢٣٠).

(٦)المصدر السابق،ص٣٦٦؛ أبو وعبد الله الحسين البصري من أكثر الشيوخ تأثيرا على عبد الجبار، متكلم معتزلي من الطبقة الحادية عشرة، فقيه، توفي سنة٣٦٧هـ.(راجع: الحاكم، شرح عيون المسائل، ص ص٣٧٢-٣٧٥).

(٧)المصدر السابق.

(٨)المصدر السابق.

(٩)المصدر السابق، ٣٦٦.وأبو محمد عبدالله بن العباس، من أصحاب أبي علي الجبائي، ويثني عليه عبد الجبار وعلى خلقه كثيرا، وهو متكلم معتزلي من الطبقة التاسعة.(راجع: عبد الجبار، فضل الإعتزال،ص ص٣١٢-٣١٨).

(١٠)الحاكم، شرح عيون المسائل، ص٣٦٦، وأبو العباس بن رزق، معتزلي فقيه، متكلم من الطبقة التاسعة، درس ببغداد، يقول عنه عبد الجبار متعصب، من أصحاب أبي علي وأبي هاشم، وبجلته شيخا له(راجع: عبد الجبار فضل الإعتزال،ص ص٣١٧-٣١٨).

## ثانيا: مرحلة النضج والتدريس

لازم القاضي عبد الجبار مسجد أبي محمد بن العباس الرامهرمزي، مدرسا فيه، ومبشرا بالأصول الاعتزالية، وداعيا إليها، ويبدو أن سبب اختياره له أنه كان منارة الاعتزال في ذلك العهد(١). وأملى بهذا المسجد كتابه الكبير المغني في أبواب العدل والتوحيد، حتى اشتهر صيته في الآفاق و صار علم الاعتزال و منارته(٢).

ثم لم يلبث أن تعرف على الصاحب بن عباد(٣)، فاستدعاه إلى الري سنة٣٦٦هـ، فينتقل إليه، ليلازمه(٤).

وقد أمضى عبد الجبار في الري مدة طويلة لم يخرج منها، ولم يغادرها إلا في سنة ٣٧٩هـ، حيث قصد البيت الحرام حاجا، إلا أنه قد زار بعض البلدان المجاورة يحاضر فيها ويدرس(٥). وكانت العلاقة وثيقة بين الصاحب بن عباد أعظم وزراء بني بويه وبين القاضي عبد الجبار(٦)، وتوطدت الصلة بينهما حتى أن الصاحب بن عباد كان يثني عليه كثيرا، ويقول إنه:(أعلم أهل الارض جميعا)(٧). وكان القاضي يبادله نفس الاحترام، ويحرص على حضور دروسه، و يستشهد بآرائه في مؤلفاته(٨).

وهذه المرحلة قد تميزت بالجد وطلب المعرفة، والنهل من الاعتزال، ونشر الاعتزالية في بقاع من العالم الإسلامي.

وبعزل الصاحب بن عباد، دخل عبد الجبار عهدا جديدا.

## ثالثا: مرحلة العزل

ما أن عزل الصاحب بن عباد، حتى قرر فخر الدولة مصادرة أمواله وأموال كل الذين لهم علاقة وطيدة مع الصاحب، وكل من خصهم برعاية، ومن هؤلاء عبد الجبار(٩).

ولما مات الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥هـ، عزل عبد الجبار من منصب القضاء الذي

---

(١)الحاكم، شرح عيون المسائل، ص٣٦٦.
(٢)المصدر السابق، ص ص٣٦٥-٣٦٦.
(٣)عثمان، قاضي القضاة،ص ص٣٧-٣٨.والصاحب بن عباد، هو أبو القاسم الطالقاني، معتزلي، من الطبقة العاشرة، وليل وزارة بني البويه، منسنة٣٦٦إلى ٣٨٥هـ كان يميل إلى الزيدية(راجع: الحاكم، شرح عيون المسائل،ص١٥٥)
(٤)الحاكم، شرح عيون المسائل،ص٣٦٦.
(٥) المصدر السابق،ص٣٦٦.
(٦)عثمان،قاضي القضاة،ص ص٣٧-٣٨.
(٧)الحاكم، شرح عيون المسائل، ص ٣٦٦.
(٨)راجع:عثمان، قاضي القضاة، ص ص٣٩-٤٢.
(٩)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٩،ص٦٧.

وليه، وحكم عليه وعلى رجاله أن يدفعوا ثلاثة آلاف درهم(١)، خاصة وأنه قد أثرى ثراء عظيما(٢). والمصادرة كما ذكرنا في الحالة الاقتصادية كانت موردا اقتصاديا هاما للدولة آنذاك.

واشتغل عبد الجبار بعد العزل والمصادرة بالتدريس والتأليف، وكتب الكثير من كتبه(٣).

وأبرز ما تميزت به هذه المرحلة اهتمام عبد الجبار بنشر الاعتزالية والتدريس(٤). وبقي على ذلك إلى أن وافته المنية في شهر ذي القعدة، سنة خمس عشرة وأربعمائة هجرية، كما ذكر أكثر الرواة، ويكون بذلك قد مات في التسعين من عمره، رحمه الله(٥).

## المطلب الثالث: ثقافته

عرف عبد الجبار بسعة ثقافته، فقد شد الرحال للعلم منذ صغره، طالبا في شيراز، وهمذان والبصرة، ومحصلا معارف مختلفة، وأفكار مدارس مختلفة؛كالأشعرية والإعتزالية، والشافعية وغيرها.

ومهما يكن من أمر، فإن عبد الجبار قد تميز بثقافات كثيرة، وتحصيل متنوع لعلوم مختلفة، نذكر منها مايلي:

### أولا: أصول الفقه

عرّف عبد الجبارعلم أصول الفقه بأنه:(الطرق إلى الفقه والأحكام الشرعية)(٦). إذ هو العلم الذي يهتم بكشف دلالات الأحكام.

وقد ذكرنا في مراحل حياة عبد الجبار شغفه بالدراسات الفقهية، والكلامية، ومن ذلك شغفه بالدراسات الأصولية، إذ أنه قد خلف ثروة ضخمة من المؤلفات في هذا العلم، فكتب فيه كتبا مختلفة، منها الإختلاف في أصول الفقه(٧)، وكتاب أصول الفقه(٨)، و كتاب العمد(٩)،

---

(١)المصدر نفسه.
(٢)النوري، تاريخ العراق الإقتصادي ص٢٤٣-٢٤٥.
(٣)عثمان، قاضي القضاة، ص ص٣٩-٤٢.
(٤)المصدر السابق، الحاكم، شرح عيون المسائل، ص ص٣٦٦-٣٦٩.
السبكي، طبقات الشافعية،ج٣، ص٢٢٠، ابن حجر، لسان الميزان، ج٣، ص٣٨٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢٠٣.
(٥)عبد الجبار، فضل المعتزلة وطبقات المعتزلة، ص١٩٣.
(٦)عثمان، قاضي القضاة، ص٦١.
(٧)المصدر السابق.
(٨)المصدر السابق
(٩)المصدر السابق، وقد حققه حديثا الدكتور حسن حنفي.

وكتاب شرح العمد(١)، وغيرها(٢). وأهمها كتاب العمد، الذي يعد من أعظم كتب هذا الفن، والذي ترك آثارا واضحة على الأصوليين من بعده(٣)، وله قيمة معرفية عظيمة بين الأصوليين، يقول الزركشي في معرض حديثه عن تاريخ علم الأصول: جاء من بعد الشافعي من اهتموا بالكتابة فيه،(فبينوا وأوضحوا وبسطوا وشرحوا حتى جاء القاضيان، قاضي السنة أبو بكر بن الطيب، و قاضي المعتزلة عبد الجبار، فوسعا العبارات وفكا الإشارات، وفصلا الإجمال ورفعا الاشكال، واقتفى الناس بآثارهما، وساروا على لاحب نارهم)(٤)، وتأثير عبد الجبار لم يكن قاصرا على المعتزلة فحسب، بل امتد ليشمل الكثير من الأصوليين(٥).

ويقول عبد الجبار في توضيح أهمية أصول الفقه:(أن صاحب فروع الفقه من غير معرفة بأصوله كالقابض بكفه على الماء)(٦)، وهو مايكشف عن قيمة هذا العلم عنده.

ومن تاريخ علم أصول الفقه يتبين أن الأصوليين قد نهجوا منهجين في دراسة الأصول، منهج الفقهاء، ومنهج المتكلمين؛ فأما منهج الفقهاء فهو نهج يعتمد الوقائع الفقهية أساسا، ليخرج منها بقواعد أصولية ومنهجية في كيفية التعامل مع نصوص الشرع(٧). وأما منهج المتكلمين فيعتمد على تجريد قواعد الأصول، ودراستها دراسة عقلية، دون إلتفات إلى تطبيقها في الواقع الفقهي(٨).

والقاضي عبد الجبار يعد أحد أعلام المدرسة الكلامية في الدراسة الأصولية، ولا ينازعه في ذلك إلا الباقلاني(٩).

وعبد الجبار لم يرض لنفسه إدخال المنطق الأرسطي في معالجة مسائل هذا العلم، إذ النظار في عصره كانوا يعدون ذلك زيغا، ويستخدمون بدله الطريقة الإسلامية في الاستدلال، وهو ما يكشف عن جانب أصيل من دراسات عبد الجبار لم يهتم بكشفه بعد(١٠).

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق،ص٦١-٦٢.
(٣)عثمان، قاضي القضاة،ص ص٨٢-٨٦.
(٤)محمد بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني، ومراجعة عمر سليمان الأشقر، ط٢،(الكويت: دار الصفوة للطباعة والنشر و التوزيع،١٩٩٢) ج١، ص٦.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.
(٧)مصطفى سعيد الخن،أثر إختلاف القواعد الأصولية في إختلاف الفقهاء، (بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢)،ص١٢٥، وما بعدها
(٨)المصدر السابق.
(٩)الزركشي، البحر المحيط،ج١، ص٦
(١٠)النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام،(بيروت: دار النهضة، ١٩٨٦) ص٩٤.

والأدلة أو مصادر الاستدلال عند عبد الجبار أربعة، وهي دلالة العقل، والكتاب، والسنة والإجماع(١).

ويظهر جليا أن عبد الجبار يقر بالنص كتابا أو سنة كمصدر تشريعي، وإن كان هنالك تصنيف للدلالات بحسب قوتها وإفادتها اليقين تبعا لتواترها؛ فالمتواتر يفيد اليقين، والآحاد لا يفيد إلا الظن(٢)،ولذلك، يعول على المتواتر في العقائد والشرائع، ولا يعول على الآحاد إلا في الشرائع، إذ أن العقيدة لا تؤخذ إلا من طريق يقين(٣).

ويصنف عبد الجبار أدلة الشرع تصنيفا آخر، فيجعلها نوعين، مفردة، ومركبة، كما يلي:

١ – الأدلة المفردة: وهي نوعان، ما يكون عن طريق قطع، كالكتاب والسنة المتواترة والاجماع؛ وما يكون عن غير ذلك، كخبر الواحد والقياس(٤).

٢ – الأدلة المركبة: وهي الأدلة التي تتألف من نوعين من الأدلة المفردة، كالكتاب والقياس، أو السنة والقياس(٥).

فعلم الأصول في نظر عبد الجبار تقرير متكامل حول مصادر الاستدلال الفقهي، وكيفية التعامل معها، إن في التفسير، وإن في التعارض.

إن أهم مايمكن أن نسجله على دراسته الأصولية أنه جعل منها مادة عقلية تعالج بأدوات كلامية كما تعالج قضايا علم الكلام.

**ثانيا: علم الكلام**

من الفنون التي اشتهر بها عبد الجبار علم الكلام. وإذا كان الرأي السائد عند كثير من الباحثين والمؤرخين أن علم الكلام هو بدعة بالمفهوم

---

(١)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٤٠.
(٢)عبد الجبار أحمد بن أحمد بن عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج٥، ص١١١ فضل الإعتزال، ص١٩٣.
(٣)المصدر السابق.
(٤)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج١، ص٤٠
(٥)المصدر السابق.
(٦)عبد الجبار، فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة، من ص١٨٣.

الشرعي، ولم يعرفه السلف، فإن عبد الجبار يرى خلاف ذلك؛ إذ أن الصحابة لهم أقوال كلامية يرويها في طبقاته في المسائل العقدية الكلامية، فيروي آراء كلامية عن أبي بكر وعلي، وغيرهما، وهوما يؤيد به مشروعية هذا العلم، وسلفيته(١).

وعلم الكلام كما يرى عبد الجبارهو أشرف العلوم، إذ ترجع أهميته إلى مضامينه التي يحتويها،ونذكر منها مايلي:

أولا:أن موضوع هذا العلم هو الله وصفاته، والعلوم تتفاضل بمواضيعها، فكان الكلام أشرف العلوم على الإطلاق، إذ هو أصل سائر الشرائع.

ثانيا:أن هذا العلم قطعي الدلالة، إذ يرجع إلى الضروري من العقل، والنظر العقلي المقنن.

ثالثا: لما كان هذا العلم أساسه كليات العقل وبديهياته، فهو علم لايختلف باختلاف الزمان والمكان(٢).

وإذا كان علم الكلام بحرا من المدارس الكلامية، فإن عبد الجبار ارتضى لنفسه الاعتزال، فالتزمه، وبرزفيه، وبذل حياته من أجله، حتى قال عنه الحاكم:(وليس تحضرني عبارة تنبئ عن محله في الفضل وعلو منزلته في العلم، فإنه الذي فتق الكلام ونشره، ووضع فيه الكتب الكثيرة الجليلة التي سارت بها الركبان، وبلغت الشرق والغرب، وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لأحد مثله)(٣).

وآثر عبد الجبار الدراسات الكلامية على غيرها من الدراسات الشرعية، كالفقه والأصول، والقضاء، رغم أنه قد أوتي من ذلك حظا عظيما، فيروي عنه الحاكم أنه كان يقول:(للفقه أقوام يقومون به طلبا لباب الدنيا، وعلم الكلام، فلا غرض فيه سوى الله تعالى)(٤). فخصه بتأليفات كثيرة تربو على المائة بين كتاب ورسالة(٥).

وقد اشتغل عبد الجبار إضافة إلى علم الكلام وأصول الفقه بعلوم أخرى كاللغة والتفسير والحديث، وصنف فيها كتبا(٦).

---

(١)عبد الجبار، فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢١٤.
(٢)المصدر السابق، ص ص١٨١-١٨٥.
(٣)الحاكم، شرح عيون المسائل،ص٣٦٥.
(٤)المصدر السابق، ص٣٦٧.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق

## المبحث الثالث:

# ردوده

# على النصارى

اهتم عبد الجبار بدراسة ونقد فرق المذاهب الإسلامية. كما اهتم بدراسة الأديان التاريخية المشهورة، حيث خص لها الجزء الخامس من كتابه **المغني**(١). والجدير بالذكر هنا أن هذا الجزء من المغني هو الذي تناول فيه عبد الجبار **أصل التوحيد**، وهو ما يدل على تصوره المعرفي العام الذي تضبط به دراسة قضايا الأديان؛ فالأطروحات العقدية للأديان الأخرى هي شبه ترد على أصل التوحيد الكلامي، وهو ما يقتضي عملا نقديا وممارسة ردية، تبين السقيم منها من الصحيح.

وعرض القاضي النصرانية بمختلف طوائفها وآرائها بالتفصيل، واهتم بها أكثر من اهتمامه بأي دين أو طائفة أخرى، ولعل ذلك لكثرة مخالطة النصارى للمسلمين، وقيام المناظرات المستمرة فيما بينهم(٢)، وأيضا فالنصارى يشكلون جمهرة كبيرة تقيم بين ظهراني المسلمين على عكس اليهود الذين كانوا قلة بينهم(٣)، كما أن دولتهم البيزنطية تعد من أقوى الدول التي تشكل خطرا على الأمة الإسلامية، وقد كان عبد الجبار وهو القاضي، شاعرا بخطرهم، ومتخوفا منهم(٤)، وهو مايعطي للردود بعدا واقعيا، وأثرا اجتماعيا.

وردود عبد الجبار على النصارى تميزت بخصائص كتابية مختلفة، نلخصها في المطالب التالية:

١. **مؤلفاته في الرد على النصارى.**
٢. **منهجه في تصنيف الردود على النصارى.**
٣. **مصادره في دراسة النصرانية.**
٤. **المباحث النقدية لردوده**

---

(١)عبد الجبار،**المغني في أبواب العدل والتوحيد**،ج٥، تحقيق (القاهرة:المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر-الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة،١٩٥٨).

(٢)راجع تمهيد هذا البحث.

(٣) متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع**،ج١، ص ص٨٥-٩٥ .

(٤)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، صص١٨٥-١٨٦

## أولا: مؤلفاته في الرد على النصارى.

ازدهرت في الحضارة الإسلامية كتابات إسلامية في الرد على النصارى، ولاتكاد نعثر الآن إلا على قليل منها(١).

ويبدو أن هنالك روايات صريحة مفادها أن عبد الجبار قد أفرد كتابا في الرد على النصارى(٢)، ولكننا على يقين أنه لم يصلنا(٣). والظن أن هذا الكتاب ليس كتابا منفردا، وإنما هو جزء من كتابه شرح الأصول الخمسة، حيث جعل ختام الجزء الأول في الرد على النصارى(٤).

وبتتبع ردود عبد الجبار يمكننا أن نعتمد تصنيفا لها تبعا للأهمية والإحاطة بالأغراض النصرانية، يقسمها إلى مصادر أساسية، ومصادر مكملة، كما يلي:

### ١ – المصادر الأساسية

تناول عبد الجبار النصرانية بإسهاب في عدة من كتبه، وهي:

**الكتاب الأول: شرح الأصول الخمسة**

وهو كتاب كلامي بحت، وثابت النسبة إلى القاضي عبد الجبار(٥)، ولعل الخلاف الذي يذكر هنا هو اسم الكتاب؛ فهل شرح الأصول الخمسة معناه شرح كتاب، اسمه "الأصول"، أو أنه شرح القواعد الأساسية للاعتزال، والتي هي بمثابة الأصول؟

والكتاب لم يكتبه القاضي عبد الجبار كتابة، وإنما أملاه إملاء، وهي طريقة معروفة في تصنيف الكتب الإسلامية.

وحقيق بنا أن نذكر أن لهذه الأمالي كاتبين، هما تلميذا عبد الجبار، أبو أحمد بن اسماعيل علي الفيروزادي الزيدي، وأحمد بن أبي هاشم الحسيني الزيدي المعروف بمانديكم، وهو مايفسر لنا عبارات ترد في الكتاب، كقوله:(بدأ قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله في هذا الشرح سؤال الأصول الخمسة، فقال:[...]،ثم ثنى، فقال:...)(٦)، وغيرها كثير.

وتظهر زيدية مانديكم الزيدي في مبحث الإمامة، فيذكر آراء القاضي، ثم يثبت رأي

---

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، من ص١٢٣–١٧٠.
(٢)حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢، ص٣٥٣.
(٣)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ١٦٩.
(٤)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص ص١١٠–١١٩.
(٥)عثمان، قاضي القضاة، ص٦٦.
(٦)عبد الجبار شرح الأصول الخمسة،ج١، ص١.

الزيدية في القول بأفضليه أمير المؤمنين على الشيخين(١).

ونقل التلميذ ماتديكم موثوق به، وخاصة ما تعلق بالرد على النصارى، فلو أجرينا مقارنة بين مضمون المغني ومضمون شرح الأصول الخمسة، لوجدناهما متماثلين، إلا أن هذا الأخير مختصر.

وعبد الجبار تناول في كتابه الأصول الخمسة تحليل جميع الأصول الاعتزالية، فدرس التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعد والوعيد(٢)، وخص قسما من الأصل الأول 'التوحيد' بدراسة تحليلية للأديان، فبعد أن تناول قضايا الذات والصفات الإلهية، تناول قضايا الأديان المختلفة، من ثنوية ونصرانية، وغيرها(٣)، وهو ما يجعلنا ندرك أن عبد الجبار كان يرى إشكاليات الأديان الأخرى في التوحيد.

والكتاب لم يطبع إلا حديثا بتحقيق عثمان عبد الكريم(٤)، وأعيد طبعه مؤخرا في الجزائر(٥).

**الكتاب الثاني: المغني في أبواب العدل والتوحيد**

ومن أهم كتب القاضي عبد الجبار كتاب المغني في أبواب العدل و التوحيد، في عشرين مجلدا، ويذكر الحاكم في طبقاته أنه بدأ في إملائه برامهرمز سنة ٣٦٠هـ(٦).

والكتاب صحيح النسبة لعبد الجبار، ويدل على ذلك إسناده القول لنفسه في ثنايا الكتاب، وليس هذا فقط، بل إن القدامى والمحدثين اتفقوا على نسبته إليه(٧).

والكتاب كتاب كلام وبحث عقلي، ووثيقة نادرة تعكس المنطق الإسلامي في أوجه الأول قبل أن يشوبه المنطق اليوناني، فيوظف الحجاج العقلي، ليدلل على العقائد الإسلامية(٨).

وأصل هذا الكتاب أمالي أملاها في مسجد رامهرمز، قلعة الاعتزال، ودامت كتابته عشرين سنة وتيفا، وانتهت في ٣٨٠هـ(٩).

ترى كيف يكون المغني إملاء؟

وتزول حيرتنا إذا علمنا أن كثير من العلماء المعاصرين للقاضي جرت عادتهم في كتابة كتبهم أن تلقي أمالي، ثم تجمع بعد ذلك، لتصير كتابا(١٠).

---

(١)المصدر السابق،ج٢، فصل الإمامة.
(٢)راجع : فهرست شرح الأصول الخمسة، حيث يتأكد هذا النقد.
(٣)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص ص١٩٩-٢١٣.
(٤)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، بتحقيق عبد الكريم عثمان،(بيروت، دار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٦٧)
(٥)عبد الجبار شرح الأصول الخمسة،ج١،ج٢بتحقيق عبد الكريم عثمان،( الجزائر:-ضمن سلسلة أنيس- موفم للنشر والتوزيع،١٩٩٠)
(٦)الحاكم، شرح عيون المسائل، ص٣٦٦.
(٧)المصدر السابق، ص٧٠.
(٨)على سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام،ص٩٤، ص ص١٣٢-١٣٣.
(٩)عثمان، قاضي القضاة عبد الجبار، ص٧٠و الحاكم، شرح عيون المسائل، ص٣٦٦.
(١٠)المصدر السابق.

وهذا الكتاب لم يعرف النور في عصرنا إلا في عهد قريب، إثر بعثة علمية أرسلت إلى اليمن بحثا عن مخطوطاته، حيث عثر عليه، وكان أن طبع تحت إشراف المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر برعاية الدكتور طه حسين عام ١٩٦٠م.

وعبد الجبار تناول في المغني الأصول الاعتزالية الخمسة، حيث أرجعها إلى أصلين، وهما التوحيد والعدل، وخصص نهاية المبحث الأول-التوحيد- لدراسة الأديان المختلفة(١).

وقد يبدو تناول الأديان مع التوحيد غريبا، إلا أنه يدل دلالة قاطعة على طبيعة موقف القاضي من الفرق غير الإسلامية، وعلى الأسس التي تحكم عقله في تعامله مع عقائدها. فتناوله لها مع أصل التوحيد يدل على أنه كان يرى في الأديان الأخرى شبها تثار حول العقائد الإسلامية، وهو ما يكشف عن طبيعة الدراسة المنهجية المقترحة؛ فهي رد، لا دراسة فقط، وتريد إثبات معقولية العقائد الإسلامية.

ومن الأديان التي تناولها عبد الجبار في المغني النصرانية، واهتم منها بنقطتين نقديتين، وهما التثليث والاتحاد(٢).

ولعل أهم سؤال نطرحه هنا، لماذا اكتفى القاضي بمعالجة هاتين النقطتين فقط؟ ألأنه يراهما أهم ما يعترض على العقائد النصرانية، أم لسبب آخر؟

ويبدو أن القاضي كان وفيا لمنهجه الذي اختطه لنفسه في كتابه المغني، فانشغاله بهذين العنصرين فقط، راجع إلى ارتباطهما الموضوعي بمبحث أصل التوحيد، الأصل الذي اهتم بتحليله في كتبه الكلامية(٣).

**الكتاب الثالث: تثبيت دلائل النبوة**

وهو ثالث كتاب أثار فيه عبد الجبار الدراسة النقدية للعقائد النصرانية، وقد تناولها في إطار استدلاله على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام؛ ولذلك سماه بتثبيت دلائل النبوة.

والتثبيت طبع حديثا بإشراف وتحقيق عبد الكريم عثمان في مجلدين(٤)، والجزء الأول منه خصصه عبد الجبار لدراسة بعض معجزات الرسول والإبانة عن وجه إعجاز القرآن، ثم استعرض أعلام نبوته وإخباره عن النصرانية ودقيق مذاهبها، وبيان ما أشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام، ثم الإبانة عن ما جاء به الرسول من حول الزعم بصلب المسيح، واختلاف النصارى حول الأناجيل، وتأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اختلافهم، وأن كل ذلك من مظاهر إعجاز الشريعة الإسلامية، وصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام(٥).

---

(١)عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق، ج٥، ص ص٨٢-٢٠٠.
(٢)المصدر السابق،ج٥، فصل التثليث وفصل الإتحاد، من ص٨٠-١٥١.
(٣) Monnot,Islam et Religion,pp243-255، حيث اهتم بتحليل جزء من مباحثه النقدية.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، بتحقيق عبد الكريم عثمان،٢ج،(بيروت:، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦)
(٥)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ ص ص٩١-٢٣٥.

وهذا الكتاب لم يرد به القاضي عبد الجبار إبطال عقائد النصارى، يقول:( **وقد ذكرت لك أنه ما قصدنا بيان فساد النصرانية، إنما قصدنا البيان عن مفارقتهم لدين المسيح و مخالفتهم له في الأصول و الفروع جميعا مع شدة تحققهم به، وأن علم محمد صلى الله عليه وسلم بذلك إنما هو من قبل الله عز وجل، وأن ذلك من معجزاته وآياته**)(١).

فاهتمام عبد الجبار في هذا الكتاب منصب حول عنصرين متكاملين، وهما:

١ - **الإبانة عن مظاهر الإعجاز القرآني** في إخباره عن دقائق عقائد النصارى وتاريخها، وأن ذلك أصل في إعجازه المعنوي(٢).

٢ - **محاولة إثبات النظرية القرآنية في عقائد النصارى**، وهو ما عناه بإثبات (مخالفة النصارى للمسيح عليه السلام في الأصول والفروع)(٣)، إذ أن ذلك ما يراه القرآن في حقيقة العقائد النصرانية- كما تبين لنا في التمهيد-.

وهو بهذا يعطي بعدا عقديا آخر للدراسات النصرانية، ويجعلها وثيقة الصلة بمباحث النبوة.

**٢. المصادر المكملة**

وهي:

١. **تنزيه القرآن عن المطاعن**(٤).
٢. **متشابه القرآن**(٥).
٣. **المجموع في المحيط بالتكليف**(٦).
٤. **فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة**(٧).

فهذه تمدنا جميعا بتصورات عن كثير من المسائل المثارة في ردوده على النصارى.

**ثانيا: منهجه في تصنيف الردود على النصارى.**

---

لتاريخ علم الأديان تاريخ عريق في الفكر الإسلامي يرجع إلى زمن نزول الوحي على النبي عليه الصلاوة والسلام، وقد بدأت تتضح معالم الموقف الإسلامي من الأديان الأخرى فيما بعد في بحوث ودراسات ومناهج مختلفة، وهذه الدراسات والمناهج هي مايلي:

**١ - منهج التصنيف الكلامي**

وهو المنهج الذي يهتم بتوظيف الطريقة الكلامية في دراسة الأديان، بخصائصها

---

(١)المصدر السابق، ص١٩٨.
(٢)المصدر السابق، ص٩١.
(٣)المصدر السابق، ص١٩٨.
(٤)عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن،(بيروت:الشركة الشرقية للنشر والتوزيع-دار النهضة الحديثة،د.ت)
(٥)عبد الجبار متشابه القرآن، تحقيق:عدنان زرزور،(القاهرة: دار التراث،د.ت)
(٦)عبد الجبار،المجموع في المحيط بالتكليف، جمع ابن متويه،تحقيق: جين اليسوعي،(بيروت:المطبعة الكاثوليكية،١٩٦٢).
(٧)عبد الجبار، فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة-تحقيق فؤاد السيد-ط٢،(تونس:الدار التونسية للنشر-الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٦).

المتميزة(١)، ونميز فيه طريقتين:

أ - الطريقة الموسوعية

وهو منهج يهتم بدراسة الأديان المختلفة مع قضايا علم الكلام، فيتناولها بالعرض والنقد والتحليل، حيث تثار مسائلها وعقائدها في طيات مباحث علم الكلام، لتدرس مع شبيهها من قضاياه. فالإلهيات تدرس مع التوحيد، والنسخ يدرس مع العدل، وهكذا.

ومن أشهر أمثلة هذا المنهج كتاب **التمهيد** للباقلاني(٢).

ب - الطريقة الأحادية

من أشهر المناهج التي سادت الفكر الإسلامي المنهج الذي يهتم ببحث الأديان، فيعرض عقائده، ويحللها، وينتقد منها مارآه قابلا لذلك، ومن أمثلته كتاب **الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة** للقرافي(٣)، **والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لابن تيمية(٤).

٢ - منهج تصنيف علم الأديان

هومنهج علم الملل والنحل الإسلامي، والأكثر توظيفا. فيتناول الأديان بالعرض والتحليل والنقد، والرد على عقائدها. ويختلف عن المنهج الأول باستعراضه الأديان دينا دينا، كما يستعرض الفرق الإسلامية، خلافا للمنهج الكلامي الذي يدرس قضاياها مع قضايا العقيدة.

ومن أشهر الأمثلة التي تمثل هذا المنهج كتاب ابن حزم **الفصل في الملل والأهواء والنحل**(٥).

٣ - منهج التصنيف التاريخي

وهو من أشهر المناهج الموظفة في دراسة تاريخ الأديان المختلفة(٦). وهو توجه تصنيفي يهتم بالحدث قبل كل شيء، وترتيبه زمنيا، إما انفرادا، وإما في إطار التاريخ العام، ويشمل عدة طرق دراسية، ومنها مايلي:

أ - الطريقة التاريخية

وهي طريقة سردية تدرس التعاقب التاريخي للوقائع الدينية، في أفقها الزمني، دون اهتمام بالأفق الآني، فترى البحث ينصب على تحليل الأحداث، ومن أشهر التصنيفات **تاريخ اليعقوبي**(٧)، والشهرستاني في **الملل والنحل**(٨).

---

(١)راجع حول ذلك الفصل الثاني، مبحث علاقة الرد بالعلوم.

(٢)أبوبكر الباقلاني، التمهيد في علم الكلام،(بيروت: المطبعة الكاثوليكية،د ت)

(٣)القرافي، الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٩٨٦)

(٤)تقي الدين بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،(مصر:مكتبة المدني،د ت)

(٥)ابن حزم،الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة: مكتبة الخانجي،١٣٢١هـ)

(٦) Monnot, Islam et Religions,pp95-120.

(٧)راجع:اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج١ص٦٨،ص ص١٥٣-١٥٦

(٨)الشهرستاني،الملل والنحل،(مصر: دار الندوة الجديدة،د ت)

ب – الطريقة الإثنولوجية

وتهتم بإحصاء الأديان المعروفة وعرض عقائدها من دون نقد، فيدرسها على أساس أنها اكتشاف اثنولوجي، ويتناول عقائدها وطقوسها، وتندرج تحتها ملاحظات الرحالة المسلمين، كمحاولات البيروني(١).

٤ – المنهج المقارن

وهو منهج يهتم بدراسة نقاط التشابه والاختلاف الموجودة بين الإسلام وغيره من الأديان، أوبين دين وآخر، ولم يعرف تطبيقا واسعا في دراسة الأديان بين المسلمين، فكان يقتصر على جزئيات فقط. أما المقارنة بين دينين فهي من القلة بحيث لاتسجل إلا دراستين، ممثلة في كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، للعامري، حيث اهتم بالمقارنة بين الإسلام وثمانية أديان أخرى، ليصل إلى نتائج عقدية ومعرفية خطيرة تتعلق بمناقب الإسلام(٢)، وسنرى توظيفا آخر مميز في كتاب تثبيت دلائل النبوة، لعبد الجبار.

ومن خلال تتبع مؤلفات عبد الجبار نلاحظ أنه قد نهج نهجين مختلفين في دراسة النصرانية، وهما:

١ – نهج المغني والأصول الخمسة والمحيط

٢ – نهج تثبيت دلائل النبوة

١ – نهج المغني والأصول الخمسة والمحيط

لم يفصل فيها عبد الجبار بين دراسته للأديان وبين قضايا علم الكلام المختلفة، فتناول عقائدها بمناهج كلامية، مستخدما أدوات استدلالية عقلية، وفقا للمنهج الأول الذي استعمله الفكر الإسلامي،أي المنهج الموسوعي الكلامي، واحتلت الدراسة النقدية للأديان الجزء الأخير من أصل التوحيد، لتدرس كشبه تثار عليه (٣).

٢ – نهج تثبيت دلائل النبوة

أما ثاني منهج اعتمده عبد الجبار في دراسته للنصرانية، فهو منهج تثبيت دلائل النبوة، حيث عرض للأديان في معرض دراسته للنبوة،والتدليل على صدق نبوة محمد– صلى الله عليه و سلم.

وإذا كانت الكتب السابقة قد كتبت للكشف عن تناقضية النسق العقدي النصراني كلاميا، فإن التثبيت كتب ليبين صدق المنطلقات القرآنية ومواقفها من النصرانية، وأن ذلك دليل من دلائل نبوة محمد عليه السلام، ومع ذلك، فإننا نجد لفتات حول عقائد النصارى (وحكايات أقوالهم والرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب، لاسيما حكاية تسابيحهم

---

(١)أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.

(٢)أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د.أحمد عبد الحميد غراب،(مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٦٧).

(٣)عبد الجبار،المغني،ج٥،ص ص٨٢–١٥٠،وأيضا:شرح الأصول الخمسة،ج١،ص ص١١٠–١١٦، وأيضا: المحيط بالأصول التكليف،ص ص ٣٢٤–٣٢٥.

وأقاويل رؤسائهم ، فاحتفظ بذلك فإنك لاتكاد تجده في كتاب وبك إلى حفظه أمس الحاجة)(١).

فعبد الجبار يدرس الموقف القرآني من النصرانية على أنه من أدلة وأمارات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام.

## ثالثا: مصادره في دراسةالنصرانية

يظهر من القراءة الأولية أن عبد الجبار اعتمد على مصادر مختلفة في دراسة النصرانية، ونقسمها إلى قسمين كمايلي:

### أولا: المصادر الإسلامية

قد اعتمد عبد الجبار على مصادر إسلامية مختلفة، ومتفاوتة القيمة. ويمكن أن نصنفها إلى ثلاثة أنواع، وهي:

#### ١ – القرآن

أول مصدر اعتمده عبد الجبار في دراسة النصرانية القرآن، وليس أدل على ذلك من استشهاده به في ردوده، واعتماده عليه في تقرير الحق من المسيحولوجيا(٢).

#### ٢ – الكتابات الإسلامية

نجد عدة مصادر إسلامية يستشهد بها عبد الجبار في ردوده، وهي قسمان؛ مصرح بها، وغير مصرح، كمايلي:

##### أ – المصدر المصرح بها

صرح عبد الجباربمصادر نقدية رجع إليها في نقده للنصارى، يقول في ذلك:(فأما المسألة والرد عليهم فكثير، فمن ذلك كتاب الجاحظ، وكتاب آخر يعرف بالرسالة العسلية، لأبي جعفر الإسكافي، ولأبي بكر بن أحمد بن علي بن الأخشيد قطعة حسنة في كتاب المعونة، ولأبي عيسى الوراق كتاب عليهم، ولأبي علي كتاب عليهم، ولأبي هاشم مسألة في البغداديات، وفي أصول بن خلاد وفي شرحه، وفي الإيضاح لأبي عبد الله البصري في الرد عليهم رحمة الله عليهم أجمعين كلام عليهم)(٣). والملاحظ على عبد الجبار في رده على النصارى أنه يرجع إلى بعض هذه المصادر أكثر من غيرها ويأتي في أول القائمة أبوعلي

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١ص١٩٨.
(٢)المصدر السابق، ص ص١٥٥-١٧٠.
(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١ص١٩٨. وراجع الشرفي، الفكر الإسلامي، ص ص بخصوص تحليل هذه الكتابات وترجمة لصحبها.

الجبائي(ت٣٠٣هـ)، ويشير إليه مرارا(١)، كما يحيل إلى الحسن بن موسى النوبختي مرارا(ت٣١٠هـ)(٢)، والجاحظ(ت٢٥٥هـ)(٣).

ب - المصادر غير المصرح بها

يمكننا أن نستشف بعض المصادر التي اعتمد عليها عبد الجبار، ولم يصرح بها، ولم يشر إليها، كابن ربن الطبري (ت.٢٤٠هـ)، صاحب كتاب الدين والدولة،ولم يتضح لنا إلا بالمقارنة(٤). كماتكشف المقارنة بينه وبين رد الوراق عن تأثر عبد الجبار به في كثير من المسائل(٥).

٣ - ملاحظاته للواقع المسيحي

لم تكن اهتمامات عبد الجبار قاصرة على المطالعة فقط، فقد تمكن من ملاحظات ميدانية للواقع المسيحي، وهو القاضي الذي يهتم بواقع المسلمين، فسجل لنا في "تثبيته" ملاحظات اجتماعية للواقع المسيحي، كما سجل لنا ملاحظات بعض المسلمين للواقع المسيحي، خاصة أولئك الذين عايشوا الروم من الداخل، ويروي عنهم ما يفيد في تصوير المعتقدات الشعبية(٦)، والواقع الرومي(٧).

ثانيا: المصادر المسيحية

اعتمد عبد الجبار على مصادر مسيحية مختلفة، وهي:

١ - الأناجيل

يشير إليها مرارا في التثبيت(٨)، وبالمقارنة بين الآيات التي أوردها والأناجيل الحالية نجد التوافق بينهما غالبا. هذا إذا أخذنا في الحسبان دور الترجمات المختلفة والمتتالية في تغيير الألفاظ، وتبديل الأسلوب(٩).

ورغم هذا، فإننا نسجل وجود آيات يستدل بها عبد الجبار على أنها من الإنجيل، ولا نجد مثيلاتها في الأناجيل الحالية، كالآيات التي أوردها بشأن الصلب، إذ يبدو أن تلك الروايات لا تتفق مع أي إنجيل من الأناجيل الأربعة، وهومايوقع الباحث في حيرة من أمره(١٠).

٢ - الكتابات الدينية المسيحية

يبدو من كتابات عبد الجبار المختلفة أنه كان مطلعا إطلاعا واسعا على الكتابات

---

(١)عبد الجبار، المغني،ج٥ص٩٣ص١١١ص١١٢.
(٢)عبد الجبار،شرح الأصول الخمسة،ج١ص ص٢١٠-٢١١.
(٣)عبد الجبار،المغني،ج٥، ص١٠٧ص١٠٨.
(٤)ابن ربن الطبري، الدين والدولة،(بيروت:دار النهضة،١٩٨٦)
(٥)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص٣١٦-٣٢٨.
(٦)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة، ج١ص.١٧٢.
(٧)المصدر السابق، ص ص٢٠١-٢٠٩.
(٨)المصدر السابق،ج١ص ص١٥٧-١٦٤.
(٩)راجع مناقشة الأدلة الكتابية من الفصل الثالث والرابع، حيث يتضح من خلال توثيق الآيات المستدل بها دقة هذا التقرير.
(١٠)تابع ذلك في تحليلنا لآيات التثليث والتجسد

المسيحية، يقول:( قد اتفق من حكايات أقوالهم والرد عليهم ما لايكاد يوجد في كتاب، لاسيما حكاية تسابيحهم وأقاويل رؤسائهم ، فاحتفظ بذلك فإنك لاتكاد تجده في كتاب وبك الى حفظه أمس الحاجة)(١). ويخصص العشرات من الصفحات، ليروي من عقائدهم وطرق تفكيرهم الشيء الكثير، ليرد على أقوالهم(٢).

ولم يصرح عبد الجبار بمصادره هذه إلا قليلا، فيذكر ثابت أبا قرة(٣) في معرض تناوله للعقائد النصرانية، كما يذكر مراجع استند إليها لا تعرف في وقتنا الحاضر، ومن ذلك كتاب افراكسس(٤).

ومن هذا العرض الموجز للمصادر ندرك أن عبد الجبار كان متعدد المراجع، واسع الاطلاع على العقائد النصرانية.

## رابعا: المباحث النقدية لردوده

تناولنا في المباحث السابقة ردود القاضي عبد الجبار، وبقي علينا أن نعرض مباحثه النقدية.

وإذا اعتمدنا المبدأ السابق في تقسيم كتب عبد الجبار إلى المغني والأصول الخمسة والمحيط من جهة، وتثبيت دلائل النبوة من جهة أخرى، فإننا نستطيع أن نبين تطورا وتغيرا في كيفية تناول واختيار المباحث النقدية.

أما **المغني والأصول الخمسة** والمحيط فقد أثار فيها قضية **التثليث والإتحاد**.

وأما **تثبيت دلائل النبوة**، فقد اهتم فيه عبد الجبار بالإبانة(عن مظاهر الاعجاز القرآني في إخباره عن دقائق عقائد النصارى وتاريخها، وأن ذلك أصل في الاعجاز المعنوي)(٥)، والكشف عن(مخالفة النصارى عيسى عليه السلام في الأصول والفروع)(٦).

ونكون بهذا قد جمعنا من المعلومات حو ل عبد الجبار وردوده ما يساعدنا على تحليل أسس منهجه في الرد على النصارى، ونتائجه النقدية.

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١٩٨.
(٢)المصدر السابق،ص ص٩٢-١٥٥.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص١٥٠. واللفظة يقنانية، معناها العمل او الأعمال.
(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص٩٢
(٦)المصدر السابق،ج١ص١٩٨.

# الفصل الثاني

## أسس منهج
## عبد الجبار في الرد على النصارى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحديث عن الرد على النصارى يجعلنا نفترض منهج متكامل عند عبد الجبار يبين كيفية التعامل مع الأديان وطرق الرد عليها. ولا يخفى أن مصطلح المنهج حديث لم يستخدمه علم الكلام الإسلامي قديما بنفس الدلالة الحديثة، (فالمنهج هو مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم ما بلوغ الحقائق المتوخاة ، مع إمكانية تبيانها والتأكد من صحتها)(١). وهو ما ينبيء عن وجود كل متكامل من التصورات والمفاهيم ، يتم بمقتضاها تحليل المعطيات المدروسة.

وإذا ارتضينا هذا التعريف الاصطلاحي، فإنه يلزمنا تحليل نشاطين معرفيين متكاملين، وهما:

**أولها:** افتراض وجود بنى متكاملة ومتشابكة من المفاهيم والأنساق، يستطيع بها ذلك الموقف التعرفي دراسة حقل معرفي معين، فتكون له النسق الخلفي للنقد.

**وثانيها:** قدرة على تدليل المواقف التي يمكن أن يعتمد، وهو ما يجعلنا نفترض أيضا وجود أدوات استدلالية وتقنيات بحثية، وهو ما يمنح النقد مناهج وطرق بحث مختلفة تمكنه من تبرير مواقفه.

فإذا عدنا إلى كتابات القاضي عبد الجبار نقلب صفحاتها بحثا عن كل ما من شأنه أن يؤسس منهجا ، فإن هذا يفرض علينا أن نسعى بحثا عن هذين النشاطين.

ولما كنا مقدمين على تحليل نص عبد الجبار واستخراج حقوله الدلالية وآلياته

---

(١) راجع: Grawitz, methodesdes sciences sosiales .p347.

المعرفية والإستدلالية في الرد على النصارى، فإن الإحاطة بأساسيات المنهج العام الذي شكل آليات نقد العقائد النصرانية جد مهمة، إذ أنها تمدنا بمعرفة الخلفيات المشكلة للنقد، والموجهة له في الوقت نفسه.

وتوظيف مصطلح المنهج يكشف عن مباحث جديرة بالبحث والتصنيف تحته،وهي:

١ – الأسس المعرفية التي يستقي منها منهج الرد.
٢ – التصورات والضوابط الإبستيمولوجية التي تشكل منهج الرد.
٣ – القيم التي يضمرها منهج الرد ويهتدي بها.
٤ – المناهج والطرق المقترحة للتفسير.

## المبحث الأول:

# الأسس المعرفية للمنهج في الرد على النصارى

من العادة عند علماء الكلام أن يصدروا كتبهم بمباحث يقدمون فيها القول في مسائل المعرفة(١)، وقد نهج القاضي نفس النهج، فقدم تحليلا منهجيا لها وعناصرها في كتابه الأصول(٢)، وعرض لها في المغني بالتفصيل(٣).

فالمعرفة عند القاضي مرادفة للدراية والعلم، فهي نظائر، ومعناها:( **ما يقتضي سكون النفس، وثلج الصدر وطمأنينة القلب، أو هي اعتقاد الذي تسكن به النفس إلى أن معتقده على ما اعتقد عليه**)(٤)، فهي اعتقاد ما أن يتمكن من النفس حتى يزيح عنها كل رأي آخر، ويجعلها تسكن إليه، فلا رأي حق عندها سواه.

والمعرفة عند القاضي قد تكون اضطرارا، وقد تكون اكتسابا –كما سنرى–؛ أما المكتسبة فتكون نتيجة إعمال الفكر والنظر، وهي( فعل للإنسان متولد عن فعل آخر هو **الاستدلال**)(٥). والاعتراف بها يضمر تصورا مضمونه،أن الله قد وضع نظاما دلاليا، يتحول بموجبه الإنسان من الدليل إلى المدلول، والعلاقة بينهما علاقة إرتباط حتمي، فالدليل يرتبط لارتباطا حتميا

---

(١)راجع:الايجي،المواقف في علم الكلام، من ص ١–٤٠.
(٢)راجع : عبد الجبار، شرح الاصول الخمسة،ج١ ص٦
(٣)عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج١٢.
(٤)المصدر السابق.
(٥)عبد الجبار، المغني،ج١٢ ص٢٩٧.

بالمدلول، وكأن النظر في دليل معين يؤدي حتما إلى معرفة مدلول معين .

ومهما يكن، فإن هذه العملية الاستدلالية تقتضي من المستدل قدرة على إحكام الربط بين هذه القضايا، ولن يستطاع ذلك إلا بالعقل، والذي هو(عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة، متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف)(١). فالعقل من خلال هذا التعريف علوم مخصوصة، إن امتلكها الإنسان صار عاقلا؛ ولن يكون هذا التعريف دالا ما لم يشرح عبد الجبار قصده بالعلوم .

وقد ذكر عبد الجبار العاقل في مواطن مختلفة من كتبه، وجعل له مميزات خاصة وأحوالا شتى، تجعلنا نجزم بأنها هي المقصودة بالعلوم المخصوصة، فالعاقل هو من:

١.(لايجد لنفسه حالة سوى كونه عالما بهذه المعلومات المخصوصة)(٢).

٢.(عالم بالمدركات)(٣).

٣.(يعرف البديهيات)(٤).

٤.(يعلم الفعل على وجه يصح الإقدام عليه والتحرزمنه، ولكن هذا لا يعني أنه يختار الطاعة دون المعصية)(٥).

٥.(يعلم بأحوال الفعل كالعلم بقبح القبيح و حسن الحسن على جهة الجملة)(٦).

والحديث عن العقل والعاقل يجرنا إلى الحديث عن المعقول،العنصر الثالث من النسق العقلي؛ فهنالك الأمر المعقول، وله ملامح تجعله مميزا، يقول عبد الجبار:(يدخل الشيء في كونه معقولا بوجهين،

أحدهما: بأن نعلم ثبوته إما بدلالة أو بضرورة،

والثاني: بأن يصح فيه تقدير الثبوت)(٧)،

فالأمر يكون معقولا إذا أمكننا أن ندخله في إطار المعقولية باستخدام الدليل، كما أن استخدام التقنيات الكلامية، تجعل منه معقولا أيضا.

ويمكننا أن نحصر المعرفة عند عبد الجبار في ثلاثة أصناف، وهي:

١ – المعرفة الضرورية

٢ – المعرفة الكسبية

٣ – المعرفة النقلية

---

(١)المصدر السابق، ج١١،ص٣٨٥

(٢)المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٣)المصدر السابق، ص ٣٨٠.

(٤)المصدر السابق، ص٣٨٣.

(٥)المصدر السابق،ج١٢، ص٢٩٧

(٦)المصدر السابق ج١١،ص٣٧٦

(٧)المصدر السابق.

(٨)عبد الجبار ، المجموع، ج١،ص٣٢

## الصنف الأول: المعرفة الضرورية

يرجع عبد الجبار اشتقاقها إلى الضرورة، والتي تعني الإلجاء، كما في قوله تعالى:﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾(١)، أي إلا ما ألجئتم اليه. أما في اصطلاحه: فهي(العلم الذي يحصل فينا لا من قبلنا، ولا يمكننا نفيه عن النفس بوجه من الوجوه)(٢)، فما أن يتمكن من النفس حتى لا يمكننا أن ننفيه باستدلال أو باستخدام التقنيات الكلامية، كما أنه لا يمكن أن يعتريها شك ولا شبهة(٣)، وهذا ما يجعل العلم الضروري لا يختلف فيه اثنان. وينتج عن هذا أن الأمر -إن علم بالضرورة- لم يحتج إلى استدلال بحال.

وعبد الجبار يجعل المعرفة الضرورية أقساما، وهي:

١ - البديهيات

٢ - المدركات

### أولا: البديهيات

لما كان العقل عند عبد الجبار(عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة، متى حصلت، صح منه النظر)(٤)، أمكن استنتاج أنه توجد علوم يدركها الإنسان مباشرة دون توسط شيء ما، كالإدراك أو غيره، وتمتاز بأنها لا يمكن الاختلاف فيها لموافقتها كل العقول البشرية(٥). كما يمكننا أن نستنتج أنه يفترض وجود نظام دلالي راسخ في كل العقول، تصدربه أحكامها من غير خلاف.

ويقسم عبد الجبار البديهيات إلى أنواع، وهي:

#### ١ - البديهيات الوجدانية

ويعرفها عبد الجبار بأنها العلم الضروري الذي يحصل ابتداءا فينا، كالعلم بأحوال أنفسنا، من كوننا مريدين وكارهين ومستهينين ونافرين وظانين ومعتقدين، وماشاكل ذلك، فهي بديهيات متعلقة بالوعي أوالشعور؛ ولذا صح وصفها بالوجدانية(٦).

#### ٢ - البديهيات العقلية

ويعرفها عبد الجبار بأنها النظام الدلالي الذي يمتلكه الإنسان، والذي وضعه الله فينا ابتداء، وهو أساس العلوم المخصوصة التي تميز العقل، ومما تعد في كمال العقل(٧)، وجدت ابتداءا في عقولنا، ولذا فقد سماها بالعلوم المبتدأة(٨).

والبديهيات العقلية عند عبد الجبار قسمان بحسب ما تستند إليه:

---

(١) سورة الأنعام، آية ١١٩.
(٢)عبد الجبار شرح الاصول الخمسة،ج١، ص٨.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص٩.
(٥)عبد الجبار ،المغني، ج١٦، ص٩٤.
(٦)عبد الجبار شرح الاصول الخمسة،ج١، ص٩.
(٧)المصدر السابق.
(٨)المصدر السابق.

١. فقسم يستند إلى ضرب من الخبر.
٢. وقسم لا يستند إلى ذلك.

أما ما كان غير مستند إلى نوع من الخبر، فهو معرفة يعلمها الإنسان بداهة دون توسط إدراك، كالعلم بأن الثلاثة لاتساوي واحدا، والعلم بأن الذات إما موجودة وإما معدومة، و العلم بأن الموجود إما قديم وإما محدث، فهذا العلم علم كلي مجمل، وينتقل فيه العاقل من العلم بالحالة الجزئية إلى العلم بالحالة الكلية(١).

وأما ما كان مستندا إلى نوع من الخبر، فهو كالعلم بتعلق الفعل بفاعله، و ما يتصل بأحكام الفعل من حسن وقبح، فمن لم تكن له خبرة بذلك لم يمكنه الجزم بتعلقات هذا العلم بالجزئيات، إلا أنها في وضوحها لمن له دربة على ذلك كوضوح البديهيات العقلية، ولهذا فقد عدها عبد الجبار علما بديهيا(٢).

ثانيا: المدركات:

وتنقسم المدركات إلى نوعين:

١. ما يعرف بالإدراك الحسي،
٢. وما يعرف بالخبرة.

١ – الإدراك الحسي

ويعرفه القاضي بعلم المشاهدة، وهو الإدراك بالحواس الخمس، ويستخدم في الغالب على أنه الإدراك بحاسة البصر(٣).

والإدراك هو (طريقة العلم إذا كان المُدْرَكُ عاقلا، والليس عن المُدْرَكُ زائلا)(٤). فالإدراك –حسب هذا التعريف– عملية تواصل تتم بين المُدْرِكُ-الإنسَانْ وبين المُدْرَكُ-الشَّيءْ، فينتج بينهما تفاعل، ويؤثران على بعضيهما وضوحا وغموضا.

ولما كانت الحواس هي الناقل للمعلومات، فإنها تنقل ما يريده المدرك، وتكون طواعية له، ولا يعني هذا أن الإدراك عملية آلية، ولكن ثمة تمييز عقلي آخر يمكن تسميته بالإدراك العقلي، يكون به التمييز بين المدركات.

والمدركات عند عبد الجبار تنقسم إلى أقسام تبعا لتعلقها بالعقل، كمايلي:

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) عبد الجبار، المغني ، ج١٢ ص٢٩.

١. ومنها ما يحصل فينا عن طريق.
٣. ومنها ما يحصل عما يجري مجرى الطريق(١).

١. فأما ما يحصل فينا عن طريق، فهو كالعلم بالمدركات فإن الإدراك طريق إليه.
٢. وأما ما يحصل عما يجري مجرى الطريق، فهو كالعلم بالحال مع العلم بالذات، فإن العلم بالذات أصل للعلم بالتالي، وكالعلم بالأقانيم مع العلم بالجوهر، فإن العلم بالجوهر أصل للعلم بالجوهر(٢).

وتظهر لهذا التقسيم آثار مختلفة، منها:
١. أن ما يحصل فينا عن طريق يجوز أن يبقى مع عدم الطريق إليه، لأنه مستقل بذاته، فالعلم بأن الحلو أحسن من الحلو، يجوز أن يبقى نفسه، حتى لو عدم الطريق إليه. وأما ما يحصل فينا بطريق، فإنه لا يصح أن يبقى مع عدم الطريق إليه، فما أن يعدم، حتى تصير المعرفة غير ممكنة لتعلقها بالمعدوم، فلو عدمت الذات لفقدنا العلم بالحال، ولو عدم الجوهر لفقدنا العلم بالأقانيم(٣).

٢. كما يظهر لهذا الفرق أثر في النموذج العقدي النصراني، فالتخريج الكلامي يقرر أنه (يصح من الله تعالى أن يخلق فينا العلم بالمدركات من دون الإدراك، ولم يصح أن يخلق فينا العلم بالحال من دون العلم بالذات، لما كان أصلا فيه وجاريا مجرى الطريق إليه)(٤). وهذه المسألة العقدية تعود إلى مبحث قدرة الله، فلها تعلق بالممكنات فقط، وليس لها تعلق بالمستحيلات، ولذا جاز العلم بالمدركات دون إدراك لإمكانها عقلا. ولم يصح أن يخلق الله فينا العلم بالحال من دون علم بالذات، لاستحالة ذلك عقلا، فقدرة الله متعلقة بالممكنات، لا بالمستحيلات.

والقاضي يريد التمييز بين المدركات التي لها تعلق بغيرها، والمدركات التي ليس لها تعلق بغيرها، وإن كان في هذا مجازفة، إذ أن كل المدركات لها تعلق ببعضها البعض. وعليه فكل مدرك له تعلق، تزول المعرفة به إن جهلنا أو أزلنا ذلك التعلق، أضف إلى ذلك أن كل مدرك له نظام إدراكي يستقيم فيه، ويكون دالا فيه، وله دلالة معينة.

والمدركات قد يعتريها الخطأ، وقد يبدو هذا غريبا لأن القاضي ذكر أن المدركات يحصل للعقل العلم بها وبالعالم الخارجي بواسطة الحواس، والحواس ناقل أمين، فكيف يصح ذلك؟.

---

(١) عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج١ص٩.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.

ويذكر عبد الجبار أن السبب في ذلك يعود إلى الإدراك العقلي، فقد يحدث أن يخطيء العقل في قراءة وتأويل معطيات الحس، فاللسان قد يتذوق طعاما حلوا، فيصبه عسلا، وهو سكر، فاللسان قد تذوق شيئا حلوا حقيقة، ولكن الإدراك العقلي قد أخطا التأويل، فحسب السكر عسلا، وهو ليس كذلك(١).

٢ – الخبرة

ويذكر عبد الجبار أن من أقسام العلم الضروري المعرفة بالخبرة، أو المستندة إلى الخبرة(٢)، وهي التي تنشأ عن احتكاك البديهيات العقلية والذاكرة بالعالم الخارجي الممارسة له، فتتكون للإنسان ملكة، وتصير نسقا عقليا بديهيا، فالعربي أو المستعرب يعرف بالضرورة تعلق الفعل بفاعله(٣)، ويعرف مقاصد الكلام بالاختبار، ولا يعني هذا أن هذه المعرفة مكتسبة، بل هي ضرورية، لأنها تعتمد على الذاكرة وبديهيات العقل.

ثانيا: المعرفة المكتسبة

وهي النوع الثاني من المعرفة، وتقع بحسب إرادة الانسان، ومن الإنصاف أن نذكر أن العلم المكتسب يتميز بخصائص ومميزات تميزه، يمكن أن تكون خير تعريف له عند عبد الجبار، وهي كمايلي:

١ – الإرادة

فهو علم متولد عن نظر الإنسان،(يقع بحسب نظرنا على طريقة واحدة ، ووتيرة مستمرة، يقع بحسب قصودنا ودواعينا، وتنتفي بحسب كراهيتنا وصوارفنا)(٤)؛ فهي فعل من أفعاله.

والمعرفة المكتسبة فعل إنساني متولد عن فعل إنساني آخر هو النظر في الأدلة و الأمارات و القرائن. وعليه فالعلاقة بين المعرفة والنظر علاقة تولد، ويقع بحسب نظرنا على طريقة واحدة ووتيرة مستمرة(٥).

إن هذا الكلام يخفي مضمرات معرفية مختلفة، فهو يفترض أن الأدلة منصوبة عبر نظام دلالي وضع بعناية إلهية، ما أن يعمل الإنسان فيه العقل -بحسب ما تريده قصودنا- حتى ينتقل العقل من الدليل إلى المدلول، وهو الله، أو غير ذلك-بحسب الموضوع-؛ فالعلاقة بينهما علاقة تلازم دائمة، وكأنها آلية.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص١١.
(٣)المصدر السابق، ص١٠.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق، ص١١.

٢ – القصد

فهي العلم الذي يقع بحسب قصودنا ودواعينا، كما ذكرفي الخلصة السابقة(١)، فلما كان ذلك النظام الدلالي المفترض منصوبا، فإنه يتطلب من الإنسان إعمال النظر والفكر حتى تسكن نفسه إلى أن معتقده على ما اعتقده عليه، طلبا للمعرفة، والتأكد من مطابقته للواقع. وعليه، فالمعرفة المكتسبة هي التي لا يفعلها العاقل إلا عن قصد و داع بغية العلم.

٣ – الجزئية

وهي العلم بجزئيات الوجود، كالعلم بأن الجديد مخلوق، وبأن الأب كما تعتقده النصارى مخلوق، إذ أن هذه الجزئيات قد أثبتت على كليات مسلمة ضرورية(٢)، فهو استدلال يستند إلى مقدمة ضرورية كبرى، عن فناء من اتصف بصفات الانسان أو المخلوق بوجه الإجمال، وكأنه بذلك يجعل العلم الكسبي مقابلا للضروري، فإذا كان الضروري كليا فإن الكسبي جزئي(٣).

٤ – النظرية

فهي معرفة لا تصدر عن العاقل إلا(بنظر أوذكر نظر)(٤)، والنظر –كما سنرى– هو المعنى الذي يوجب أن يكون الإنسان متفكرا(٥)، وأجلى الأمور ما يجده الإنسان من نفسه، وهذه الميزة تجعل المعرفة المكتسبة قرينة النظر، فالكسبي من المعرفة يكاد يرادف النظر، لأنه منهجها الأساسي. ولهذا، فإن من يرى من العلماء (أن الكسب لا يمكن إلا بالنظر، فهو عنده الكسبي، وتعريفهما يتلازمان)(٦).

وعليه، فإن المعرفة المكتسبة يمكن أن يكون النظر خير معرف لها،(فلا شيء من العلوم المكتسبة إلا و يرجع أصله إلى النظر)(٧). ولذا، فقد وصفت المعرفة الكسبية بالعلوم النظرية(٨). وبذلك صار من كمال تعريفها أن نوضح حقيقة النظر وماهيته، وشروطه.

فالنظر لفظة مشتركة من ألفاظ مختلفة لها دلالات مختلفة، فهو:

١. تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي إلتماسا لرؤيته(٩)،

٢. يراد به الإنتظار ،قال تعالى:﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون﴾(١٠)،أي منتظرة(١١)

(١)المصدر السابق، ص٩.
(٢)عبد الجبار ، المغني،ج١١،ص٣٤٩.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ج١٢،ص٦٧
(٥)عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة،ج١، ص٦.
(٦)الايجي ، المواقف في علم الكلام ، ص١١.
(٧)عبد الجبار ، المغني،ج١٢، ص٦٧،ص٩٨.
(٨)الايجي ، المواقف في علم الكلام ، ص١١.
(٩)عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة، ج١،ص٥.
(١٠)سورة النمل، أية٣٥.
(١١)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١،ص٥.

٣. يراد به العطف و الرحمة، كما قال الله تعالى:﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١)وتبدو في تفسير هذه الآية نزعة اعتزالية، تبديها هذه التأويلات .؟

٤. يراد به المقابلة، ومنه قول العرب: داري تنظر إلى دار فلان، أي تقابلها(٢)،

٥. ويراد به التفكير بالقلب، كما في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٣)، أي أفلا يتفكرون في خلقها، ولا يتعين معنى من بين هذه المعاني إلا بما يقترن به من القرائن، وينضاف إليه من الشواهد.

و النظر متى قيد بالعين، فإنه لا يحتمل إلا تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي التماسا لرؤيته كما أنه إن قيد بالقلب، فإنه لا يحتمل إلا التفكير.

و يذكر عبد الجبار أن للنظر بالقلب أسماء مختلفة، ومنها: التفكير، والبحث، التأمل والتذكر والرؤية(٤).

والنظربالقلب (هو المعنى الذي يوجب كون الإنسان متفكرا، والواحد منا يجد هذه الصفة في نفسه، ويفصل بين أن يكون متفكرا، أو بين أن لا يكون متفكرا. وأجلى الأمور ما يجده الإنسان من نفسه)(٥)، فهو فعل إنساني ونفسي، ويشعرالإنسان به حين يقوم به، مفاده التفكر و تأمل حال الشيء، مع التمثيل بينه وبين غيره، أو تمثيل حادثة بغيرها(٦).

يخلص لدينا أن المعرفة المكتسبة فعل مفاده تأمل الشيء، والبحث عن أوجه الشبه بينه وبين غيره من الأشياء للوصول إلى حكم عليه، كأنه بذلك يجعل العلم هو المشابهة، بله المقايسة.

ثالثا: المعرفة النقلية

أهم ما يميز المعرفة الإسلامية عن باقي معارف الأديان والمذاهب الوحي، وقد جرى الإصطلاح الإسلامي على نعته بالنقل، وهوماتتفق عليه جميع المدارس الإسلامية. وعبد الجبار ليس غريبا عن الفكر الإسلامي في اعتماده على هذا المصدر، وإن لم تخل تصوراته النقلية من خصوصيات معرفية ومنهجية، يقول في بيان الأدلة:(حجة العقل، والكتاب، و السنة، و الإجماع، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل)(٧). و مصطلح النقل يطلق على القرآن والسنة.

وللوحي أهميتان في ردود عبد الجبار على النصارى، وهما:

١. أهمية الوحي في دراسة عبد الجبار للنصرانية

٢. ضوابط عبد الجبار في التعامل مع الوحي.

---

(١)سورة آل عمران، آية٧٧.
(٢)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٥.
(٣)سورة الغاشية،آية١٧.
(٤)المصدر السابق ص٥.
(٥)المصدر السابق.
(٦)عبد الجبار، المغني، ج١١،ص٣٤٩
(٧)عبد الجبار، شرح الاصول الخمسة، ص٤٠.

## أولا: أهمية الوحي في دراسة عبد الجبار للنصرانية

إن الوحي بإعطائه تصورات حول العقائد النصرانية، يكون قد وجه عبد الجبار لدراسة المواقف القرآنية والتدليل على صحتها، لتصير منطلقاته ومفاهيمه؛ إذ أنه قد استعرض لجميع تفصيلات حقيقة الإنسان الديني، والأنظمة الدينية، واستعرض حقيقة المسيحية، وما اعتراها من تغيير وتبديل، وبين وسائله، وأوضح حقيقة المسيح، شخصه ونبوته وعقيدته خير توضيح. وما يتعلق بذلك من أحكام كما فصلنا في تمهيد هذا البحث، وهو ما يؤسس مصدرا معرفيا مهما للدراسة النقدية للنصرانية(١).

ولا يمكننا أن نتناول كل ما أمده القرآن لعبد الجبار، ولكننا سنكتفي بمسألة واحدة، وهي منهج عبد الجبار في كتابه "تثبيت دلائل النبوة"، فقد استلم فيه موقف القرآن الذي استعرضناه في التمهيد، ورميه النصارى بتحريف كتبهم المقدسة، ليعتمده كمفهوم بحث، ويؤسس به مقولة جديدة للنقد، وموجهة له، وهي مقولة التحريف، والتي سماها عبد الجبار بمنهج المخالفة في الأصول والفروع(٢).

إن الوحي كان له فضل في توجيه رد عبد الجبار على النصارى -في كتابه التثبيت- توجيهين، وهما:

١ - **توجها تاريخيا**: فالقرآن برميه النصارى بالتحريف ومخالفة المسيح، جعل القاضي يدرس تطور العقائد النصرانية، ويبحث عن الدخيل فيها، وفي شرائعها، وإلهياتها ومسيحياتها، وجعله يدرس مصادر التحريف التي دخلتها، والعوامل التاريخية التي ساعدت عليه، ويبحث الدخيل، ليثري معلوماته حول تاريخها، وليثبت أن النصارى مخالفون للمسيح، وبذلك يؤكد القاضي أن ما نزل به الوحي حق، وهو عين الإعجاز(٣).

٢ - **توجها تكوينيا**: فالقرآن باتهامه النصارى بأنهم يضاهون الذين كفروا من قبل وأنهم متأثرين بهم(٤)، وجه القاضي ليبحث عن تكون العقائد النصرانية والتبلورات المختلفة التي طرأت عليها، والمكونات التي أثرت في تكوينها، كالفلسفة اليونانية والوثنيات القديمة، ويقيم مقارنات بين الأديان، ليؤكد أن النصارى بتمثيلهم وتجسيدهم مضاهون للذين كفروا من قبل، وأن اتهام الوحي لهم هو حق اليقين، ومظهر من مظاهر إعجازه(٥).

وهذا التوسع الدراسي لم يتحقق إلا بإدخال هذا المفهوم القرآني إلى دراسة النصرانية، وقد كان عبد الجبار شاعرا بحق بسبقه إليه(٥)، ولم يكن ذلك ممكنا إلا مع اعتماده الوحي.

ورغم حضور هذا الموقف في وعي النقد الإسلامي للنصارى، إلا أنه لم يصر مفهوم

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٥٨. (٢)المصدر السابق، ص١٩٨.
(٣)المصدر السابق، ص ص١٥٠-١٦٥، وراجع تحليلها في الفصل الثاني، مبحث رد عبد الجبار على أدلة الإلهيات التاريخية
(٤)المصدر السابق، ص١٥٨، ١٦٨. (٥)المصدر السابق، ص١٩٨

بحث يهتدى به في واقع البحث في الحضارة الإسلامية-فيما نعلم-(١)، رغم تأكيد القرآن على هذا المفهوم، فالدراسات الإسلامية في الرد على النصارى ارتضت لنفسها الدراسة الآتية الكلامية، دون التفات إلى النظرة الزمنية، فنظرت إلى عقائدهم على أنها كل متكامل، ويرد عليها من هذه الزاوية، وأما عبد الجبار فقد نظر إليها- بفضل الوحي- على أنها تراكمات فكرية وتبلورات عقدية تمت على ممر الزمن المسيحي بعد المسيح عليه السلام، وهي التحريف الذي قصده القرآن(٢).

والدراسات النصرانية المعاصرة نجدها قد أقرت مبدأ التغير الدخيل على العقائد النصرانية حديثا، قسمته تطورا، ولكنها تاهت في صياغة نظريات حول عقائد المسيح؛ فهي غنوصية، وهي صوفية يهودية، وهي غير كذلك، بما لا يمكن التحقق منه أبدا، فالمراجع التي اعتمدتها لا تسعفنا إلا بظنيات(٣)، وهو ما يفسر عدم تقدم الدراسات النصرانية كثيرا، إذ أنها تفتقد نسقا منهجيا بينا، **خلافا لدراسات عبد الجبار التي تجعل من دراسة النصرانية امتداد طبيعيا لدرس العقيدة والنبوة والوحي؛ وقد أفاض في الإبانة عن العلاقة بين العقائد النصرانية وإعجاز القرآن، ونبوة محمد عليه السلام(٤).**

إن اعتماد عبد الجبار للوحي كمصدر معرفي هو الذي كان وراء تفوق دراساته للنصرانية وسبقها إلى كثير من النتائج النقدية.

## ثانيا: ضوابط التعامل مع الوحي

لم يكن نقد عبد الجبار خلوا من ضوابط للتعامل مع الوحي، وهي نوعان:

١. **ضوابط الإثبات.**
٢. **ضوابط التفسير.**

### ١ – ضوابط الإثبات

يخصص عبد الجبار هذه الضوابط للتمييز بين ما هو صحيح النسبة إلى صاحبه، وبين ماهو ليس كذلك، إذ ليس كل قول ينسب إلى شخص هو صحيح النسبة إليه. وهو ما يقتضي بحثا عن قواعد وضوابط تميز بين ماهوصحيح الثبوت وبين ما ليس كذلك. **وعليه، فالتسليم والإيمان بالكتاب المقدس لا يتم إلا بعد التأكد من مصدرها الإلهي.** وهو ما يفترض إيمانا عقليا مسبقا بأن الله موجود(٥)، ويضمر نسقا عقديا مسبقا مفاده أن **العقل مقدم على النص**، إذ أن هذا الأخير محتاج للأول في الإثبات والتفسير(٦).

---

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٢٥٨، حيث سجل الشرفي غياب النظرة التاريخية للإلهيات النصرانية، ويعمم ذلك على القرون الأربعة الهجرية الأولى، بما في ذلك عبد الجبار.
(٢)راجع تمهيدنا السابق، مبحث نقد توثيق الكتب المقدسة.
(٣)جبير، المسيحية نشأتهاوتطورها، ص ص١٤-٢٤.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص٩٤.
(٥)عبد الجبار، المغني، ج٥، ص١١١.
(٦)المصدر السابق.

فالإثبات باعتباره عملا بشريا لتمييز النصوص والغوص في صحيحها وسقيمها، يمدنا بالإجراءات المنهجية التي تتبع في توثيق النص، وبالأدوات التحليلية التي توظف في النقد. ومن جهة أخرى يقوم بفحص نتائجه، وإعادة نقدها، للتأكد منها.

وما نلاحظه على تحليلات القاضي الإثباتية للنصوص المقدسة أنه يعمد إلى تقرير ضوابط إثبات للنص نظريا، ثم يقدم على التطبيق العملي، ليعطي الجزئيات النقدية حقها، فتكون قرائن لعمله النقدي النظري، ثم يصنف النصوص تبعا لذلك إلى الأقسام التالية:

١ – الوحي الصحيح: وهو ما أنزله الله على أحد أنبيائه، ونقل نقلا صحيحا إلينا، كالقرآن.

٢ – الوحي المحرف: وهو ما أنزله الله على أحد أنبيائه، ودخله التغيير البشري على ممر التاريخ، كالأناجيل مثلا.

٣ – الوحي المكذوب: وهو ما نسب إلى الله زورا، وادعي أنه وحي منه(١).

وأما الوحي الصحيح، فيقسمه القاضي تبعا لإفادته اليقين إلى قسمين أيضا، وهما:

١ – المتواتر: وهو ما نقله إلينا عدد من الرواة من الكثرة، بحيث يستحيل اجتماعهم على الكذب، ويفيد اليقين، كالقرآن مثلا.

٢ – الآحاد: وهو ما نقله إلينا عدد من الرواة، يمكن أن يجتمعوا على الكذب، ولا يفيد اليقين، كالأحاديث الآحاد(٢).

وهذا التصنيف يفترض حضور نموذج إثبات لديه، تكون وفقه كل تلك التحليلات النقدية والتصنيفات النصوصية؛ يقوم بدراسة نصوص المقدسة، وينقدها، ثم يلحقها بأحد الأقسام السابقة ؛ فالتعامل مع نصوص الوحي لا يتم دون ضوابط إثبات. وأما حقيقة اجراءاته المنهجية، فسيهتم المنهج التاريخي النقدي بدراستها وتحقيقها(٣).

٢ – ضوابط التفسير

إن تفسير النص يقتضي إلماما بالإجراءات المنهجية المقبولة في التفسير، وأهم ما تتميز به هذه عند عبد الجبار ذي المنحى الاعتزالي تقديم العقل على النقل(٤)، وهوما يجعلنا نقر بتميز خاص للتفسير الاعتزالي،و بالتالي لكل نقدهللتفسير.

و تقديم العقل في التفسير هو ما توجه إليه مبادىء القاضي الأساسية في علم التفسير، ذلك أن صيغة الخبر لا تضمن الحكم بالصحة أو البطلان على الخبر، ولن يتحقق من ذلك مالم يحط علما بحال المخبر،(فلن نعرف أن القرآن أو الانجيل حق أو باطل مالم نقس أن منزله حكيم)(٥). وتنتج عن هذا التقديم تفرقة بين الخطاب المحكم و الخطاب المتشابه، والتمييز بين كل واحد منهما؛ فالخطاب المحكم له القوة في الإمداد بالمعنى المنطقي والمقبول لكامل

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص ص ١٥٠-١٥٥.
(٢)عبد الجبار، المغني، ج١٥، ص١١١.
(٣)راجع مطلب المنهج التاريخي النقدي من هذا الفصل .
(٤)عبد الجبار، المغني، ج١٥، ص١١١. (٥)المصدر السابق.

النص و للمتشابه.

ولا تنقص قيمة المتشابه بعد ذلك، إذ له الحجية الكاملة، والغوص في خفاياه ، يفترض نظاما مرجعيا ذا قرائن من المحكم، وهي أصول عبد الجبار الاعتزالية الخمسة، فيرجع إليها كلما مست الحاجة إلى تفسير المتشابه، فاذا وجد تناقض بين المحكم و المتشابه ، اضطر إلى التأويل، والذي هو تفسير يلجأ الى المعنى المجازي حينما تكون الحقيقة معارضة لمبادىء الأصول الخمسة(١).

المبحث الثاني:

# الضوابط الإبستيمولوجية المنهجية في الرد على النصارى

وظف عبد الجبار في رده على النصارى عدة ضوابط ابستيمولوجية، هي:

١. موضوعية الحقيقة الدينية
٢. الطبيعة المعرفية للرد على النصارى

## أولا: موضوعية الحقيقة الدينية

نلاحظ أن القاضي في تحليلاته الكلامية الردية على النصارى يخضع للقيم المعرفية المثالية، فيجعل من بحثه معرفة موضوعية عن الحقيقة الدينية، فنراه في رده على التثليث يخضعه لقواعد العقل ومتطلبات المنهج -كما سيأتي - ، حتى يتضح تناقض النسق العقدي النصراني(٢).

والموضوعية في البحث العلمي لا تقتضي -في نظر عبد الجبار- الفصل بين الديني والعلمي، أوالنقلي والعقلي كما هو سائد الآن، فهما متجانسان، أويطلب فعل المجانسة والتوفيق بينهما إن أمكن حتى تستقيم آراء عقدية أخرى، والقاضي في رده على النصارى يهدف إلى تقويض الفكر النصراني وإثبات مخالفته المعقول، وهو ما يخفي في طياته الدفاع عن العقيدة الإسلامية والقول بإعجاز القرآن وإثبات معقوليتها كما سيتبين في هذا البحث.

(١)المصدر السابق.
(٢)راجع الفصل الأول.

والقاضي في "التثبيت" ارتضى لكتابه أن يكون مثبتا لدلائل نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، مبينا أن من دلائل نبوته القول بتحريف كتب النصارى، كما هو مذكور في القرآن ، يقول في ذلك:

(وقد ذكرت لك أنه **ما قصدنا بيان فساد النصرانية، إنما قصدنا البيان عن مفارقتهم لدين المسيح و مخالفتهم له في الأصول والفروع جميعا مع شدة تحققهم به، وأن علم محمد صلى الله عليه و سلم بذلك إنما هو من قبل الله عز وجل ، وأن ذلك من معجزاته وآياته** وإن كان قد اتفق من حكايات أقوالهم الرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب، سيما حكاية تسابيحهم وأقاويل رؤسائهم، فاحتفظ بذلك **فإنك لا تكاد تجده في كتاب ، وبك إلى حفظه أمس الحاجة**)(١).

ويظهر من هذا النص أن عبد الجبار **أعاد قراءة الردود الإسلامية على النصارى بمنطلق جديد،** ليصير رده هادفا إلى إثبات صحة مقالات الرسول عليه السلام والقرآن الكريم، **والإبانة** عن **التطابق بين النقل والعقل مؤكدا إعجاز الوحي، والوصول** إلى مواقف عقدية أخرى.

ونلمح من خلال ردود القاضي التسليم بإمكانية المعرفة الدينية وموضوعيتها، ومشروعية ولوج واقتحام ميدان الإلهيات للحسم في مشاكلها(٢).

ولما كان الوجود عند عبد الجبار صنفين، وجود **الله** ووجود **الكون**، كانت المعرفة صنفين تبعا:

١.**فوجود الله**، ولا ينال إلا بالعقل، ولا يمكن بغيره من الأدلة .

٢.**ووجود الكون**، ويخضع للإدراكين، الحسي والعقلي **وللمشاهدة والتجربة**(٣).

وقد سبق أن شرحنا أن الأدلة عند القاضي أربعة:(حجة العقل، والكتاب، و السنة، و الإجماع، **ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل**)(٤)، ويشرح سبب اقتصارمعرفة الله على **حجة العقل**،(أن ما عداه فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله و الحال هذه، كنا مستدلين **بفرع الشيء على أصله**، وذلك لا يجوز)(٥)، فلا يتم التسليم بالكتاب أو بالسنة قبل معرفة الله، لارتباطهما المعرفي به، وتأسسها عليه؛ فالوحي لا معنى له إن لم تكن الألوهية.

والخلاصة أن القاضي يجعل من الدين موضوعا عقليا محضا وممكنا في الآن ذاته، فالعقل يغوص في متناقضات الإدراك الحسي المباشر بكل صوره، ومبادئ النسق العقلي، و يحاول **الكشف عما يمكن أن يقال عنه إنه لحقيقة**، ويكون القاضي بذلك قد سجل نفسه مع من يقولون بإمكانية التعالي والمعرفة الميتافيزيقية، و يجعل منها تفسيرا و تنويرا لكل المشكلات التي

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص ١٩٨

(٢)كتاب عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، سبق التعريف به في الفصل الأول.

(٣)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١ص ص١٤٩-١٦١.

(٤)عبد الجبار ، فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة، ص١٣٩،وشرح الأصول الخمسة،ج١ص٤٠.

(٥)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٤١.

تنتج عن الخبرة الحسية.

وإذا كان عبد الجبار يقر بعقلانية المعرفة الدينية، وإمكانية التعالي عقليا لمعرفتها، فإنه مع ذلك يقر بوجود معرفة دينية **فوق طور العقل**، لا يمكنه الاستدلال عليها، إلا إذا أقررنا بالوحي والنبوة و الاعجاز، كعذاب القبروالحوض وأحوال جهنم، وغيرها،فكلها أمور دينية لا يستطيع العقل التدليل عليها ، مع أن النص يؤكد ثبوتها، فكان التدليل على صدق الوحي وإعجازه إثباتا لها بدلالة التضمن(١).

**إن القول بموضوعية الحقيقة الدينية سمح لعبد الجباربتأسيس مذهب كلامي ومواقف ميتافيزقية**، كما سمح باتخاذ مواقف من آراء الآخرين الميتافيزقية، إذ المعرفة ممكنة، ومن ذلك قوله في الرد على التثليث،(قدمنا الدلالة على أن القديم واحد لا ثاني له في **الحقيقة**، ما يدل على إبطال مذهبهم)(٢)، فاستخدام مصطلح **الحقيقة** تصريح بوجود الحقيقة الدينية وموضوعيتها، وإمكانية التدليل عليها.

## ثانيا: علاقة الرد على النصارى بالعلوم

إن الردود تختلف قيمة و محتوى تبعا لغاياتها و إجراءاتها المنهجية، فمحتوى الرد يختلف شمولية ووضوحا ودقة باختلاف العصر، فكلما نمت و تطورت العلوم ازدادت العلاقات بين العلوم، لتتعمق نتائج البحث، وتزداد نضجا. وعبد الجبار قد نهج نهجين مختلفين في دراسة النصرانية، ورغم أن مؤلفاته فيها كلها كلامية، إلا أنها تميزت بمميزات تجعل الفرق بينها شاسعا، نصنفها كمايلي:

### ١ – طريقة المغني والاصول الخمسة والمحيط

حيث نجد عبد الجبار لم يخرج في طرحه عن نهج الردود التي سبقته، فالرد على النصارى هو امتداد طبيعي **للتوحيد الكلامي، ودرسا في علم الكلام**، ويعالج بنفس المعالجة، فيوظف التحليل الكلامي والأبحاث المنطقية، ويستعين بمباحث من الرياضة والطبيعة(٣).

### ٢ – طريقة تثبيت دلائل النبوة

حيث ينهج عبد الجبارنهجا جديدا، ويؤكد هو حداثته، فيقول:(قد اتفق من حكايات اقوالهم و

---

(١)عبد الجبار ، المغني، ج١٦، من ص١٥٠-٢٠٠.
(٢)المصدر السابق، ج٥، ص ٨٦
(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ١٩٨.

الرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب، سيما حكاية تشابيحهم وأقاويل رؤسائهم ، فاحتفظ بذلك فإنك لا تكاد تجده في كتاب، وبك إلى حفظه أمس الحاجة)(١)، فقد كان شاعرا بسبقه إلى هذا الموضوع، إذ أنه جعل الرد ضربا من الإعجاز القرآني، ودليلا من دلائل نبوة محمد بما أبان عليه السلام عن دقائق وحقائق من العقائد النصرانية، ولذا،فقد سمى كتابه "تثبيت دلائل النبوة" "ليصير الرد على النصارى درسا في علوم القرآن ودلائل نبوة الرسول عليه السلام.

والجديد في طرح التثبيت أن النصرانية لم تطرح بمنظار الجدل الكلامي، والتناسق الداخلي، ولكن طرحت بمنظار المؤرخ الناقد المقارن، فيستعرض نشأة العقائد النصرانية و تطورها، ويوضح دور السياسة في ذلك، ودور الثقافات السائدة الوثنية في تكوينها ؛ من رومانية وبابلية، ويستخدم الطريقة التكوينية موضحا كيف تأثرت عقائد المسيح الأولى بذلك، و ماذا تأثر منها(٢). إن ما نستعرضه الآن هو تلك المخالفة للمسيح في الأصول والفروع التي يحكي عنها عبد الجبار، والتي عبر عنها القرآن بالتحريف(٣).

فإدخال مفهوم التحريف إلى موضوع الرد على النصارى جعل الرد باعتباره عملية فكرية و استقصائية يوسع من آفاقه، ليمتلك أدوات معرفية جديدة في التحليل؛ فالتحريف مضمونه تاريخي، لأنه لن يتحقق واقعا إلا إذا درس تاريخ النصرانية و مؤسساتها الثقافية، وأقيمت مقارنات لتصل إلى نتائج معرفية، و يفسر لنا اهتمامات عبد الجبار بالتاريخ الروماني، وتاريخ العلاقات السياسية الرومانية-الكنسية، والتاريخ الثقافي للدولة الرومانية، وغيرها من المباحث التاريخية(٤)، كل ذلك ليلم بالمحرف، وبمصادره، والتيارات الفكرية والدينية المؤثرة فيه .

كما عمد عبد الجبار لتأكيد تحريف العقائد النصرانية إلى عقد مقارنات بين مسيحية المسيح و نصرانية النصارى، و بين نصرانية النصارى الرسمية، و نصرانية الواقع النصراني، وبين النصرانية والمجوسية، وبين النصرانية والمانوية وعقائد الرومان؛ وعقد المقارنات المنهجية بين عقائد مختلفة بهدف الوصول إلى تصور حول التأثير والتأثر الواقع بين الأديان، وبذلك يتبين مفهوم التحريف القرآني،وتتضح الدلائل التي تسانده من الواقع التاريخي(٥).

إننا لا نجد رادا آخر يعقد دراسات في علم مقارنة الأديان، ليدرس النصرانية، سوى كاتب آخر معاصر له،وهو العامري في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام". "والتثبيت والإعلام" يعدان بحق الكتابين الوحيدين الذين تناولا الأديان بمنهج مقارنة الأديان ، وإن كان عبد الجبار قد

---

(١)المصدر السابق
(٢)راجع تحليل ذلك في الفصلين الرابع والخامس
(٣)راجع تحليل ذلك في هذا الفصل، مطلب المسيحية بإسلام محرف
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص ص٢٠١-٢٠٩
(٥)راجع تحليل ذلك في الفصل السادس.

تميزعن العامري باستخدامه منهج مقارنة الأديان للرد على النصارى، وإثبات التحريف في عقائدهم، والتدليل على نبوة محمد عليه السلام(١).

إن تصنيف عبد الجبار قضايا الرد على النصارى مع دلائل نبوة الرسول عليه السلام كان له دور كبير على النتائج النقدية، حيث فتح مجالا جديدا لعلم الأديان، ووسع أفق نسق الرد على النصارى، ليشمل علم التاريخ، ويتسع مرة أخرى ليستعين بعلوم أخرى،كالمنطق و الكلام و التفسير وعلم مقارنة الأديان، وحتى الطبيعيات، وهوما يجعل الرد مؤسسا على رؤى ونماذج دراسية مختلفة، تجعل حكمه رفيع المستوى.

المبحث الثالث:

# المقولات الأساسية لمنهجه في الرد على النصارى

قبل محاولة استكشاف هذه المقولات، يجب التأكيد على أن ردود عبد الجبار على النصارى هي امتداد ونتائج تصور خاص بالإسلام، كتصوره للألوهية والنبوة والإنسان والحياة، وغير ذلك، وهي مقولات الرد. ولا يتأتى لنا الإدراك التام لمرامي ردوده وأبعادها إلابلستخراجها، وإعادة تركيبها من جديد، وهي نوعان:

١ – **المنطلقات الأساسية:** وتعد أساسا لفهم القاضي للوجود عامة ، وحضورها نجده في كل ردوده على النصارى.

٢ – **المفاهيم الأساسية:** وهي أساس لفهم القاضي للقضايا المتعلقة بالعقائد النصرانية.

---

(١)راجع مفهوم التحريف في تمهيد هذا البحث.

## المطلب الاول: المنطلقات الأساسية لمنهجه في الرد على النصارى

**وظف عبد الجبار في الرد على النصارى ثلاثة منطلقات أساسية، وهي:**

**١ – التوحيد**

**٢ – العدل**

**٣ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

### أولا: التوحيد

يلعب تحليل مفهوم التوحيد دورا أساسيا في فهم ردود القاضي على النصارى ، و لسنا نقصد بذلك التوحيد القرآني، أي التوحيد الذي يقر أن الله واحد لا شريك له. فهذا الفهم للتوحيد تشترك فيه جميع المدارس الإسلامية، ولكننا نقصد **التوحيد الكلامي**، أي التوحيد الذي كان نتيجة بحث كلامي في فروع العقيدة، ويخص مدرسة معينة.

إن القاضي قد صنف عقائد النصارى في كتابيه "المغني" و"الأصول الخمسة" على أنها شبهات في التوحيد الاعتزالي، وتحليل هذا التوحيد سيفيدنا في فهم مرامي ردوده و منطلقاتها.

فالتوحيد في اللغة:(**عبارة عما يصيربه الشيء واحدا**)(١)، و(يستعمل في الخبر عن كون الشيء واحدا، لما لم يكن الخبر صدقا إلا وهو واحد، فصار ذلك كالإثبات)(٢)، وأما في اصطلاح عبد الجبار :فهو(**العلم بأن الله تعالى واحد، لا يشاركه غيره، فيما يستحق من الصفات، نفيا وإثباتا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به**)(٣). وبتحليل هذا التعريف يظهر أن التوحيد مفهوم يشتمل على العلم بالله، وعلى الإقرار ب وجوده وصفاته، ولو علم و لم يقر، أو أقر ولم يظهر، لم يكن موحدا. والعلم مفهوم يشمل عناصر، وهي: الذات ، والصفات بأنواعها، وكيفية استحقاقها، وهي ما تعرف بعلوم التوحيد، إذ جرت عادة المعتزلة على تسمية المسائل التي تندرج تحت أصل من الأصول الخمسة **بعلوم الأصل**(٤).

والقاضي في تحليله و تحديده لمعنى الواحد، يسلك مسلكا منطقيا ومعرفيا و فلسفيا في الآن ذاته، ليبرز تصوره للتوحيد الكلامي، مستخدما الأدلة الكلامية التي استلمها من بحثه المعرفي، فيبدو التوحيد إثر ذلك كأنه نسق متكامل، وتقتضيه الضرورة إثر تعاملها مع الدليل، والنظر في الموجودات(٥).

---

(١)عبد الجبار، شرح الاصول الخمسة،ج١، ص٧٣.
(٢)المصدر السابق
(٣)المصدر السابق، ص٧٤.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.

والذات -عند القاضي- واحدة، وليست متعددة، فالله ليس مركبا، وليس متعددا، وليس جسما. وأما الصفات، فأن يعلم القديم تعالى بما يستحق من الصفات، وكيفية استحقاقها، وهي أنواع، (فصفات تجب له في كل وقت، و ما يستحيل عليه في كل وقت ، وصفات تجب له في وقت دون وقت، وبذلك يعلم المكلف أن من هذا حاله، لابد من أن يكون واحدا لا ثاني له يشاركه فيما يستحق من الصفات، نفيا وإثباتا على الحد الذي يستحقه)(١)، وقد خص عبد الجبار كل نوع منها بتحليل:

النوع الأول: أما ما يجب له في كل حال من الصفات، فالصفة التي بها يخالف مخالفة، و يوافق موافقة لو كان له موافق تعالى على ذلك، وكونه قادرا، عالما، حيا، موجودا، فهذه الصفات تجب في كل حال(٢).

ويفصل القاضي في كيفية استحقاق الله لهذه الصفات، فالصفة التي يخالف بها الخلق والتي يستحقها لذاته، والصفات الأربع الأخرى، كونه قادرا عالما، حيا، موجودا، يستحقها لما هو عليه في ذاته(٣).

النوع الثاني: وأما ما يستحيل عليه من الصفات في كل وقت، فهو ما يضاد الصفات التي يستحقها لذاته، ككونه عاجزا جاهلا معدوما، فإنها تستحيل في حقه.

النوع الثالث: وأما ما يجب له تعالى من الصفات في وقت دون وقت، فككونه مدركا ، فإنه مشروط بوجود المدرك، ونحو كونه مريدا و كارها، فإن ذلك يستند إلى الإرادة و الكراهية الحادثتين الموجودتين لا في محل(٤).

وعبد الجبار في رده على النصارى تناول معتقداتهم على أنها شبه تطرح على التوحيد، وهو ما يؤكد أنه يرى أن إثبات التوحيد كفيل لنبذ عقائدهم، ويؤكد لنا هذا مايلي:

١. يفتتح عبد الجبار فصل إبطال التثليث بقوله:( اعلم أن ما قدمنا من الدلالة على أن القديم واحد لا ثاني له في الحقيقة، ما يدل على إبطال مذهبهم)(٥)، فيطرح قضية الأقانيم الثلاثة على أنها من جزئيات علوم التوحيد.

٢.(والنصارى إذا قالوا إن الله ثلاثة أقانيم، ولم يرجعوا بذلك إلى ثلاث ذوات مخصوصة بصفات لم يحصل خلافهم إلا في العبارة، إذا رجعوا بالصفات إلى كونه تعالى عالما حيا)(٦)، لتصير متفقة مع المعتقد الإسلامي.

٣. وإن قال النصارى:إنه ثلاث ذوات، فالدلالة التي دلت على أن القديم تعالى واحد، يشير بذلك أن (ما شارك القديم في كونه قديما، يستحيل أن يختص لذاته بما يفارق الاخر)(٧)،

---

(١)المصدر ،ج١، ص ٧٥
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق
(٥)عبد الجبار ، المغني ج٥ ، ص٨٦.
(٦)المصدر السابق.
(٧)المصدر السابق.

فالقول بأن الله ثلاثة أقانيم؛ أي ثلاث ذوات، سيؤدي إلى التعدد الذي برهن على بطلانه في أصل التوحيد، فالأدلة المثبتة للتوحيد هي نفسها المثبتة لبطلان هذا القول. فالقاضي يطرح قضية الأقانيم، ويدرسها على أنها من علوم التوحيد، وهوما يؤكد حضور هذا المنطلق في ردوده.

٤.يرفض عبد الجبار القول بأن الله جوهر، ويشرح سبب ذلك، فيقول:(لو كان جوهرا لكان محدثا، وقد ثبت قدمه، فسد قوله: إنه جوهر واحد، ثلاثة أقانيم)(١)، فالجوهرية من خصائص المحدث، و الله قديم، ولذا لا يصح اطلاق لفظ الجوهر عليه.

٥. ويناقش النصارى في أقنوم الحياة، و ما ينجر عن ذلك من لوازم، فيقول:(و إن قالوا إن الحياة هي الحي، فقد أقروا بالتوحيد)(٢)، فليس له من مرمى سوى إثبات التوحيد الاعتزالي، الذي يرى أن الصفات هي الذات.

وأما عن التجسد المسيحي، فيقول عبد الجبار :(والذي يبطل قول النصارى أن الله اتحد بعيسى، أي أن مشيئة اللاهوت مشيئة الناسوت، فهو الدلالة التي دلت على أن القديم تعالى مريد بإرادة في محل)(٣)، فمناقشة القول بأن مشيئة اللاهوت هي مشيئة الناسوت هي إستمرار جدلي للتوحيد الكلامي.

و القول بأن الاتحاد، أن صارت مشيئة عيسى مشيئة للاهوت لا يصح لأنه لا يتفق والتحليل المنطقي للتوحيد الكلامي، إذ يوضح أنه لا يليق به تعالى إلا كونه مريدا بإرادة لا في محل(٤).

وحضور مفهوم التوحيد في رد عبد الجبار على النصارى بين من خلال هذه العروض السريعة لبعض مقتطفاتها. ونكرر ثانية أن ترتيب كتابه المغني نفسه-كما بينا سابقا- له دلالة بينة على الملمح العام لأصول تصوره للعقائد النصرانية، حيث رتب مسائل الرد عليها تحت أصل التوحيد، ويؤكد هذا أن العقائد النصرانية في نظره شبه تطرح على هذا الأصل، وأنها تعالج بنفس الأدوات المعرفية التي عولج بها التوحيد الكلامي.

والخلاصة أن الوجود عند القاضي نوعان، وجود الله ووجود الكون، و لكل خصائصه المعرفية و الفلسفية، وليس بين الوجودين سوى رباط الخالقية والتدبيرية، وليس بينهما تشابه؛ فالوجود الأول تنزيه محض، والوجود الثاني تجسيم محض. وثمة تمييز آخر يمكن أن نوجده بين معرفة الوجودين، فالوجود الأول، وجود عقلي محض، ويعمل فيه العقل والحدس والإستدلال، وله درجة السمو والتعالي على الوجود الآخر، لأن هذا الأخير يصدر عنه بالخلق، و قوانينه هي قوانين العلم الإلهي، وهو العلم الحقيقي، لأنه العلم الكلي، وأما العلم الثاني فهو علم

---

(١)عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة ، ج١ص٢١١.
(٢)عبد الجبار ، المغني ج٥ ، ص٩٤
(٣)المصدر السابق، ص١٢٢
(٤)المصدر السابق

جزئي، يدخل تحت معرفة الحواس والإدراك الجزئي، وهوبهذا يتفق مع غينو في تعالي وأفضلية العلم الإلهي القديم على العلم الجزئي الحسي(١).

## ثانيا: العدل

وهو المنطلق الثاني لردود القاضي عبد الجبار على النصارى، والعدل في اللغة، مصدر عدل يعدل عدلا، ويذكر ويراد به الفعل، كما يذكر ويراد به الفاعل(٢)، وأما في الاصطلاح، فإذا قيل إنه تعالى عدل، فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة، و أنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب(٣).

والعدل باعتباره قيمة عقدية إلهية، تشترك جميع الفرق الإسلامية في القول، ويختلفون في تفاصيل كلامية تندرج تحته، وهذه الفروق والمسائل يسميها المعتزلة علوم العدل(٤).

وعبد الجبار يخصص علوم العدل كلها لأفعال الله، فيدرس ما يصح منه فعله، وما لا يصح منه، فيكون العدل مفهوم قيمي إلهي أخلاقي. ومن مسائله، أن يعلم أن أفعال الله كلها حسنة ، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب، وأنه لا يكذب في خبره، ولا يجور في حكمه، ولا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ولا يظهر المعجزة على الكذابين، ولا يكلف العباد ما لا يطيقون، ومالا يعلمون، بل يقدرهم على ما كلفهم، ويعلمهم صفة ما كلفهم، وأنه إذا كلف المكلف وأتى بما كلف على الوجه الذي كلف، فإنه يثيبه لا محالة، وأنه سبحانه إذا آلم وأسقم فإنما فعله لصلاحه و نفعه، وإلا كان مخلا بواجب، وأن يعلم أنه تعالى أحسن نظرا بعباده منهم لأنفسهم(٥).

ونلاحظ أن مفهوم عبد الجبار للعدل يشمل مجموعتين من الأفعال، مجموعة من الأفعال يصح فعلها من الله، ومجموعة لا يصح فعلها منه، وهو ما يؤكد لنا أن العدل هو مفهوم قانوني وأخلاقي، يتعالى فيه العقل لكي يقنن للسلوك الإلهي، وما يليق به.

و طرح إشكالية العدل وتفاصيلها يثبت أن القاضي يؤمن بقوة العقل على طرح مشاكل الإلهيات، و تقعيد قوانينها والإيمان بالحلول التي يقتضيها التفكير المنطقي؛ و فلسفة العدل عند القاضي هي نظام قانوني وأخلاقي يجمع بين المكلِف، والمُكَلَف، ويحدد لكل واحد أطره القانونية التي يتحرك فيها(٦)، فيحدد لله ما يجوز له فعله، كإرسال الرسل وكيفية تكليف العباد، ويحدد للإنسان المكلف ضمانات الفعل والحرية الفعلية، ويحدد العلاقات بين هاتين الدائريتين، فالله لا يتدخل في حياة البشر إلا ليقيم العدل و الواجب، وفلسفة عبد الجبار في العدل تجعل لله المُكَلِّف

---

(١) Guénon, la crise du monde moderne, (Alger Bouchene,1990) pp53-69

(٢)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٧٧.

(٣)المصدر السابق.

(٤)المصدر السابق.

(٥)المصدر السابق.

(٦)يرجع ذلك الى مبدا الواجب على الله الاعتزالي . هو تصور قانوني وفقهي محض ، وهو ما يرفضه اهل السنة و الجماعة ، اذ يرون ان لا واجب على الله ، بل الواجب هو فعل الهي (راجع:الإيجي، المواقف، ص ص ٣٢٣-٣٣٠.)

أطرا قانونية يعمل فيها، فلا يكلف الإنسان إلا ما يطيق، ولا يفعل إلا الحسن، ولا يكذب في خبره ووعده ووعيده. وأما الإنسان المكَلَّف، فتحدد له فلسفة الإعتزال أطره القانونية، فهو حر في تصرفاته، وغير مكلف بما لا يطيق، ويثاب ويعاقب على ما يفعل(١).

ولمنطلق العدل آثار على رد عبد الجبار على النصارى؛ فالرد يسلم بأن الله لا يكلفنا بمحال، ولما كانت العقيدة التثليثية تخاطب العقول بالمحال، علم أن الله لم يكلفنا بها، بل هي من وضع البشر. وهذا الموقف يجعلنا نفهم نصوصا من نقدعبد الجبار للعقائد النصرانية، ومنها مايلي:

١ - يرفض القول بالتثليث، إذ أنه(كفى بالمذهب فسادا أن يصعب على العلماء ضبطه)(٢)، ويرفض القول بالاتحاد، إذ (أن أرباب المقالات وأهل العناية به من المصنفين لا يكادون يحصلون مذهبهم)(٣).

٢ - يظهر هذا المنطلق في تناوله لديانات عصره، فيقول:(قال بعض الحكماء هاهنا ديانات ومقالات تعرف كذب أهلها بأدنى تأمل، منها النصرانية، فإنهم يدعون الآيات لكبرائهم، وأنها لاتنقطع في زمان، وأن الذين أجابوا إلى النصرانية إنما أجابوا بالمعجزات، فيقال لهم: أنتم أجبتم إليها، ولم تروا آية، ولا معجزة)(٤).

٣ - ويقول عن النصرانية جملة:(إن الذي ادعيناه عليهم من التناقض أردنا به تناقض المعنى، وأنه لايصح اعتقاده دون تناقض الألفاظ،[...]، ومالايصح اعتقاده لم يكن للتشاغل بإفساده وجه، لأنا إنما نتوصل بالشيء إلى إفساده ما يصح أن يعتقد لنزيل به المعتقد عن اعتقاده، فأما ما قد علمنا أن اعتقاده غيرممكن، فلا وجه لطلب أمر يزال به)(٥). وليس هذا فقط، بل إن كل ردود عبد الجبار على النصارى وإلزامهم الأقوال الفاسدة هي من هذا القبيل، إذ هي في حقيقتها نقد لمعقوليه العقائد النصرانية، وإلزامها الناس المحال.

## ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويوضح هذا المنطلق الموقف الاعتزالي السياسي، إذ يعكس تصورات حول الممارسة السياسية؛ والمعروف عند عبد الجبار(هو كل فعل عرف فاعله حسنه، أودل عليه، وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه، أو دل عليه)(٦)؛ فالمعروف و المنكر يتضحان بالدليل الذي يدل عليه، وأما(المقصود بالأمر بالمعروف: إيقاع المعروف، والنهي عن المنكر: زوال المنكر)(٧).

---

(١)عبد الجبار، شرح الاصول الخمسة،ج١ص٧٧.
(٢)المصدر السابق، ص٢١١.
(٣)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ص٩٢.
(٤)المصدر السابق، ص١٧٥.
(٥)عبد الجبار،المغني،ج٥، ص٩٠.
(٦)عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة ، ج١ ، ص٨٤
(٧)المصدر السابق، ص٨٥

وهذا الأصل موقف من الواقع الاجتماعي، ومحاولة تغييره، وفي ذلك إقرار بقدرة الإنسان على الفعل وإشادة به.

وعند الجبار يقسم **المعروف أقساما** بحسب نوعه، فمنه واجب، ومنه ما ليس كذلك، و(الأمر بالواجب واجب، وبالنافلة نافلة)(١)، لأن حال الأمر لا يزيد في الوجوب و الحسن، على حال المأموربه(٢).

ويقسم المنكر أيضا أقساما، فمنه العقلي، ومنه الشرعي؛ أما العقلي، فما كان منها مدركا بالعقول كالظلم و الكذب، و ما يجري مجراهما، وأما الشرعي فله قسمان أيضا: ما للاجتهاد فيه مجال، و مالا مجال للاجتهاد فيه(٣). ويظهر أثر هذا التقسيم في حكم الواجب؛ فأما **المنكر العقلي**، فيجب النهي عنه، ولا يختلف الحال فيه بحسب اختلاف المُقْدَم عليه بعد التكليف(٤).

وأما **المنكرالشرعي**، فما كان مما لا مجال للاجتهاد في كونه منكرا، كالسرقة و الزنا و شرب الخمر، فالنهي عن كل ذلك واجب، ولايختلف الحال فيه بحسب اختلاف المقدم عليه(٥).
**وأما ما للاجتهاد فيه مجال** كشرب المثلث الذي اختلف في حكمه، فإنه ينظر في حال المقدم عليه ورأيه في الحكم، فإن كان-عنده- أنه جائز لم يجب النهي عنه، وإن كان-عنده- أنه حرام وجب النهي عنه.

وبهذه التحليلات الفقهية يكشف عبد الجبار عن مرونة هذا الأصل في التطبيق، فالأمر بالمعروف يقتضي الإلمام بالمأمور به أو المنهي عنه، وبأحوال الإنسان المأمور.

ويعد الأصل خطيرا لما ينتج عنه من مواقف عملية، ولعله الأصل الاعتزالي الوحيد الذي اختص بالفعل الإنساني، وموقفه من الغير، فإذا كانت الأصول الأخرى تؤسس الإطار الوجودي العام للفعل الإنساني، ونظام باقي المعارف الشرعية، فإن هذا الأصل يؤسس نموذجا للفعل ومسئوليته تجاه الواقع والمجتمع، ويكفي أن نذكر بمحنة خلق القرآن، إذ رأى المعتزلة أن من واجبهم الأمربالمعروف، أي الأخذ برأي خلق القرآن(٦).

و تندرج مسائل معرفية كثيرة تحت هذا الأصل تتصل بالأخلاق والقانون، وتسمى **علوم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر**، كأصناف المعروف والمنكر(٧)، وأنواع المأمورين بحسب

---

(١)المصدر سابق، ص٨٨.
(٢)المصدر سابق، ص٨٩.
(٣)المصدر سابق.
(٤)المصدر سابق، ص٨٨.
(٥)المصدر سابق، ص٨٩.
(٦)ابن حزم،**الفصل في الملل والنحل**،ج١،ص١٠٥.
(٧)عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**،ج١،ص٨٤.

أحوالهم(١)، وأقسام الأمر والنهي(٢)، والإمامة، ومباحث القضاء و القدر، والآجال والأرزاق والأسعار(٣).

ويظهر جليا حضور هذا الأصل في ردود عبد الجبار على النصارى، **فالرد يمكن أن يفهم على أنه نهي عن المنكر العقلي**، وهو ما يجعله خاضعا الرد للإطار القانوني العام والفلسفي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأول ما يمكن طرحه أن الرد على النصارى يمكن عده-حسب تصنيف عبد الجبار السابق للأمر بالمعروف- معروفا عقليا، فالدراسة مهما كانت، لها تبرير وجود ومشروعية، **والرد على النصارى هو رد على صاحب عقيدة متعلقة بأصل التوحيد الكلامي**، وهي كلها مباحث عقلية على رأي المعتزلة.

و الإطار الفقهي الكلامي عند عبد الجبار يجعل الرد على المعروف العقلي واجبا-كما أوضحنا سابقا-، و لعل إجتماع الدلالة الشرعية العقلية مع دلالة الواقع الإجتماعي الذي لعب فيه النصارى دورا خطيرا، يجعل الرد أوجب الواجبات، إذ يبدو أنه قد وجد احتكاك غير مرغوب بين النصارى وواقع القاضي الاجتماعي، فقد أثاروا شبها حول عقائد الدين الاسلامي وحول نبوة الرسول عليه السلام، كما أنهم انتشروا في ربوع الدولة الإسلامية و دخلوا المؤسسات السياسية آنذاك، واعتلوا مناصبها المختلفة(٤)، وقد اعتبر القاضي ذلك مؤشر إنذار وسوء على حال الأمة الإسلامية؛ أما في خارج ربوع الدولة الإسلامية، فهنالك الدولة البيزنطية التي تكيد للدولة الإسلامية(٥).

وفي ظل هذا الواقع الاجتماعي، كان مشروع رد عبد الجبار على النصارى، فالمغني يغنيك عن غيره من الكتب، و **التثبيت** هو تثبيت لعقائد النبوة، ومسائلها التي أثيرت حولها الشبه، فصار **الرد** -بذلك- حملة إعلامية ضد عقائد النصارى، و تدعيما لعقائد المسلمين.

و **الأمر** بالمعروف و النهي عن المنكر من شروطه عند عبد الجبار **أن يعلم أن المأموربه معروف، وأن المنهي عنه منكر، لأنه لو لم يعلم ذلك لم يأمن أن يأمر بالمنكر، و ينهي عن المنكر**(٦)، ولذلك فقد عرض عبد الجبارعقائد النصارى في مؤلفاته المختلفة، ليفهمها قبل أن يقدم على نقد المنكر فيها، **(فغلبة الظن في هذا الموضع لا تقوم مقام العلم)**(٧).

**والقاضي** كان يغلب على ظنه أن لقوله تأثيرا ونجاحا في إبانة تناقض النسق العقدي

---

(١)المصدر السابق،ص٨٥.
(٢)المصدر السابق، ص٨٩.
(٣)المصدر السابق.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص ص٩٠-١٢٠.
(٥)المصدر السابق.
(٦)عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة،ج١، ص٨٥
(٧)المصدر السابق

النصراني ، وأن دفاعه عن التوحيد الكلامي سيكون له أثر معرفي واجتماعي، يقول في معرض حديثه عن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:(أن يعلم أو يغلب في ظنه أن لقوله فيه تأثيرا، حتى لو لم يعلم ذلك، ولم يغلب على ظنه لم يجب)(١).

على أن لا يؤدي ذلك كما يقول القاضي إلى فساد أكبر مما هو موجود في النصارى، أو بين المسلمين المحتارين، إذ الأمر يقتضي العلم بذلك، يقول:(أن يعلم أن ذلك لا يؤدي إلى مضرة أعظم منه، فإنه لو علم أو غلب ظنه أن نهيه عن شرب الخمر، يؤدي إلى قتل جماعة من المسلمين، أو إحراق محله لم يجب، وكما لا يجب لا يحسن)(٢).

والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على نوعين : فمنه ما لا يقوم به إلا الأئمة ، و منه ما يقوم به كافة الناس،(أما ما لا يقوم به إلا الأئمة، فذلك كإقامة الحدود، وحفظ بيضة الإسلام، وسد الثغور، وتنفيذ الجيوش وتولية القضاة و الأمراء، وما أشبه ذلك، وأما ما يقوم به غيرهم من أفناء الناس، فهو كشرب الخمر، والسرقة، والزنا، وما أشبه ذلك، ولكن إذا كان هنالك إمام مفترض الطاعة، فالرجوع إليه أولى)(٣). ويمكننا أن نستنتج أن الرد على النصارى هو من الأمر بالمعروف الذي يمكن يقوم به كل الناس، حتى لا تنتشر مقالاتهم بين المسلمين، ونحسب أن لفتته التي فصل فيها الرجوع إلى الإمام المفترض الطاعة، تجعل من صلاحيات الدولة الشؤون الثقافية، بما في ذلك الحملات الإعلامية تجاه المذاهب الأخرى والرد عليها.

والقاضي كان يعتبر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات(٤).(فإن ارتفع الفرض ببعض المسلمين سقط عن الباقين)(٥).

إن هذا الأصل يؤسس الإطار القانوني للرد على النصارى، ويحدد أخلاقياته، مما يجعله ليس اتباعا للهوى أو تسلطا بالرأي، أوعبثا في التعبير والتواصل مع الغير، وإنما هو سلوك ثقافي في التعبير عن القناعات الشخصية، ومحاولة للتعامل مع الواقع المعرفي الاجتماعي، وفق نماذج فقهية محددة و مستلمة من تصور كلي للوجود والمعرفة.

## المطلب الثاني:المفاهيم الأساسية لمنهجه في الرد على النصارى

إذا كانت المنطلقات السابقة للعرض توجه العقل في كل قضايا المعرفة، فإن المفاهيم

---

(١)المصدر سابق.
(٢)المصدر سابق.
(٣)المصدر سابق ، ص٩٠
(٤)المصدر سابق
(٥)المصدر سابق

**توجهه في قضايا النصرانيات فقط. وهذه المفاهيم ليست قاصرة على عبد الجبار، فنجد مثيلاتها في الردود الإسلامية على النصارى، ورغم ذلك فإنها تتميز بخصوصيات في ردوده لا نجدها عند غيره(١).**

**وأهم المفاهيم الأساسية في ردود عبد الجبار على النصارى هي:**

**١. النصرانية إسلام محرف.**

**٢. إنسانية المسيح.**

**٣. إعجاز القرآن.**

## أولا: النصرانية إسلام محرف

إن الفكر الإسلامي في ردوده على الأديان عامة وعلى النصرانية خاصة، لم يخل من تصورات مسبقة حول الدين و طبيعته، والقول بأن **النصرانية إسلام محرف هو أهم تلك المفاهيم التي تميز الموقف الإسلامي** عن باقي الأديان، ويرجع ذلك إلى **إقرار القرآن أن عقيدة المسيح وباقي الانبياء ومحمد عليه السلام هي عقيدة واحدة، ورميه لأهل الكتاب بالتحريف (٢).**

والقاضي في ذلك ليس غريبا في طرحه ومفاهيمه عن الفكر الإسلامي(٣)، إذ أن **منطلق النصرانية إسلام محرف هو** استمرار تطبيقي لمصطلحات ومواقف القرآن حول المسألة؛ فالمسيحية في نظر القرآن صارت محرفة. والقرآن يصرح أن عيسى عليه السلام أرسل برسالة إلى قومه، كغيره من الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم، ليعبدوا الله واحدا لا شريك له، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ، ويتعاونوا فيما بينهم، قال تعالى :﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا، أَيْنَمَا كُنتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾(٤)، فالمسيح عيسى عبد مخلوق، ونبي أوحى الله إليه، وأوصاه بالصلاة و الزكاة.

وهذا التصور مخالف لرأي النصارى القائلين بالتثليث والتجسد حول هذه القضايا، وذلك ما لا يقره القرآن، قال تعالى:﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(٥). ويقول في تأليه المسيح عليه السلام:﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ؟**

---

(١)الشرقي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص١٩١-١٩٥.

(٢)راجع ما كتب في تمهيد هذا البحث، مبحث المسيحولوجيا القرآنية.

(٣)المصدر السابق.

(٤)سورة مريم، آية ٣٠-٣٢

(٥) سورة المائدة، آية٧٢-٧٣

**قال: سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب﴾(١).**

واعتماد القاضي لمفاهيم القرآن ومقولاته حول عقائد الأديان الأخرى، وعقائد النصارى خاصة، جعل منهجه سابقا **لكل المناهج الأخرى في إيجاد طرق جديدة لدراسة الأديان عامة، و النصرانية خاصة**. وإذا عدنا إلى الردود الإسلامية على النصارى، والسابقة لعبد الجبار فإننا نجدهم أنهم ركزوا على إثبات تهافت النسق العقدي النصراني داخليا، وعدم تماسكه منطقيا وكلاميا، ومن غير التفات إلى دراسة **التحريف**؛ إذ لم يصلنا شيء حول دراسة **تحريف الكتب المقدسة** النصرانية من القرون الثلاثة الهجرية الأولى رغم أن القاضي يؤكد على أن هذا الفن من الجدل قد صال فيه الكتاب و أجادوا(٢).

وأما دراسة تحريف الشرائع والعقائد النصرانية، فلا يعرف أحد ناقش ذلك في القرون الأربعة الهجرية الأولى سوى القاضي، وقد ذكر في **تثبيت دلائل النبوة**، أنه يورد نقدا وردا على النصارى، لا يوجد في غيره من الكتب(٣). واستخدم لإثبات ذلك منهجا مقارنا، معتمدا على **مقولة التحريف القرآنية**؛ فأطنب في إثبات مصادر التحريف التى أثرت الشرائع النصرانية، وأبان عن تياراته، وجعله من **وجوه المطابقة بين ما يقره العقل و ما يقره الوحي**، وأنه من مظاهر الاعجاز القرآني الذي أوتيه النبي محمد(٤).

وهذا التوسع الدراسي لأفق الرد على النصارى هو امتداد واستمرا لمقولة التحريف القرآنية؛ فالقول بالتحريف دليل من دلائل نبوة محمد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن العرب لم يكونوا يعرفون ذلك، وقد كان النصارى ينكرون ذلك، فلما جاء النبي عليه السلام، واتهمهم بالتحريف، وتبين الناس أن ذلك حق، علم أن محمد وهوالذي لم يدرس نبي حقا، وأن هذا الإتهام هو من دلائل نبوته(٥).

## ثانيا: إنسانية المسيح

ما كان المسيح فى نظر عبد الجبار إلا بشر نبى أوحى إليه، موحد لله، لأن تصديقه للأنبياء وشهادته بما شهدوا به من توحيد الله وتنزيهه وإفراده بالقدم والربوبية والحكمة أبين من كل بين، وأوضح من كل واضح(٦)، وهو ما أكده القرآن كما وضحنا فى تمهيد هذا البحث، يقول تعالى: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ، كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ، انُظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ، ثُمَّ انُظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(٧)، والمسيح جاء لإحياء

(١)سورة المائدة،آية١١٦.
(٢)الشرفي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**،ص ١٥٨.وقارن بالردود الإسلامية التى استعرضها الشرفي.
(٣)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص١٩٨.
(٤)المصدر السابق، ص٢٩،٩٤، ١٩٨.
(٥)المصدر السابق، ص٩٢.
(٦)المصدر السابق، ص١١٥.
(٧) سورة المائدة ، آية٧٥

التوراة، كما في قوله تعالى:﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١)، فيسلم القاضي بهذا الموقف العقدي، ليثبت(أن المسيح جاء لإحياء التوراة و إقامتها، وقال إنما جئتكم لأعمل بالتوراة و بوصايا الأنبياء قبلي، ما جئت ناقضا بل متمما، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن تنقض شيئا من شريعة موسى)(٢).

وقول عبد الجبار بإنسانية المسيح لم يكن نتيجة تحليل قرآني فحسب، فالبحث الكلامي توصل إلى ذلك أيضا؛ فمن المستحيل كلاميا أن يكون الله جسما، كما يستحيل أن يتجسد، وأيضا يستحيل أن يولد بشرا(٣). ويجعله عبد الجبار من مسلمات العقل في الإلهيات، وعليه،فإن القول بأن المسيح البشر الذي يمشي في الأسواق إله، إن هو إلا عبث من القول، لتنافيه مع مقتضيات العقول و التنزيه، ومسلمات البحث الكلامي في الإلهيات(٣)، ومن هنا يستنتج عبد الجبار:(أن النصارى لا تعرف الربوبية، ولا تفرق بينها و بين الإنسانية، ولا يقوم على أحد حجة بنقلهم و ادعائهم إلا بآيات المسيح، ولولا شهادة الرسول الله صلى الله عليه، و سلم للمسيح عليه السلام بالنبوة لما عرف أحد ذلك)(٤).

فالقاضي -كما سبق توضيحه- يميز بين وجودين مختلفين؛ وجود الإله ووجود العالم، فالأول يتميز بالتنزيه المطلق، والثاني يتميز بالتجسيم المحض، وكل من يخالف في ذلك، فإنما يخالف عن جهل، و يعضد عبد الجبار هذا الكلام بدليل آخر، مفاده أن المسيح يشهد على صحة ما ذكره من حقائق في حق الله؛ إذ(تصديق المسيح للأنبياء و شهادته بما شهدوا، أنه من توحيد الله، و إفراده بالقدم و الربوبية والحكمة، أبين من كل بين، وأوضح من كل واضح )(٥).

## ثالثا: مفهوم إعجاز القرآن

من أهم مفاهيم عبد الجبار الموظفة في ردوده على النصارى مفهوم إعجاز القرآن، وقد جعله من دلائل النبوة (٦). والإعجاز من المعجز، و(هو من يعجز الغير، كما أن المقدر هو من يقدر الغير)(٧)، ويعرف في علم الكلام بأنه:(الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة)(٨).

إن هذه العلاقة بين النبوة و بين الإعجاز تدعو للبحث عن حقيقة الإعجاز، إذ أنه لا يطلق على الشيء أو الفعل إلا إذا اجتمعت فيه شروط محددة، وهي عند عبد الجبار أربعة، وهي:

**١ - كونه من جهة الله،أو في الحكم**

---

(١)سورة الصف ، آية٦.
(٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١،ص١٥٠.
(٣)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١،ص ص١٤٩-١٦٠.
(٤)المصدر السابق، وراجع الفصل الخامس من هذا البحث.
(٥)المصدر السابق، ص٢٠١.
(٦)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج ١، ص ١١٥.
(٧)المصدر السابق.
(٨)عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة،ج٢، ص٢٢٩.

**٢ – كونه واقعا عقيب دعوى المدعي النبوة**

**٣ – كونه مطابقا لدعواه**

**٤ – كونه ناقضا لعادة من بين ظهرانيهم(١).**

ويؤكد عبد الجبار أن هذه الشروط قد اجتمعت في ردود القرآن على النصارى، ولذا صح وصفها بأنها معجزة، ويدلل على ذلك كمايلي:

**١ – كونه من جهة الله،أو في الحكم**

فلا يكون الخارق للعادة معجزا، إلا إذا لم تمكن نسبته إلا لله ، حتى يصح الاستدلال به، (فلا بد من أن يكون جاريا في الحكم مجرى فعل الله ، ليصبح كونه دلالة دالة على صدق من ظهر عليه ، وإلا ، فلو لم يجر هذا المجرى لم تكن نسبته إلى صدق في دعوته إلا كنسبته إلى كذبه)(٢).

وهذا الشرط يتوفر في النبي عليه السلام، إذ أن ما جاء به حول العقائد النصرانية لا يمكن أن يصدر إلا عن الله، و يلاحظ عبد الجبار أن(محمدا صلى الله عليه وسلم، و قد حكى حقيقة مذهبهم، ولم يكن في المجادلين ولا من المتنبئين، ولا ممن يقرأ الكتب ويلقى أهلها ولا من المتكلفين، ولا كانت مكة والحجاز إذ ذاك بلاد فيها شيء من هذا، فانتشر هذا عنه صلى الله عليه وسلم، وفتش الناس عنه بعد ذلك، فوجدوا الأمر كما قال وكما فصل، بعد الجهد و طول الاستقصاء في الطلب والتفتيش،[...]، ليعلم أن وقوف النبي صلى الله عليه وسلم على هذا، إنما من قبل الله عز وجل، وإن ذلك من آياته)(٣)، فعبد الجبار يجعل إخبار النبي الأمي العربي عن دقائق مقالات النصارى دليلا على نبوته، وأن ذلك لا يكون إلا من جهة الله تعالى.

ويشير عبد الجبار إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن:

(المسيح عبدالله و رسوله، أتى الناس بما جاء الأنبياء قبله،[...]، وإن النصارى قد كذبوا عليه، و بدلوا دينه، وعطلوا وصاياه، وأنهم ضاهوا بقولهم قول الذين كفروا من قبل، الذين اتخذوا المخلوقات آلهة و أربابا، ودعوها، وتضرعو لها،[...]، وشرح أحوالهم بطول، وأن المسيح صلى الله عليه وسلم عدو لهؤلاء النصارى، وبريء منهم، فوجد الناس الأمر كما قال، وعلى ما شرح وفصل.فكم في هذا من عجب، إنه رجل عربي أمي يخبرعن رجل قد سبقه بنحو ألف سنة،ولسانه غير لسانه،وبلده غير بلده، وقومه غير قومه يخبر عنه بأمور كان عليها)(٤).

ويظهر من خلال هذا النص أن عبد الجبار يجعل إخبار النبي و القرآن عن حقيقة عقائد النصارى أمرا معجزا، لا يستطيعه النبي بإنسانيته، بل إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من جهة الله، ولا يتأتى للإنسان بقواه العادية؛ فمتضمنات الخطاب القرآني تفوق قدرة البشر.

---

(١)المصدر السابق، ٢٢٨-٢٢٩.

(٢)المصدر السابق، ٢٢٩.

(٣)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة ، ج١ ص٩٢.

(٤)المصدر السابق، ص ص١٠٨-١٠٩.

والحقيقة أن ما أورده القرآن حول المسيحولوجيا أمره بالغ الأهمية، فقد أتى برؤى نقدية، لم يعرفها النقد العلمي إلاحديثا، كالقول بتحريف الكتب المقدسة، ونظريةالتأثر بالثقافات الوثنية القديمة، والقول بأسطورة قصة المسيح الانجيلية.

٢ – كونه واقعا عقيب دعوى المدعى النبوة

وهذا الشرط يفيد أن المعجز هوالخارق الذي يأتي عقب دعوى النبوة، ويعلل عبد الجبار هذا القيد، فيقول:(لأنه لو تقدم الدعوى لم يتعلق به، فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره،[...]، وكذلك لو تراخى عنه لم يتعلق به، فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره)(١)، فلا تكون الدلالة موافقة إلا إذا كانت عقب الدعوى.

وإذا كان القرآن قد كذب النصارى واليهود فى عقائدهم واتهمهم بالتحريف، دون أن يرد هؤلاء عليه، فإنه يدل على صدقه، وعلى إعجازه، يقول عبد الجبار:(قد وجد صلى الله عليه وسلم أمما ممن كانوا قبله ، يدعون التحقيق بهذا الرجل، وهم على منهاجه وطرائقه ، فلو كان متقولا لتهيب الإقدام على ذلك، وكان لا يأمن أن يكون القوم الذين سبقوه فى الزمان، وتحققوا بهذا الرجل قد صدقوا عليه، وأنهم أتباعه كما أدعوا، فلا يأمن أن يظهر كذبه، بينما وقد ادعى الصدق والنبوة والرسالة على أهل الأرض كلهم وعقله الذي لايدفع،[...]، وحكى عن ربه عز وجل أن النصارى ليسوا على شيء مما ادعوا مما جاد به أحد فى الأنبياء، فقال:﴿ **واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾(٢)، فأقدم على أشياء قد تدبر بها العقلاء وجابرة الملوك قبله، فيه فضائحهم وهتكهم، فيؤخذ الأمر كما قال، **فلو لم يكن إلا هذا من علامة لكفى وشفى وأغنى**)(٣).

٣ – كونه مطابقا لدعواه

ويقصد بذلك أن تتحقق الدعوى كما ادعى النبي،(لأنه لو لم يكن كذلك ، و كان بالعكس ، لم يكن يتعلق بدعواه ، فلا يدل على صدقه )(٤)، ويظهر هذا الشرط في تحدي النبي عليه السلام للنصارى واليهود، ومخالفته لهم في تقريرعقائد المسيح، ورميهم بالكذب والزور، يقول عبد الجبار:(تأمل إلى إقدامه على أمتين عظمتين من أهل التحصيل والعقل، قد أجمعوا على أمر، و سبقوه في الزمان، وهوأشد الناس حرصا على تألفهم وإجابتهم واستمالتهم، فأكذهم و ردهم، و لو كان متقولا لتهيب، ولم يقدم على ذلك خوفا من أن يكون الأمر كما قالوا، وكما ادعوا، فيبين كذبه، ويرجع عنه من قد تبعه،[...]، بل قد كان ينبغي أن يكون إلى تصديقهم في ذلك أحوج، ليكون تشنيعه على النصارى أقوى)(٥)، ثم يقول في محل آخر:(**من تأمل علم بعلقه أن الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم، لا كما قالوا**، لأن تلك الجماعات لو كانت قد شاهدت ذلك وعلمته لكان

---

(١) عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة، ج٢ ، ص٢٢٩

(٢)سورة الزخرف، آية٤٥.

(٣) عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة ،ج١، ص١٠٩.

(٤) عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج٢، ص٢٣٠.

(٥) عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١ص ١٢٣.

من لقيهم و سمع منهم عالما بذلك، فكنا نكون في مثل حالهم في العلم بذلك)(١). فعبد الجبار يجعل من سكوت اليهود و النصارى وإحجامهم عن الرد على النبي عليه السلام، الذي أكذبهم، دليلا على صدق نبوته، فيبحث عن القرائن ليؤكد إعجاز المسيحولوجيا القرآنية.

وبعد أن يحلل عبد الجبار كيفية دخول التغيير والتحريف إلى النصرانية، يقول:**(قد بينا لك أن ديانات هؤلاء النصارى خلاف ديانات المسيح ووصاياه وعهوده، وعلمت علم محمد صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن علمه به من قبل الله، وأنه من معجزاته)**(٢).

**٤ - كونه ناقضا لعادة من بين ظهرانيهم**

فلا يتحقق الإعجاز لنبي إلا بتحقق هذا الشرط، ويعلل عبد الجبار ذلك أنه(لو لم يكن كذلك لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلا)(٣). وهذا الشرط قد تحقق أيضا في المواقف القرآنية من المسيح، إذ أن التحدي قد وقع بكل القرآن، هو ما يتضمن تحديا بمسيحولوجيته، ودليله القرائن التالية:

١. أخبر الرسول أن (النصارى قد كذبوا عليه، وبدلوا دينه، وعطلوا وصاياه، وأنهم ضاهوا بقولهم قول الذين كفروا من قبل،[...]، وأن المسيح صلى الله عليه وسلم عدو لهؤلاء النصارى، وبريء منهم، فوجد الناس الأمر كما قال، وعلى ما شرح وفصل، **فكم في هذا من عجب، إنه رجل عربي أمي، يخبر عن رجل قد سبقه بنحو ألف سنة**، ولسانه غير لسانه، و بلده غير بلده، و قومه غير قومه، يخبر عنه بأمور كان عليها)(٤). فالعادة أن لا يستطيع الإنسان ذلك، إذ لا يطلع على حقائق الإخبار الممكنة إلا القريب منها، فكان إخبار النبي عن الدقيق منها، دون سابق درس وعلم إعجازا.

٢. أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد أمما(ممن كانوا قبله يدعون التحقيق بهذا الرجل، وهم على منهاجه وطرائقه، فلو كان متقولا لتهيب الإقدام على ذلك، وكان لا يأمن أن يكون القوم الذين سبقوه في الزمان، وتحققا بهذا الرجل قد صدقوا عليه، وأنهم أتباعه، فلا يأمن أن يظهركذبه، بينما وقد ادعى الصدق والنبوة والرسالة على أهل الارض كلها)(٥)، فالرسول بتحديه للعرب وأهل الكتاب، وإحجام هؤلاء عن تكذيبه هو **قرينة** أخرى على نقض العادة، وفي ذلك دليل على عجز جميعهم على تكذيبه، ويزيد هذا عجبا أنه عليه السلام ليس من أهل المسيح الذي كان بين ظهراني أمم أخرى.

**فبهذه القرائن يؤكد عبد الجبارأن ما جاء في القرآن حول المسيح هو نقض لعادة بين**

---

(١)المصدر السابق،ص١٢١.
(٢)المصدر السابق، ص ١٠٩.
(٣)المصدر السابق، ص ص١٠٨-١٠٩.
(٤)المصدر السابق، ص١٠٩.
(٥)المصدر السابق.

العرب، وهومايؤكد إعجازه ونبوة محمد عليه السلام.

والردود الإسلامية على النصارى التي سبقت عبد الجبار أوعاصرته انطلقت بمنهج كلامي، وكثيرا ما يتفق في الأسس المنهجية(١)، وهو ما جعلها لا تفرق كثيرا عن بعضها في النتائج؛ إذ أن نفس الرؤى تؤدي إلى نفس النتائج، و وقعت في التكرارو التلخيص(٢). واعتماد عبد الجبارلمفهوم الإعجاز كان سببا لتطورالرد على النصارى، وولوجه مجالات كشف جديدة، فاهتم بإثبات التهمة التي رمى بها القرآن النصارى؛ أنهم فارقوا المسيح في أصول دينه وفروعه(٣).

المبحث الرابع:

# مناهج المستخدمة في الرد على النصارى

إن المنهج وسيلة للوصول إلى الحقيقة والإجابة عما يحيط بها، ولا يخفى ارتباطه بمشكلة الشرح؛ فالشرح والتفسير لايكونان إلا بطريقة معينة. وتعداد مناهج بحث عبد الجبارورده على النصارى، يجعلنا نكشف وجها آخر لمنهجه الردي، ومدى انفتاحيته، بل مدى إبداعه(٤). أضف إلى هذا، أن الطريقة تعكس أسس المنهج المعرفية، كما أنها تمدنا بتأريخية علمية لردوده، إذ أن ذلك يجرنا إلى المقارنة بين مناهجه، ومناهج غيره من المشتغلين بالرد على النصارى لينأتى لنا تأريخ المناهج والطرق النقدية.

وبتتبع ردود عبد الجبار على النصارى يتضح لنا أنه وظف المناهج التالية:

---

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص١٩١-١٩٥.

(٢)المصدر السابق،حيث قارن بين الردود الإسلامية،وأبان عن تقاربها،على سبيل المثال،ص ص٢٠٨-٢٢١.

(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٩٨.

(٤) Madeline Grawitz,methodes des sciences sosiales, p347.

١. المنهج الكلامي الجدلي.
٢. المنهج التاريخي النقدي.
٣. المنهج المقارن.
٤. المنهج التكويني.

## أولا: المنهج الكلامي الجدلي

يعد هذا المنهج الأكثر رواجا في العالم الاسلامي من القرن الثاني الهجري، ووظف لأغراض مختلفة؛ أهمها الرد على الشبه الواردة من الخصوم، ودفع الشكوك الواردة عن النفوس(١). وقد وظفها عبد الجبار في كتبه،**المغني والأصول الخمسة والمحيط**(٢). ويقوم على أصول منطقية جدلية؛ فيستعرض الموضوع المراد، ويحاول الإحاطة بما تقتضيه القسمة العقلية، ثم يرد عليها، بادئا بقوله:'إن قلتم'، ورادا بقوله:' قلنا'(٣).

ويبدو أن انتشار هذا المنهج في العالم الاسلامي في القرنين الثالث والرابع قد جعل المواضيع والأدلة مستهلكة، حتى إنه ليعسر، بل قد يستحيل أحيانا أن تعرف مبتكر هذا الدليل أوذاك، فتجد الدليل الواحد مبثوثا في كتب كثيرة من نفس العصر، وكأن المستدل بها مجتمع كامل، و ليس فردا بعينه(٤).

و هذا المنهج يبدو وكأنه منطق أرسطو، ولكن هذا الافتراض لا يلبث أن يتهافت إذا علمنا أن **القاضي عبد الجبار له نقد لهذا المنطق**، فقد تعرض بالنقد والتمحيص لمنطق الحدود ومنطق القياس، وحاول أن يقدم بديلا إسلاميا آخر، كما سيظهر لاحقا(٥).

والواقع أن الكتابات الكلامية حتى القرن الخامس رفضت استخدام المنطق الأرسطوطاليسي كمنهج، واعتبرته امتدادا للفكر الميتافيزيقي اليوناني، ولم يكن هذا قاصرا على مدرسة كلامية بعينها، بل يشترك في ذلك الفلاسفة، والمعتزلة والأشاعرة، والرافضة، يقول ابن تيمية في مفتاحه:(مازال نظار المسلمين لا يلتفتون إلى طريقهم-أي المنطق اليوناني-، بل الأشعرية والمعتزلة والكرامية والشيعة، وسائر الطوائف من أهل النظر كانوا يعيبون فسادها، وأول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي)(٦).

فالمنهج الكلامي الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري له **خصوصيات وملامح عامة**، وأهم هذه الملامح العامة التي طبع بها منهج المتكلمين عامة، ومنهج عبد الجبار خاصة ما يلي:

---

(١)الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، ص١١.
(٢)راجع الفصل الخامس، ومداخله النقدية، حيث وظف العقل والكلام أوفر وأفضل تفصيل.
(٣)راجع:مبحث 'أفعال الأقانيم'، من الفصل الخامس، من هذا البحث.
(٤)الشرقي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص ص٢٠٧-٢٢١.
(٥)محمود اليعقوبي، **ابن تيمية والمنطق الأرسطي**،(الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٧) ص
(٦)السيوطي، **صون المنطق**ص٣٢٤.نقلا عنه

**أولا:** اختلاف نظرة المتكلمين لمبحث الحد عن نظرة المناطقة الأرسطوطاليسيين، حيث اعتبروا الحد اليوناني امتدادا للميتافيزيقا اليونانية(١).

**ثانيا:** رفض القياس الارسطوطاليسي، حيث عدوا ذلك ملابسا للفلسفة المخالفة للشرع؛ فيكون منهجيا مرفوضا، إذ أنه يعد منهجا لتلك الفلسفة المرفوضة(٢).

**ثالثا:** عد المنطق الأرسطي امتدادا للفلسفة اليونانية التي أنتجته، فهو الذي أسس أسسها المعرفية والإبستيمولوجية، فمن أخذ بمنهج ما، فلابد أن يتأثر بالفلسفة التي تؤسسه(٣)، إلا إذا أجريت تعديلات لنسقه المنهج الابستيمولوجي، ومحصت أدواته المعرفية، وهو ما قصده ابن خلدون بقوله:(إن المسلمين لم يأخذوا بالأقيسة لملابستها للعلوم الفلسفية، المبانية للعقائد)(٤).

**إن هذه الاختلافات تجعلنا متوقفين من تميز المنهج الكلامي عن منهج الفلاسفة و المشائين والمناطقة.**

**ويقوم هذا المنهج عند عبد الجبار على الأدوات التالية:**

١. التعريف
٢. القياس الاسلامي
٣. السبر والتقسيم
٤. الإلزامات
٥. إنتاج المقدمات النتائج

## ١ – التعريف

إن التعريف خطوة أساسية للفهم، وأول إجراء منهجي للبحث، وهو من أهم الأدوات الاستدلالية التي وظفها عبد الجبار في الرد على النصارى. والتعريف أساس عملية الإدراك، و(لما كان الإدراك إما تصور أو تصديقا، فكذا المطلوب، فإن كان تصورا سمي طريقه **معرفا**؛ وإن كان تصديقا سمي دليلا)(٥). وقد جرى الفكر الإسلامي على تصنيف نهجين لهذه الطريقة، **فتعريف بالمثال**؛ يكون بضرب الأمثلة لكي يتضح المقال، و**تعريف باللفظ**؛ يكون بالتفسير لتعرف حقيقة الأمر(٦).

فتحديد الاصطلاحات ومحتوى الألفاظ أمر هام، وخير مثال نشرح به هذا المنهج **مناقشة عبد الجبار للحلول**؛ فالحلول له معان مختلفة وأنواع متباينة، فيستخدم **طريقة السبر والتقسيم**، ليصل إلى تعريفات حلول النصارى الممكنة؛ **فالحلول**،إما حدوث العرض في الجوهر ،وإما انتقال كانتقال الجوهر(٧).

---

(١)عبد الجبار، **المغني**، ج٥، ص ص٨٢-٩٠، والنشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، ص٩٤.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)ابن خلدون، **المقدمة** ص٣٣٦.
(٥)الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، ص ص٣٤-٣٥.
(٦)المصدر السابق ص٣٥.
(٧)عبد الجبار، **المغني**، ج٥ ص١٢٦.

ومهما يكن التعريف الذي يرتضيه النصارى، فإن القاضي يرفضه إذ الإلزامات التي تنتج عنها يرفضها المنهج الكلامي(١).

وطريقة التعريف يوظفها عبد الجبار في مناقشة القول بأن الله جوهر؛ إذ أن القول بأن الله جوهر يحتاج تعريفا لهذا الوصف، ومعلوم (أن كل جوهر متحيز، وكل متحيز محدث)(٢). وهوما يكشف عن عدم إمكانية إطلاق هذا اللفظ على الله، إذ أن الله قديم، وستتضح أمثلة أخرى نوردها في ثنايا هذا البحث.

## ٢ – القياس الإسلامي

ويعرف بقياس الغائب على الشاهد، واذا كان هذا القياس سائدا في الدراسات الكلامية والدراسات الأصولية معا، فإنه مع ذلك توجد اختلافات بين التطبيق الأصولي والتطبيق الكلامي(٣)، فالمقيس عليه عند المتكلمين هو الأصل عند الأصوليين، والمقيس هو الفرع، والجامع بين الأصل والفرع أوبين الغائب والشاهد هوالعلة عند الأصوليين، وهو الجامع عند المتكلمين.

والجامع بين الأصل والفرع الكلاميين، لا يقتصر على العلة فقط، بل يشمل الشرط والدليل والحد والحقيقة، ورغم أننا في محل ايجاز إلا أنه يلزمنا أن نبين ونمثل لكل نوع من هذه الأنواع عند القاضي، حتى يتضح الامر.

### ١ – العلة

ويمثل له عبد الجبار، بأنه إذا كانت العالمية شاهدا فيمن له العلم معللة بالعلم ، وجب أن تكون كذلك في الغائب(٤). و حاصل هذا الجمع أن العلة العقلية تتلازم مع معلوليا، ولا يجوز تقدير واحد منها دون الآخر . فلو جاز لنا تقدير العالم عالما دون العلم، لجاز تقدير العلم من غير أن يتصف محله بكونه عالما، و هذا محال، إذ الحقيقة أن الوصف يقتضي الصفة كما أن الصفة تقتضي الوصف. فإذا ثبت أن كون العالم عالما شاهدا معلل بالعلم، لزم كون الغائب العالم معللا بالعلم أيضا(٥).

### ٢ – الشرط

وهو ما نجده في تحليل القاضي للعلاقة بين العلم والحياة، فإذا كان وجود العلم مشروطا بالحياة شاهدا، فكذلك يجب أن يكون غائبا، فما كان مشاهدا يجب طرده غائبا(٦).

### ٣ – الدليل

ونمثل له بمناقشة عبد الجبار لعلاقة الفعل بالقدرة، فإذا كان الفعل يدل على القدرة والإرادة والعلم شاهدا، فيجب طرد ذلك غائبا، فالدليل يطرد شاهدا وغائبا(٧).

---

(١)المصدر السابق. (٢)المصدر السابق.
(٣)انشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ص١٣٢-١٣٣. (٤)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص ص ٩٢-٩٣.
(٥)المصدر السابق،ج٦، ص٨٠-٩٠. (٦)المصدر السابق، ص٩٢.
(٧)المصدر السابق.

### ٤ – الحد والحقيقة

ويمثل له عبد الجبار بأن النصارى إذا حدوا العالم في الشاهد بأنه من له العلم،فيجب طرد الحد غائبا(١)، وقد اختلف المتكلمون في الحد والحقيقة، هل هما شيء واحد أم شيئان(٢).

ومهما يكن، فإن كثيرا من النقاد لم يرتضوا هذا المنهج في التحليل، وأبانوا عن ضعفه، وعدم إيصاله إلى اليقين، إذ أنه لا يفيد إلا الظن. وأقوى أنواع هذا القياس الجمع بالعلة، ومع ذلك فإنه لا يصل بالقائس إلى اليقين، إذ يستند الى مقدمتين مسلمتين، وهما:

١ – أن الحكم ثبت في الأصل لعلة معينة

٢ – أن العلة إذا وجدت في أي فرع آخر، فإنها تنتج نفس الحكم.

وهو ما يجعل القطع بعيدا عن كلا القضيتين،لأن العلتين،علة الأصل وعلة الفرع متشابهتان فقط، ولابد من تغاير الشبيهين وإلا أصبحا شيئا واحدا. وهذا الاختلاف يمكن أن يكون عائقا عن الجمع.

وهذه الأداة قد شغف عبد الجبار بتطبيقها في الرد على النصارى، ومن ذلك مايلي:

١ – **يقول في مناقشة الأقانيم:**

(ولا يصح لهم أن يقولوا:إن كونه **حيا من غير أن يكون قادرا يصح ، ولا يصح كونه حيا من غير كونه عالما،** لأن الأمر فيهما سواء في أن الحي قد يخلو منهما؛وحالهما **في الشاهد يتفق في أنه لا حي نعقله يخلو من** علم و قدرة على بعض الوجوه، **ولا فصل بينهما** في أن خلو الحي من أحدهما نقص لا محالة)(٣). فعبد الجبار يحلل الأسباب المنطقية الكامنة وراء قول النصارى بالأقانيم الثلاثة، ويبين أن تخصيصهم لصفتي العلم والكلام بأقنومين فقط مرفوض، إذ أنه إذا وجب إطلاق الوصف بالأقنومية على الصفات الإلهية، فإنه يجب لجميعها من غير استثناء؛ إذ الحي لا يخلو عن تلك الصفات أبدا، وقياس الشاهد على الغائب أوقياس **الشاهد على الشاهد،** يقتضي المماثلة بين الإنسان والله عزوجل جريا على علتهم؛ فإذا قيل إن الله متصف بصفة العلم، وهي أقنوم، **لعلة الإحتياج إليه،** اقتضى جعل القدرة أقنوما آخر **لنفس العلة**؛ إذ الحاجة إليها أمس من العلم، فهي أولى أن تكون أقنوما آخر، **بدلالة قياس الأولى؛ فالجامع هو الحاجة، وأما الفرع والأصل** فهما العلم والقدرة على التوالي.

٢ – ويناقش عقيدة الأقانيم مرة أخرى، فيقول:

(إذا كنتم تثبتون الأقانيم الثلاثة من حيث استحال عندكم كونه تعالى فاعلا إلا وهوحي عالم، فأثبتم له علما وهوالإبن والكلمة وروحا، وهي الحياة، فيجب أن تثبتوا له قدرة؛**لإن الفعل لا يصح إلا من قادر،** وحاجة الفعل إلى كون فاعله قادرا آكد من حاجته إلى كونه حيا عالما)(٤).

---

(١)المصدر السابق.

(٢)النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١٣٢.

(٣)عبد الجبار، المغني،ج٥،ص٩٢.

(٤)المصدر السابق ص٩٣.

ويظهر من هذا النص أن عبد الجبار يجاري النصارى في استدلالاتهم وتعليلاتهم، وفي قياسهم الغائب على الشاهد، ليصل إلى تحليل منطقي لمفهوم الأقانيم.

والقياس الكلامي كان له شكل آخر يظهر به، ويعرف فيه ***بإنتاج المقدمات للنتائج***، رغم أنه لم يكن محل اتفاق بين جميع النظار المسلمين، إذ أنكر بعضهم أن يكون هذا الطريق من أدلة العقول(١). وحقيقة طريقة إنتاج المقدمات النتائج أنها قياس حذفت مقدمته الأولى، إما اعتمادا على ذكاء المخاطب، وإما اختصارا للكلام، وإما للمغالطة(٢).

## ٣ – السبر و التقسيم

من أشهر الأدوات توظيفا في الفكر الكلامي، السبر والتقسيم، ويبدو أنه كان طريقة قائمة بذاتها، على حين يرى بعض الباحثين أنه طريق لإثبات علة الأصل في القياس(٣).

وتقوم هذه الطريقة على تقسيم الموضوع إلى عناصر أولية، أو إلى ما تقتضيه القسمة العقلية، ثم يبحث كل قسم، ليبطل كل واحد منها، فإن لم يبق إلا واحد، عد هو الصحيح. ويبدو أن نظار المسلمين لم يعتمدوا هذا المنهج دوما، إذ أنهم جعلوه قسمين؛ فقسم صحيح إذا كانت القسمة محصورة، وظني إذا كانت غير كذلك (٤).

وتوجد تطبيقات كثيرة لهذه الطريقة في رد عبد الجبار على النصارى، كمناقشة تعدد الأقانيم(٥)، ومناقشة نظرية الملكية في الاتحاد(٦).

## ٤ – الإلزامات

ومن أشهر الأدوات الإسلامية في الاستدلال الإلزامات، ويعرفها الإيجي بأنها:(**القياس على ما يقول به الخصم لعلة فارقة، توجد في الأصل الذي يقول به الخصم، ولا توجد في الفرع الذي يقاس عليه**)(٧).

إن الإلزام قياس بالحقيقة أو قياس الطرد؛ طرد حكم الأصل في الفرع سواء كان الحكم ثبوتا أو نفيا، وهو ما يجعل منه قياسا، بتحقيق الملزوم على تحقيق اللازم، أو قياس العكس؛ فانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم. وقد عده البعض من الطرق المثبتة للعلة في القياس كالسبر والتقسيم، أي طريق لإثبات العلة في القياس، وبالتالي منهج قائم بذاته للإثبات(٨).

---

(١)النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١٣٤-١٣٦.
(٢)المصدر السابق، ص٣٦.
(٣)المصدر السابق، ص١٣٧
(٤)المصدر السابق.
(٥)عبد الجبار، المغني،ج٥ من ص٨٥-١٥٠، وراجع تحليل هاتيك المباحث في مباحث(تعدد الأقانيم. اختصاص الأقانيم. نظريات الفرق المسيحولوجية. وغيرها. من الفصل الرابع والخامس).
(٦)راجع الفصل الخامس، مبحث النظريات الخاصة في التجسد/نظرية الملكية.
(٧)الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص٣٨.
(٨)النشار،مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١٣٧

وحقيقة هذه الأداة العلة المشتركة، فيتمسك المستدل بالعلة التي هي في نظر الخصم علة للحكم الذي ينتزعه، أو مفترضا لذلك، ليفضي إلى تطبيقات أخرى لهذا الحكم في فروع أخرى، وقد لاترضي الخصم.

إن أهم ما نسجله هنا أن الخصم قد يكون معترفا بتلك العلة، وقد لا يكون، فافتراض اعتراف الخصم بها طريقة توصل إلى إثبات علية علة القياس(١).

والإلزام أو الموجب قد نال تطبيقا واسعا في ردود عبد الجبار على النصارى، ويعبر عن ذلك بقوله مرة( يلزمهم)، وتارة أخرى بقوله( يوجب أو يجب)، ومن ذلك مايلي:

١ – يقول عبد الجبار في مناقشة القول بالأقانيم:

(وعلى هذه الطريقة،ألزمهم شيوخنا القول بأن للابن ابن وذلك أن الابن إذا شارك الأب في كونه قديما؛ ووجب كونه مثلا له في ذاته.فيجب أن كان الأب لا بد له من ابن هو العلم والكلمة أن يكون الابن بمنزلته في أن له ابنا هو العلم والكلمة، ولابن الابن ابن إلى ما لا نهاية له، ومن يثبت استحالة حاجة الابن لو كان هناك ابن إلى ابن، وجب مثله في الأب، وكذلك يلزمهم في الروح أن يكون له روح لما له قالوا في الأب أن له روحا ولروح الروح روحا إلى ما لا نهاية له.ويلزمهم أن يكون للابن روح وللروح ابن كما أن للأب ابنا وروحا لمشاركتهما له في القدم الموجب للتماثل، فلا يصح أن يثبتوا للأب مع قولهم مشاركة الابن له في القدم ما لأجله احتاج إلى ابن دون الابن والروح)(٢).

ويظهر من هذا النص أن تثليث النصارى قد أثار ملكة عبد الجبار النقدية، ليدرس فيه الاتفاق والاختلاف مع النظام الدلالي المفترض في الوجود، والذي يسمح باطراد الأحكام حيثما وجدت العلة، ويجعلها لازمة وواجبة. فإذا كان الأقنومية تستوجب بوجود الصفات فإن هذا التعليل يقتضي من النصارى أن يزيدوا الأقانيم عددا بعدد صفات الله على علتهم هذه؛ وهو عين ما يرفضه النصارى.

وهذا التحليل يجعل من الإلزام صنو القياس، بله القياس نفسه، فالإلزام متابعة الخصم في قياساته،وإلزامه ما ينتج عنه من تناقضات في التعامل مع هذا النظام الدلالي المفترض، ومع ذلك فالقياس يفرق عنه في السماح للناقد بمخالفة الشاهد متابعة للخصم؛ وعليه فالقياس منهج بحث ومعرفة، والإلزام منهج جدل.

٢ – يقول عبد الجبار في مناقشة الأقانيم أيضا:(وإن أثبتوه قادرا بقدرة ، وجعلوا قدرته هي حياته أو علمه، وجب لمثله أن يكون علمه هي حياته و كلمته هي حياته،وفي هذا وجوب الاقتصار على أقنومين، ومتى جاز ذلك، وإن كان يخالف الشاهد، ليجوزن كونه عالما حيا لا لمعنى أصلا، وإن كان يخالف الشاهد، فإن أثبتوا لله قدرة سوى العلم و الحياة و سمعا و بصرا

(١)الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص ص٣٤-٣٧. (٢)عبد الجبار، المغني،ج٥،ص٨٧.

وإدراكا، لزمهم إثبات أقانيم كثيرة، وفي ذلك إبطال القول بالنصرانية)(١).

فعبد الجبار يسمح لنفسه بمتابعة قياسات النصارى، وإن كانت تخالف الشاهد، إذ التفكير فعل مفاده تأمل الشيء، ومحاولة البحث عن أوجه الشبه بينه وبين غيره من الأشياء للوصول إلى حكم عليه، فالعلم مشابهة، بله المقايسة(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن هذا المنهج يعد منهج عبد الجبار الجدلي، إذ أنه نال حظا وافرا من التطبيق في نقده كما سنرى في الفصول اللاحقة.

إن أدوات منهج عبد الجبار الكلامي التي عرضناها في هذا المطلب ترجع جميعا إلى القياس الأصولي، وهنالك تشابه بينها وبين منطق أرسطو، وليس معنى هذا أنه استمدها من الفكر اليوناني، ولكن ذلك من باب التوافق المنهجي، إذ توصل إليه بفطرتها وفطنته، وبأساليبه الخاصة.

## ثانيا: المنهج التاريخي النقدي

وهو ثاني منهج اعتمده عبد الجبار في تحليل عقائد النصارى. والمنهج التاريخي منهج له تاريخ إسلامي عريق، وتطبيقات مختلفة في ميادين مختلفة، ويبقى علم الحديث مجالا مميزا ونموذجيا لتطبيقه.

إن المعرفة التاريخية عند القاضي نوعان:

١ - المعرفة المتواترة

٢ - المعرفة الآحاد

### ١ - المعرفة المتواترة

تعرف المعرفة المتواترة بأنها ما يرويه الجمع الكثير عن الجمع الكثير من أول السند إلى آخره(٣).

ويبدو من هذا التعريف أن عبد الجبار والعلماء المسلمين يشترطون في الرواية أن تكون مشاهدة عيانا. وهو ما يقرنها بالمشاهدة والرؤية أو السماع، إذ لا تكون هذه إلا بهما. وشرط التواتر يجعل الرواية كلما كان رواتها أكثر عددا، فهي إلى التصديق أقرب، إذ لا يمكن أن يخفى

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص٤

(٣) عبد الجبار، المغني، ج١٧، ص١١١.

بين الجمع الكثير، وهو ما يعطي قوة توثيقية للرواية.

ويعتمد عبد الجبار على هذا المبدأ لينتقد عقائد النصارى، إذ هي لم تنقل في نظره بالتواتر، وهو الرد الأساس الذي وجهه للصلب والتثليث والتجسد، و(به تعلم بطلان دعاوي النصارى في ادعائهم قيام المسيح من قبره، وأنه عليه السلام أقام معهم بعد قيامه من قبره أربعين يوما ثم صعد إلى السماء)(١).

ولتوضيح أهمية التواتر في الأخبار، يقول عبد الجبار:(قد تجتمع الجماعة الكبيرة، فتصدق المخبر الواحد من طرق حسن الظن بخبره، ويكون قد صدق فيما أخبر، فيكونوا صادقين، وإن لم يعلموا صدقه، وإن ظنوا أن اعتقادهم لذلك علم)(٢)، فهو يرجع الفكر النصراني إلى الأخذ بالظن.

والأناجيل باعتبارها المصدر الأساس للعقائد النصرانية، تحكي أخبارا عن المسيح، لم تصل درجة التواتر، يقول عبد الجبار:

(من تأمل علم بعقله أن الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم، لا كما قالوا ، لأن تلك الجماعات لو كانت شاهدت ذلك و علمته لكان من لقيهم و سمع منهم في مثل حالهم في العلم بذلك، فكان كل من لقي النصارى واليهود و سمع ذلك منهم عالم بذلك ، فكنا نكون في مثل حالهم في العلم بذلك.ألا ترى أنه لما أخبرناهم بقتل حمزة و جعفر وعمر و عثمان و علي رضي الله عنهم شاركونا في العلم بذلك و صارت حالهم في ذلك مثل حالنا ، فلما رجعنا إلى أنفسنا فلم نجدنا عالمين مع مخالطتهم ، وكثرة سماعنا منهم، علمنا أنهم ليسوا بذلك عالمين، وأن اعتقادهم لذلك ليس بعلم ، فبهذا الدليل علمنا صحة دعواه صلى الله عليه وسلم، وكذب دعواهم في أنهم بذلك عالمين)(٣)،

فالقاضي يربط بين عدم تواتر التعديل و عدم علمنا بذلك، إذ التواتر فقط هو ما يمكن أن يفيد العلم، فالعلاقة بينهما علاقة سبب ومسبب. وليس ذلك بلازم، إذ توجد أخبار متواترة عند أمم لا تعلمها أمم أخرى ، فأخبار واقع معين متواترة عند شعب، قد لا توجد عند أمم أخرى، ونعرف ذلك من الحس و المشاهدة؛ و لا يعني هذا صحة تواتر الأناجيل، إذ أن بطلان الدليل لا يؤدي إلى بطلان المدلول.

## ٢ – روايات الآحاد

وخبر الآحاد مايرويه قليل من الناس يمكن أن يتواطؤوا على الكذب، وهو بذلك خلاف المتواتر الذي يستحيل معه التواطؤ على الكذب.

---

(١)عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف،ج١، ص٢٩٩.
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٢٣.
(٣)المصدر السابق.

وتختلف روايات الآحاد عن المتواتر في الأحكام؛ فإذا كان التواتر يكفي للقول بصحة الخبر، فإن الآحاد لا يجب له هذا الوصف إلا بتمام نقدين، وهما:

١ – نقد توثيق السند

٢ – نقد المضمون

النقد الأول: نقد توثيق السند

يعتمد توثيق السند على النقاط التالية:

١ – البحث عن مصدر الخبر

٢ – التحقق من نسبة الخبر إلى قائله

٣ – نقد الراوي

أولا: البحث عن مصدر الخبر

أول مايلفتنا في ردود عبد الجبار بحثه عن مصادر الأخبار النصرانية والأناجيل، فمن أين سمع الرواة أخبار؟ ومن الذي نقلها إليهم؟ وكيف نقلت إليهم؟.

والبحث عن مصدر الخبر هو أول إجراء تاريخي نقدي في المناهج الحديثة، ورغم الإعتراف به، إلا أن نقد الأناجيل قد بقي دهرا طويل دون إلتفات إليه(١)، وهومايشير إليه عبد الجبار، في تناوله لهوية كاتبي الأناجيل، فيقول:(وعند هؤلاء الطوائف من النصارى أن هؤلاء الأربعة أصحاب المسيح وتلاميذه،لايعلمون ولايدرون من هم، ولا معهم في ذلك إلا الدعوى فقط)(٢)، فهؤلاء الرواة لا يمكن إعتمادهم لأنهم غير معروفي الهوية.

فهذا الإجراء يجعل العقيدة والكتابات المقدسة محل بحث ونقد، ولا تؤخذ بالتقليد.

ثانيا: التحقق من نسبة الخبر إلى قائله

وهوما يقتضي تثبتا وتحققا من دعوى تلك النسبة، فهل هذا الراوي الذي نقل الخبر نقله عن مصدره الأصلي المباشر، أم عن مصدر وسيط عن المصدر الأصلي؟ أم عن مصادرأخرى وسيطة، أوغير مباشرة؟ وهل التقى حقيقة بمن روى عنه؟.

ولتحقيق هذا النقد يستعين عبد الجبار بقرائن تاريخية ونقلية، كمعرفة تاريخ موت الراوي و مولد من روى عنه ليتأكد للقول بإمكانية اتصال الراوي بمن روى عنه وسماعه منه، ويعرف ذلك بطريق التاريخ، كما يعرف بمعرفة بيئة الراوى، وبيئة من روى عنه، وعصرهما و درجة اتصال بعضهما ببعض، فإذا ثبت هذا أمكن الترجيح بناء على إمكانية نقل الخبر عن هذا الراوي.

وتظهر هذه التطبيقات جلية في مناقشة عبد الجبار لمصادر الدين النصراني، فيبحث عن

---

(١)جبير نشأة المسيحية وتطورها،ص ص١٤-٢٤.

(٢)عبد الجبار تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص.١٥٥.

هوية الرواة، وعن سماعهم، كما يبحث عن إمكانية تلقيهم عن المسيح عليه السلام، فيوظف قرائن نقلية، ليثبت عدم تلقي النصارى الأناجيل من المسيح، ويستشهد بالأناجيل، فقد( قال لوقا مخاطبا الذي عمل له إنجيله وهو أول من عمل من الأربعة "عرفت رغبتك في الخير و العلم و الأدب فعلمت هذا الإنجيل لمعرفتي، ولأني كنت قريبا إلى الذين خدموا الكلمة و رأوها " فهو قبل كل شيء قد أفصح بأنه ما رأى الكلمة، يعني بالكلمة المسيح ثم ادعى أنه رأى من رأى المسيح)، ويضيف:( ومع هذا فقد ذكر أن إنجيله أولى من إنجيل غيره)(١)، وهو ما يشكك في سماع لوقا وغيره من الكتاب من المسيح.

كما يوظف عبد الجبار قرائن تاريخية لنقد الأناجيل، فالفترة التي كتبت فيها الأناجيل هي فترة قمع وتشريد،وحرق بالنار، وهو مالا يسمح بكتابتها وانتشارها(٢). وعلى كل حال، فهذه الإجراءات تساعد على فهم أفضل لنسبة الخبر الى ناقله، وهو ما يمهد للتحقق من الراوي.

**ثالثا: توثيق الراوي**

ويهتم هذا الإجراء بمعرفة راوي الخبر، والتحقق من صحة المصدر الذي نقل الخبر، وقد وظف عبد الجبارضابطين لنقد وتوثيق الرواة، وهما:

١. نقد العدالة
٢. نقد الضبط

**١. نقد العدالة**

وهو أول نقد يسبر به عبد الجبار الراوي، فيدرس هويته، وصدقه وأمانته في القول والأداء؛ فالعدالة عند المسلمين خاصة وجدانية واجتماعية، وعلى كل حال فدقة النقل التي يعبرون عنها بالضبط و صدق الأداء الذى يعبرون عنه بالعدالة، هما أساسا صحة الرواية، أو بتعبيرأدق ،أساس صحة الرواية العدالة والضبط، وهما ما يقابلان في المنهج العلمي الحديث: الأمانة و الدقة. ويظهر هذا جليا في مناقشته لتوثيق الأناجيل، يقول:(وعند هؤلاءالطوائف من النصارى أن هؤلاء الأربعة أصحاب المسيح و تلاميذه، وهم لايعلمون و لايدرون من هم، ولا معهم في ذلك إلا الدعوى)(٣). فالرواة الأربعة غير معروفي الهوية ولا الحال؛ وبذلك يمكن الحكم بأنها رواية مجاهيل، وهي مرفوضة، فلا يمكن أن نعرف عدالتهم، وضبطهم، كما لا يمكن أن نعرف عمن أخذوا، فلا نعرف مشائخهم الذين تلقوا منهم العلم؛ و لهذا لا يمكن الاعتداد بهم.

**٢. نقدالضبط**

يبدو من خلال تتبع نصوص عبد الجبارأن الضبط من أهم الشروط في الراوي(٤)، و

---

(١)المصدر السابق،ص١٥٤.
(٢)المصدر السابق،ص ص١٥٠-١٦٤.
(٣)المصدر السابق،ص١٥٥.
(٤)المصدر السابق

حقيقة الضبط دقة الملاحظة، فيجب أن يكون عند التحمل يقظا قريبا من مصدر الخبر أومشاهدا له عيانا، حتى يمكن الراوي من رؤية المحدث رؤية حسية.

وعلى كل حال، فالدقة في الملاحظة من أهم الركائز التي يرتكز عليها المنهج العلمي في العصر الحديث، وما يشترطه المحدثون من علماء المنهج(١).

وتظهر هذه الضوابط في تعامل عبد الجبار مع الأناجيل، حيث يلاحظ أن رواتها الاربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا:(يتفقون في مواضع، و يختلفون في مواضع، و في بعضها ما ليس في بعض،[...]، وفيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين الشيء الكثير)(٣)، فاختلاف الأربعة فيما بينهم قرينة دالة على عدم حفظهم وضبطهم، وليس هذا فقط، بل إن عدد هذه كثير، ويمكن أن تفرد ببحث خاص(٢).

كما يلاحظ عبد الجبار أن القرائن التاريخية تدل أيضا على عدم ضبط كتبة الأناجيل؛ فالتاريخ الأول من المسيحية عرف اضطهادا وقتلا وتشريدا للمسيحيين، وهوما كان له أثر على نقل الأناجيل وكتابته، إذ أن هذا يحتاج إلى وقت وتريث، كما يحتاج إلى مدارسة، والاضطهاد الرومي لا يسمح بذلك ولا يذر، فقتل أصحاب المسيح وقضى عليهم، ولم تعرف الأناجيل إلا بعد سنين طويلة من حياته(٣).

## النقد الثاني: نقدالمضمون

بعد نقد السند يأتي نقد المتن، فليس كل ما يصح سندا يصح متنا، ويبدو أن منهج عبد الجبار في نقد المتن يتضمن ثلاث مراحل، أو إجراءات، هي:

١ – جمع النصوص
٢ – التفسير
٣ – معرفة الصحيح من الزائف
٤ – التطيل وصياغة النظريات التفسيرية

### أولا: جمع النصوص

أول إجراء نلفيه في دراسة عبد الجبار لمتون النص المقدس هو جمع النصوص، بحثا عن مضامن الإتفاق والإختلاف فيها، إذ الاختلاف علامة مرضية وتحتاج نقدا. وهذا التوجه نجده

(١)عثمان موافي،منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأروبي،(الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية،د ت)
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٥٤.
(٣)المصدر السابق،ص ص١٥٤-١٥٥. وقارن بديفور، حيث يتفق معه في النتائج النقدية، Dufour,Evangiles,p818.

في دراسة عبد الجبار لحادثة الصلب(١)، كما نلفيه في دراسته لحادثة التجسد الإلهي في الإنسان عيسى(٢).

**ثانيا: التفسير**

بعد الجمع والمقارنة يأتي التفسير؛ والتفسير عمل ذهني، مفاده الإلمام بمضامين النص، وله علاقة بعمليات ذهنية أخرى، كالإحالة على النسق الفكري والعقدي المعتمد، والذي يرجع إليه في تحليل النص، وتحديد المعنى المقصود. ويكون الأمر أشد في تحليل النص الديني، إذا تعلق الأمر بقضايا العقائد. ولذا، فقد أوجب عبد الجبار على من يتعامل مع التفسير (أن يكون عالما بما يصح على الله تعالى، ومالا يصح من جهة العقل)(٣).

وحضور هذه المفاهيم في تعامل عبد الجبار مع نصوص الكتاب المقدس واضح، خاصة فيما تعلق بالإلهيات، إذ أنه يعمد إلى توظيف الأصوليات الخمسة كنسق مبرهن عليه في علم آخر، و كمرجع، يعول عليه في تحليل نص الكتاب المقدس، ونقده وتأويله بما يتفق معها(٤).

إن التفسير الذي يقصده عبد الجبار جعل منهجه في تفسير القرآن محل طعن(٥)، إذ أنه على هذا المنوال يتغير تبعا للرأي والمذهب، وهو مايفقد النص قيمته.

**ثالثا: معرفة الصحيح من الزائف**

وأما هذا الإجراء فهو النقد العلمي في أدق معانيه، ويبدو أن عبد الجبار كان يمتلك قواعد كلية لمعرفة صحيح المتن من زائفه؛ منها ما يتعلق بالنقل، ومنها ما يتعلق بالعقل والذوق والخبرة الحسية. فيرجع إلى النقل، للتعرف على الاختلاف وتبين الزيف؛ إذالتنزيل لايمكن أن يكون فيه اختلاف(٦)، فإن لم يجد في النقل ما يدل على الزيف، لجأ إلى العقل والذوق(٧)، فهنا لا محل للتخمين أوالظن.

**رابعا: التعليل وصياغة النظريات التفسيرية**

وهو آخر إجراء في منهج عبد الجبار التاريخي، ويبدو من خلال ردوده أنه اهتم بالتعليل وصياغة النظريات التفسيرية أيما اهتمام، فنجده يهتم بالإبانة عن الأسباب الكامنة وراء والظروف التاريخية التي أسهمت في ذلك، ويمكننا أن نأخذ نموذجا على ذلك نظريته التفسيرية لنشأة القول بعقيدة التثليث.

---

(١)راجع الفصل الخامس مبحث الصلب.
(٢)راجع الفصل الخامس مبحث مناقشة أدلة التجسد النقلية.
(٣)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص١١١.
(٤)عثمان، قاضي القضاة، ص ص٨٢-٨٧.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق، ص١١١.
(٧)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٩٨

فالنصارى يقولون إن عقيدة المسيح هي التثليث، والمسلمون يقولون بل هي التوحيد؛ فاهتم عبد الجبار بتفسير مخالفة النصارى للمسلمين، والإبانة عن عللها، وأنه مضاهون للذين كفروا من قبل، ويضع بذلك نظرية تأثر العقائد النصرانية بالثقافات الوثنية القديمة"(١).

فهذه هي أصول وخطوات منهج عبد الجبار في النقد التاريخي، وهي تتفق مع كثير من خطوات المنهج التاريخي الحديث.

## ثالثا: المنهج المقارن

ومن أخص خصائص ردود القاضي عبد الجبار على النصارى توظيف المنهج المقارن في دراسة عقائدهم. وقد أطنب في توظيفه في كتابه تثبيت دلائل النبوة، ووظفه ليكشف عن عناصر خفية فيها، لا يمكن للمنهج الجدلي-الاستنباطي أن يكشف عنها.

وأوضح ما يبين لنا تطبيق هذا المنهج عند عبد الجبار مايلي:

**١ – المقارنة بين مسيحية المسيح ونصرانية النصارى.**

يدرس عبد الجبار مسيحية المسيح اعتمادا على الأناجيل والتوراة، إذ المسيح متعبد بهما كما تبين له، ثم يعمد إلى مقارنة ذلك بنصرانية الفرق المختلفة؛ ليثبت مفارقتها له في الأصول والفروع(٢).

**٢ – المقارنة بين نصرانية الكتاب المقدس ونصرانية الواقع الرومي.**

فيعمد إلى دراسة الشرائع النصرانية كماهي في الكتاب المقدس، ويقارنها بما هو موجود في واقع المجتمع الرومي البيزنطي، ليكشف عن مخالفة الروم النصارى للمسيح في الأصول و الفروع معا(٣).

**٣ – المقارنة بين نصرانية الكتاب المقدس ونصرانية بولس.**

يعمد إلى دراسة شرائع الكتاب المقدس، ليقارنها مع تشريع بولس واجتهاده، ليثبت بعد ذلك مخالفة بولس للمسيح، وابتداعه(٤).

**٤ – المقارنة بين نصرانيات الفرق النصرانية بعضها بعض.**

فيدرس نصرانيات الفرق النصرانية المختلفة، ليثبت أنها تكفر بعضها بعضا، ومع ذلك

---

(١)راجع الفصل الرابع، مطلب رد عبد الجبار على أدلة الإلهيات التاريخية

(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٩٨.

(٣)المصدر السابق،ص ص١٥٠-١٦٥.

(٤)المصدر السابق،ص ص١٤٩-١٥٥.

فهي تدعي الإعجاز لرجالاتها؛ فالدراسة المقارنة تكشف عن انتشار دعوى الإعجاز بين كل الفرق النصرانية، وهو ما يشكك في صحة وجود هذا الإعجاز أصلا(١).

**٥ – المقارنة بين نصرانية ماني ونصرانية النصارى.**

يدرس نصرانيات الفرق النصرانية المختلفة، ويقارنها بنصرانية القس ماني، ليثبت بعد ذلك أن دعوى الإعجاز التي يدعيها النصارى يدعيها القس ماني أيضا، وهو مايكشف عن تهافت هذه الدعوى، دعوى إعجاز الشريعة النصرانية(٢).

**٦ – المقارنة بين نصرانية ماني ونصرانية بولس.**

فيقارن بين مشروع ماني التشريعي ومشروع بولس، ليثبت وجود التقارب بين المشروعين، فمشروع ماني توفيق بين النصرانية والثنوية مذهب الفرس، ومشورع بولس توفيق بين النصرانية والوثنية الرومية(٣).

**٧ – المقارنة بين النصرانية والمجوسية وديانات الهند.**

يقارن عبد الجبار بين النصرانية والمجوسية في دعوى الإعجاز، ليثبت أن هذه الدعوى هي نوع من الأدب الشعبي الذي يسود في المجتمعات الإنسانية من غير دليل، وإلا وجب إثبات صحة عقائد النصرانية والمجوسية جميعا، وهومالا يرتضيه أحد من الفرقتين(٤).

**٨ – المقارنة بين النصرانية وبعض الفرق الإسلامية**

يعمد عبد الجبار إلى المقارنة أيضا بين النصرانية ومعتقدات بعض فرقها في دعوى إعجاز الشريعة وظهور الخوارق على أيدي رجالاتها، وبين بعض الفرق الإسلامية، كالحنبلية، ليثبت أن هذه دعوى من غير دليل(٥).

إن هذا الإهتمام بالمقارنة جعل عبد الجبار نموذجا متميزا في تناول العقائد النصرانية، إذ أنه كشف عن مخالفة النصارى للمسيح في الأصول والفروع. ويمكننا أن نقول إن عبد الجبار منظرلمقارنة الأديان إبان القرون الأربعة الهجرية الأولى(٦).

## رابعا: المنهج التكويني

إن المنهج التكويني منهج يعتمد المقارنة بين نموذجين، ليصل إلى إبراز عناصر التأثر

(١)المصدر السابق،ص٢٠٩.
(٢)المصدر السابق،ص١٨٧.
(٣)المصدر السابق،ص١١٤،ص١٨٧.
(٤)المصدر السابق،ص ص١٨٥-١٨٧.
(٥)المصدر السابق،ص١٨٠،ص٢١٠
(٦)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٢٥٨، ص٥٢٣، أيضا:
Bouamama Ali . la littérature polemique musulmane contre le christianisme.pp120.

بينهما، ومدى تأثر الواحد منهما بالآخر، وكيفيات ذلك.

والمنهج التكويني منهج حديث التطبيق في الدراسات الإنسانية، وله دور هام في تأريخ الأفكار العلمية؛ فهو يرمي إلى إبراز مدى أصالة الأفكار وحداثتها(١).

وما تضيفه التكوينية إلى النماذج الاستدلالية الأخرى أنها تجيب عن سؤال لم تجب عنه النماذج المنهجية الأخرى، وهو كيف تكونت هذه الأفكار والطقوس الدينية؟

وقد اهتم عبد الجبار بعقد عدة مقارنات تكوينية، بحثا عن المكونات الخفية للديانة النصرانية، وتبين له منها مايلي:

١ – الفلسفة اليونانية

يبدو لعبد الجبار أن الثقافة اليونانية قد لعبت دورا تكوينيا خطيرا للعقائد النصرانية، يقول في ذلك:( وهذا التثليث الذي للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من أن العقل والعاقل والمعقول تصير شيئا واحدا، ويقولون: هو من المثلث، وهو من فيلسوف قديم)(٢)؛ فالتثليث النصراني حسب عبد الجبار هو امتداد فكري للفلسفة الإشراقية القديمة.

٢ – الثقافة والدين الروميان

إن شاؤول في نظر القاضي قد اتخذ من محاباة الناس غاية ودينا، فسعى في تخفيف الشرائع عليهم حتى يستسيغها الذوق الروماني، و(إذا تبينت الأمر وجدت النصارى ترومسوا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصروا)(٣). وهذا الرأي له وزنه في تقييم مشروع بولس التشريعي.

وقد توضح لعبد الجبار أن هذا المكون كان له أثران في الشرائع النصرانية:

١ – **إمداد النصرانية بطقوس:** فقد تبين أنه توجد تقاليد وطقوس تمارسها النصارى، وقد مارستها الروم من قبلهم، ولم يعرفها تاريخ الأنبياء أبدا، فلذلك يمكن أن نقول أن النصارى اقتبستها من الروم.

٢ – **إمداد النصرانية بدلالات جديدة:** حيث وجدت تقاليد مارستها الروم كعبادة الأصنام واتخاذ الرايات، فأضفت عليها النصرانية دلالة جديدة وتفسيرا يتفق وفكرها، لتعوض بها نماذجها الوثنية، وتسد بها حاجة في نفسها، فاستبدلت الأصنام بأصنام المسيح ومريم، واستبدلت الرايات بالصلبان، فالتأثر بالوثنية باد، والاختلاف في الجزئيات فقط، وهو ما يزكي قول القاضي، أن النصرانية ترومت، ولم يتنصر الروم يوما ما.

---

(١) Grawitz, methodesdes sciences sosiales .pp438-439.

(٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١٦٩، وهرمس ، فيلسوف يوناني قديم، يعرف عند المسلمين بهرمس المثلث الحكمة راجع(ابن النديم، الفهرست،ص٥٠٨).

(٣)المصدر السابق، ص ١٥٨.

وعبدالجبار يدرك أن القرآن يؤكد تماثل شرائع المسيح مع شرائع الأنبياء السابقين له، وهوما يجعل الخصائص العامة للمسيحية لا تفرق كثيرا عن الإسلام، كما بين أن المسيح عليه السلام قد أوضح أنه جاء ليبعث التوراة، وهي التقريرات التي تخالف النصرانية التاريخية في كثير من الأمور، فانبرى عبد الجباريبحث عن عوامل شذوذ الشرائع النصرانية التاريخية في التصورات والأحكام والإجراءات عن شرائع اليهودية والإسلامية(١)، إذ أن مضامينها لا يمكن أن تصدر عن عدم.

ثالثا: المكون البابلي والصابئي.

ويظهر هذا المكون في الإلهيات النصرانية، كالتثليث والاتحاد، وفي الطقوس والشعائر الدينية، كالصلاة والقربان ودخن المعابد ، وغيرها (٢).

إن منهج عبد الجبار الكلامي الجدلي أفرز طرقا منهجية جديدة في الدراسات الدينية، فكانت الطريقة المقارنة والطريقة التكوينية، وجميعها لم يوظفها الرد الإسلامي على النصارى قبل القاضي (٣).

إن المنهج الواحد إذا وظف بكثرة في موضوع واحد، استنفذت النتائج النقدية، ووقع التكرار، وهو ما وقع للاستدلال الإسلامي لما استخدم نفس المنهج في الرد على النصارى، فنفذت النتائج الممكنة للأدوات الكلامية، إذ نفس المنهج يؤدي إلى نفس النتائج. وهو ما يفسر لنا قلة نتائج عبد الجبار المبتكرة في كتابيه المغني وشرح الأصول الخمسة، إذ أنه وظف فيهما المنهج الكلامي، فكانت ردوده لا تكاد تفرق عن الردود الإسلامية الأخرى إلا في جزئيات من التطبيق(٤)، كما أنه يفسر لنا كثيرة النتائج النقدية المبتكرة التي توصل إليها في كتابه تثبيت دلائل النبوة، إذ أنه قد عدل عن المنهج الكلامي، ليصير الكلام مقارنة وبحثا تكوينيا، وهي المناهج التي لم يوظفها الفكر الإسلامي في دراسة الأديان. ومثل هذا نعده كشفا جديدا، فالطرق الدراسية تعدد في زوايا النظر، ومحاولة استكشاف الموضوع من جديد.

ويمكننا أن نقول أن عبد الجبار له منهج متميز في الإبانة عن كثير من القضايا النصرانية، سواء في منطلقاته، أوفي مفاهيمه، أو في أدواته التحليلية.

---

(١)المصدر السابق

(٢)المصدر السابق، ص١٥٨، ص١٦١.

(٣)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٢٥٨، ص٥٢٣، أيضا:

Bouamama Ali , la littérature polemique musulmane contre le christianisme,pp120.

# الفصل الثالث

# منهج عبد الجبار
# في الرد على مصادر الدين النصراني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد أن تعرفنا على الملامح العامة لمنهج القاضي عبد الجبار في رده على النصارى، يجدر بنا الآن أن نتابعه في تطبيقاته النقدية، ونستقصي الموضوعات النقدية المتناولة، وأول مبحث نطرقه هو مبحث مصادر الدين النصراني،والذي هوأساس نقدي لكل الموضوعات الردية الأخرى.

إن مصادر الدين النصراني كثيرة، ورغم أنها توظف ضمنا في الكتابات النصرانية منذ القديم، إلا أن الطرح المنهجي والتطبيقي لها لم يتم إلا في القرن السادس عشر على يد الأب الدومنيكي ملكيور كانو حيث قام بتقنين وتأصيل لمصادر الاستدلال اللاهوتي(راجع بيان رقم١)(١)، ورتبها الآب غارديال، وقسمها إلى قسمين، كمايلي:

١ - المصادر الحقيقية

٢ - المصادر الملحقة

**أولا: المصادرالحقيقية:** وهي نوعان:

١ - المصادر الأساسية: وتشتمل على نوعين، أساسية وصريحة:

١. الكتابة المقدسة:

و هي نصوص التنزيل النصراني المقدس و تشمل التوراة و الإنجيل .

(١)راجع:Gardet.et Anawati,Introduction a la theologie musulmane,pp388-389

٢. **التقاليد الرسلية:**
وهي ما جرى عليه العمل -عند رسل النصارى-.

٢ - **المصادرالصريحة:** وهي قسمان أيضا، مؤثر ومحتمل:

١. **المؤثرة:**وهي ثلاثة أنواع:
أ. **الكنيسة الكاثوليكية:** وما تصدره من أوامر وقرارات.
ب. **المجامع:** وما صدر عنها من قرارات، كنيقية، وغيرها.
ج. **قرارات البابا:** مايصدر عنه من أوامر ونواه.

٢. **المحتملة:** وهي نوعان:
١.**الآباء المقدسون:** الذين لهم صفة القداسة كجيروم وأوغسطينس.
٢.**اللاهوتيون المدرسيون والقانونيون:** من أعلام الفلسفة الوسيطية.

**ثانيا: المصادرالملحقة:** وهي كل العلوم المساعدة للعقيدة، وقد عد منها الأب غارديال ثلاثة، وهي:

١.**العقل الفطري.**
٢.**الفلاسفة و القانونيون.**
٣.**التاريخ و التقاليد الإنسانية**(١).

حيث يقصد بالعقل والفلسفة كل رأي صائب يتفق عليه أصحاب العقول(٢)، خاصة في المسائل العقدية والفلسفية، فيعطى الاعتبار لفلاسفة فكر، كأرسطو، وفلاسفة الدين كأوغسطينس. ويظهر من خلال هذا التصنيف **أن العقل ليس له محل الصدارة، بل تعطى له أهمية ملحقة**(٣).

والسؤال: هل كان عبد الجبار يعرف هذه المصادر؟

إن البحث عن هذه التفاصيل هو بحث في النقد الإسلامي للمدارك النصرانية، وسنعتمد أولا على نقد المدارك الأساسية السابقة الذكر، فنذكر عروض القاضي لمصادر الدين النصراني و مداركه - كما عرفها في القرن الرابع الهجري-، ثم نقدم بعد ذلك على عرض دراساته النقدية.

---

(١)المصدر السابق
(٢)المصدر السابق،ص٣٩٠
(٣)المصدر السابق،ص ص٣٩٠-٣٩١.

## مصادر الدين النصراني

| أقسام المصادر | أنواع مصادر الدين النصراني |
|---|---|
| **أولا: المصادر الحقيقية** | **أولا:** المصادر **الأساسية:** وهي نوعان:<br>١. الكتابة المقدسة<br>٢. التقاليد الرسلية<br><br>**ثانيا:** المصادر الصريحة: وهي نوعان:<br>**الأولى:** المصادر **المؤثرة:**<br>١. قرارات الكنيسة الكاثوليكية<br>٢. المجامع<br>٣. قرارات البابا<br>الثانية: المصادر **المحتملة:**<br>١. الأباء المقدسون<br>٢. اللاهوتيون المدرسون والقانون |
| **ثانيا: المصادر الملحقة** | ١. العقل الفطري<br>٢. الفلاسفة والقانونيون<br>٣. التاريخ والتقاليد الإنسانية |

بيان رقم (١)

(١)المصدر السابق

## المبحث الأول:

# عرض لمصادر الدين النصراني

إن أهم ما يلفت في عرض القاضي عبد الجبار لمصادر الدين النصراني هو تركيزه على دراسة الأناجيل واهماله لغيرها من المصادر، إلا ما كان عرضا. ويبدو أن السبب في ذلك هو عده المصادر الأخرى-التي ورد ذكرها بجدول غارديال عدا التوراة- مصادرغير مشروعة، أو بالأحرى هي مظهر من مظاهر التحريف والإبتداع.

واطلاع عبد الجبار على الكتب المقدسة النصرانية لم يكن باللغة الأصلية، إذ أنه لم يكن يجيد اللغة اليونانية لغة الأناجيل، وهذا ما يجعلنا نفترض أنه طالع ترجمات عربية للكتاب المقدس، أو أنه اقتبس نصوصا للإستدلال بها من كتب الردود الاسلامية على النصارى التي ذكرها في كتبه(١).

و القاضي في دراسته للمصادر النصرانية لم ينهج نهجا كلاميا بحتا، كما لم ينهج منهجا تاريخيا محضا، وإنما أراد أن يبين أن النصارى -كما هم في عصره- قد خالفوا المسيح في الأصول والفروع(٢).

إن هذا الغرض الذي قصده القاضي لم يسبقه أحد إليه، ويصرح هو بذلك في كتابه التثبيت، فيقول:(فاحتفظ بذلك، فإنك لا تكاد تجده في كتاب، وبك إلى حفظه أمس الحاجة)(٣). فما قصده القاضي بكتابه جديد في الفكر الاسلامي، فاقتضى ذلك منه أن ينهج نهجا جديدا يستخدم فيه أدوات تحليلية جديدة في هذا الموضوع؛ فاختلاف الغرض يؤدي إلى اختلاف الوسيلة.

ومع ذلك، فإن عبد الجبار كان قليل الاستدلال بآيات الكتاب المقدس إذا ما قورن بغيره كالقرافي(٤).

ويمكننا -كما ذكرنا سابقا- أن نصنف آراء القاضي في الرد على النصارى إلى صنفين،

---

(١)راجع على على سبيل المثال،عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص ص١٥٠-١٥٤.
(٢)المصدر السابق،ج١،ص١٩٨.
(٣)المصدر السابق.
(٤)القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ص٥٠-١٥٠، حيث اورد مقتطفات.

المغني والأصول والمحيط من جهة، وتثبيت دلائل النبوة من جهة أخرى، كما يلي:

**١ – المغني والأصول والمحيط**

وكلها كتبت في مرحلة مبكرة من حياة عبد الجبار. والظن أنه لم يطالع الكتب المقدسة النصرانية التي كانت سائدة في عصره، وإنما نقل عن الكتابات الإسلامية التي اهتمت بالرد على النصارى، كالأصول التي أحال عليها(١).

والشرفي في تحليله للردود الإسلامية على النصارى، وتوظيفها للآيات الإنجيلية، قد كشف عن إستخدام عبد الجبار لنفس الآيات التي استخدمتها الردود الإسلامية الأخرى، وبنفس الإستدلال، وهو ما يجعلنا نقر بتأثره واقتباسه الكثير من مصادر إسلامية كانت سائدة في عصره(٢)، فقد كان على اطلاع على كثير من الكتابات الاسلامية التي كتب في الرد على النصارى(٣)، ويؤكد هذا تلك الصيغ المبنية للمجهول التي كان يستخدمها عبد الجبار في رواية آيات من الأناجيل، كقوله(ما يروى)، و(حكي)(٤).

**٢ – تثبيت دلائل النبوة**

وهومن آخر كتب الرد التي كتبها عبد الجبار(٥)، ويبدو من خلاله أنه على علم كبير بأخبارالكتب النصرانية المقدسة وتاريخها ومفاهيمها، فيخصص قرابة عشر صفحات لدراستها ودراسة تاريخ كتابتها وأحوالها، وهو ما سيكون عمدتنا في دراسة منهجه في نقد المصادر الدينية(٦).

إلا أن الشرفي يؤكد أن عبد الجبار لم يكن له إطلاع مباشر على الاناجيل، حتى في هذه المرحلة، ويؤيد هذا بالمفارقات الموجودة بين رواية الصلب الإنجيلية، ورواية عبد الجبار(٧)، وهو ماسنتعرض له بالمناقشة في الفصل الخامس.

و في إطار استعراض القاضي للعملية التحريفية التي تعرضت لها الأناجيل، يتعرض لمعتقد النصارى في الكتب المقدسة؛ فالطوائف الثلاث من النصارى:(لا تعتقد أن الله أنزل على المسيح إنجيلا، و لا كتابا بوجه من الوجوه، بل عندهم أن المسيح خلق الأنبياء، وأنزل عليهم الكتب)(٨)، وهي الكتابات ذات الشأن والسلطان والثقة بين النصارى، وقد اختيرت من بين غيرها من الأناجيل، وكأنه يشير بهذا التحليل إلىعقيدة التجسد والتثليث، والتي

---

(١)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٩٨.
(٢)المصدر السابق
(٣)راجع مصادرعبد الجبار في الرد علىالنصارى من الفصل الأول، وعبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٩٨.
(٤)راجع: عبد الجبار، المغني،ج٥،ص١١١.
(٥)المصدر السابق،ص ص١٤٥-١٥٥.
(٦)المصدر السابق
(٧)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٣٨٩.
(٨)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص.١٥٤.

تفترض أن لله ابنا إلها، ولحظتها لن يكون هناك معنى لكلمة الوحي-بمفهومها الإسلامي-، إذ لا يمكن أن يكون الموحي إلها والموحى إليه إلها أيضا.

ويحاول القاضي أن يحلل ويعرض الأناجيل التي بين أيدي نصارى عصره، فيقول: (إنما معهم أربعة أناجيل لأربعة نفر، كتب كل واحد منهم إنجيله في زمانه، وجاء من بعده فعارضي إنجيل غيره، وكان إنجيله أولى، وهم يتفقون في مواضع ويختلفون في مواضع، وفي بعضها ما ليس في بعض، وهي حكايات قوم رجال ونساء من اليهود والروم، وغيرهم أنهم قالوا كذا، وفعلوا كذا، وفيها من المحال والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين شيء كثير، وقد تتبعه قوم، وأفردوه، وإذا قرأه المتأمل عرف ذلك، وفيها شيء من كلام المسيح، ووصاياه، وأخباره قليل، فإنجيل منها عمله يوحنا، وإنجيل منها عمله متى، ثم جاء بعدهما مرقس، فما رضي بإنجيليهما، ثم جاء من بعدهم لوقا، فما رضي بتلك الأناجيل، فعمل إنجيلا آخر، وكان عند كل واحد من هؤلاء أن صاحبه الذي تقدم وعمل إنجيلا أنه قد ضبط أشياء وأخل بأشياء)(١).

إن القاضي في هذا النص يوضح تاريخ كتابة الأناجيل ودوافع ذلك، كما أنه يقوم بتحليل محتوياتها مع مقارنة بعضها ببعض، ولعل أهم ما نستنتجه من هذا التحليل مايلي:

١ - لم يثر اهتمام القاضي مفهوم كلمة الإنجيل، إذ لم يحلل ذلك في كتاب من كتبه. وما يجعلنا نتساءل عن هذه الدلالة أن مفهوم الإنجيل ودلالته له إشكالات وتساؤلات تطرح على المستوى العقدي. فمعلوم أن كلمة انجيل كلمة إيفاتجليوس اليونانية، مكونة من مقطعين إيفا وانجليوس، ومعنى إيفا:السرور؛ معنى أنجليوس:الخبر، فيخلص أن معنى الاتجيل هو الخبر السار(٢).

فما حقيقه هذا الخبر السار؟

أسار لان الله سيغفر ذنوب البشر بعد الفناء؟ أم غير ذلك؟

ونجد بعض المجادلين يوظفون هذا المعنى لإثبات نبوة محمد عليه السلام، ويفسرون سرور هذا الخبر بأنه بشرى بظهوره عليه السلام؛ ولذا فقد تتبع المسلمون الكتب المقدسة بحثا عن دلائل نبوته عليه السلام، واستخرجوا كل آية يظنون أنها تفسر بمقدم محمد عليه السلام وتبشر به(٣).

٢ - أن النصارى تعتمد أربعة أناجيل، تعرف بالأناجيل القانونية، وقد نسبها القاضي إلى أصحابها، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ولكنه في تأريخه لكتابتها يقدم يوحنا، ثم متى، ثم مرقس، ثم لوقا ، وهو الرأى الذي لا تأخذ به النصارى، بل يجعلون أولها إنجيل متى، ثم إنجيل مرقس، فإنجيل لوقا، ثم إنجيل يوحنا، وهوما يجعلنا نتساءل عن مصدر هذا الترتيب(٤).

---

(١)المصدر السابق،ص ص١٥٤-١٥٥.

(٢)راجع تمهيد إنجيل لوقا-بشرى المسيح يسوع- ص.٤

(٣)راجع:الإمام القرافي،الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة،(بيروت:دار الكتب العلمية،)ص١٦٣.وأيضا:أحمد ديدات،المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان، ترتيب محمد السقا،(الجزائر: دار رحاب، د.ت)ص٤٩.

(٤)قد أشار لذلك الشرفي في كتابه:الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص٤١٩-٤٢٠.

٣ – يلمح القاضي إلى ظاهرة تشابه الأناجيل؛ فالأناجيل الأربعة تتشابه وتتفق في مواضع، وتختلف في أخرى، وهو ما يعرف عند علماء اللاهوت **بالأناجيل المتشابهة**(١)، وهو ما عرفه القاضي أنهم (يتفقون في مواضع ويختلفون في مواضع، وفي بعضها ما ليس في بعض)(٢).

وعرض القاضي عبد الجبار لمصادر الأديان النصرانية هو**عرض لتطورها الفكري والعقدي، من عهد المسيح عليه السلام الى عصره**؛ فاستعرض عقيدة المسيح، كما أنزلت عليه، فهو نبي كان يقول: ﴿ **الله ربي وربكم، والهي والهكم، فيشهد على نفسه أنه عبد مربوب، مدبر مصنوع، كما يشهد عليهم أنهم كذلك، وأنه مثلهم في العبودية والضعف و الحاجة؛ وذكر أنه رسول الله إلى خلقه، وأن الله أرسله كما أرسل الأنبياء قبله** ﴾(٣).

ثم لاتلبث هذه العقيدة أن تتغير وتتبدل، لتصير تثليثا بعد أن كانت توحيدا، ويصير التنزيه تجسيدا، ويصير التجسيد تأليها، فهم يقولون:(**نؤمن بالله الاب الواحد، خالق ما يرى وما لا يرى، و بالرب الواحد يسوع المسيح بن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم؛ وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول، و صار انسانا و حبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب، وقتل أمام فيلاطس الرومي، ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث –كما هو مكتوب–، وصعد الى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهومستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء**)(٤). فمن خلال هذا العرض تظهر مفارقة العقيدة النصرانية المعاصرة للقاضي لعقيدة المسيح عليه السلام، فهو **موحد** حسب التصور القرآني، بينما هو **مثلث** حسب التصور النصراني.

وقد نتساءل عن هذا التغيير وكيفيته ؟

فيجيب عبد الجبار:(إن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام، **لم تتغير، ولم تتبدل جملة واحدة، ولكن شيئا بعد شيء، وفي كل عصر، وفي كل حين، حتى تكامل تغيرها** ، ومازال **أهل الحق فيها يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا و مات الحق**)(٥)، فهو بصدد تقرير لكيفية دخول التغير وزمنه وتبدل العقائد النصرانية حتى اختفى فيها الحق وصارت كما هي الآن.

والنصارى يرفضون هذه المقالة، ويجعلون ما قرره المسيح من عقائد هو ما أقر في **مجمع نيقية**؛ فعقيدة المسيح –على رأيهم – هي ما تثبته تسبيحة الإيمان التي ذكرناها سابقا، فيحاول القاضي أن يثبت مخالفة النصارى للمسيح في الاصول والفروع(٦).

---

(١)راجع بخصوص الأناجيل المتشابهة:
Mouton-Villars/GautierLouis Frey,Analyse ordinale des evangiles Synoptiques,(Paris:EPHE;,1972)
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص.١٥٤.
(٣)المصدر السابق، ص.١١١.
(٤)المصدر السابق، ص.٩٤.
(٥)المصدر السابق، ص..١٥٢.
(٦)المصدر السابق

وهذه المحاولة التي نحن بصددها لم يسبق القاضي أحد إليها من المفكرين المسلمين -فيما نعلم-(١)، إذ أنه قد استخدم الطريقة الزمنية في دراسة المصادر النصرانية أو كما عبر هو بمنهج المخالفة في الاصول و الفروع ، وعدل عن الطريقة الكلامية، إذ أنها لا تليق بمثل هذه الأغراض المنهجية.

المبحث الثاني:

# رده

# على مصادر الدين النصراني

إن تتبع القاضي عبد الجبار لمصادر الدين يكشف عن مطالب نقدية أساسية،وهي:

١ – رده على توثيق الكتب المقدسة

٢ – رده على تفسير الكتب المقدسة

## المطلب الاول: رده على توثيق الكتب المقدسة

إن المباحث النقدية التي تركز عليها نقد الأناجيل عند القاضي عبد الجبارهي ما يلي:

١ – واضع الأناجيل.

٢ – هوية رواة الأناجيل.

٣ – نوع رواية الأناجيل.

٤ – محتوى الأناجيل.

٥ – ترجمة الأناجيل.

### أولا: واضع الأناجيل

لقد تلقى القاضي عبد الجبار مقولة تعدد الأناجيل بالرفض، وهذا الرأي له أصول عقدية مرتبطة بالمفهوم الإسلامي للوحي، والذي من خصائصه عدم الاعتراف بأي وجود للبعد البشري

(١)المصدر السابق،ص١٩٨.وراجع الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٤٢٧-٤٢٨.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في الوحي نفسه، فما الوحي سوى كلام الله.

وأهم النقاط التي ذكرها عبد الجبار في توثيق واضعي الأناجيل مايلي:

١ – يستنكر القاضي تعدد الأناجيل، فهو يرى أنه:(عندهم أربعة أناجيل لأربعة نفر، كتب كل واحد منهم إنجيله في زمانه)(١)، وكتبها أناس مختلفون،(فإنجيل منها عمله يوحنا، وإنجيل منها عمله متى، ثم جاء بعدهما مرقص فما رضي بإنجيليهما، ثم جاء بعدهم لوقا فما رضي بتلك الأناجيل، فعمل إنجيلا آخر)(٢).

٢ – إن إختلاف هذه الأناجيل فيما بينها جعل القاضي يرفض الاحتجاج بها، إذ أن الاختلاف يدل على أن مصدرها غير واحد(٣).

و يبقى السؤال مطروحا، كيف يمكن أن يكون إنجيل واحد لعيسى المسيح، بينما النصارى عندها أربعة أناجيل؟

إن هذا الإعتراض سيبقى مطروحا على الفكر النصراني بلا جواب إلى العصر الحديث، حيث كانت محاولة الإستعانة باللسانيات للإجابة على ذلك، ليتنازل عن مفهوم الوحي، ويصير معناه التعبير البشري عن المقصود الإلهي بألفاظ بشرية، ولا يخفى ما في ذلك من تلفيق، إذ كيف يفصل بين اللفظ والمعنى، وهو الأمر الذي ترفضه اللسانيا ت نفسها(٤). ومن ثم رفض القاضي عبد الجبار الأناجيل.

و قد كشف القاضي في تناوله للكتب المقدسة النصرانية إطارها التاريخي العام الذي تكونت فيه. والبداية كما يراها كانت مع بداية الاصطدام اليهودي النصراني مع الرومان. فالمسيح عليه السلام لما نشر الدين في مجتمعه، وتكونت مواقف اجتماعية مختلفة، فبعضها متبع للمسيح مقتنع به، وبعضها غير مقتنع، ويذكر القاضي أن أصحاب المسيح كانوا يقيمون عباداتهم في كنائس اليهود، وفي مكان واحد معهم، رغم وجود اختلافات محتدمة حول شأن المسيح بين النصارى وبين اليهود(٥).

وكان النصارى يشكون أمرهم إلى ملك الروم، فيجيبهم أنه بيننا و بين اليهود عهد؛ألا نغير أديانهم، فشؤون المجتمع اليهودي لا يتدخل فيها السلطان الرومي، ودام الأمر على هذا الحال و النصارى يسترحمون الملك، ويشكون اليهود إليه، مبدين له الضعف(٦).

---

(١)عبد الجبار تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص.١٥٤.
(٢)المصدر السابق، ص.١٥٥.
(٣)المصدر السابق، ص١٥٢.
(٤)المصدر السابق، ص.١٥٢-١٥٤.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق،ص.١٥٢

فاقترح عليهم الملك، أن يتركوا دين اليهود ويفارقوه إلى دين الروم، يريدهم أن يخرجوا من السلطان اليهودي ليصيروا في المجتمع الرومي(١).

و قد اختلفت ردود النصارى على هذا الإقتراح، فمنهم من كان يدين بدين المسيح، وفيه ميل إلى الثقافة الرومية ، فقبل و قال نفعل. فطلب الملك من هؤلاء المريدين للانضماج أن يأتوا بأصحابهم جميعا، ويحضروا كتابهم الإنجيل معهم(٢).

و أما أصحاب المسيح، فرفضوا ذلك العرض، وقالوا:(بئسما صنعتم، ولايحل لنا أن نمكن الروم الأنجاس من الإنجيل، وقد خرجتم أنتم من الدين بإجابتكم الروم، ولايحل لنا مخالطتكم، بل وجبت البراءة منكم، ومنعكم من الإنجيل. فوقع الخلاف بينهما واحتدم، فاستجار النصارى أصحاب الروم بملك الروم فنصرهم، فاستتر أولئك من الروم، وفروا من البلاد الى بوادي الموصل وجزيرة العرب، فتبعهم الملك برجاله فقتلهم، وحرقهم. وكان أن ضاع الإنجيل)(٣). فالقاضي عبد الجبار بتصويره هذا المشهد يحاول أن يعيد كتابة تاريخ الكتب المقدسة النصرانية، وظروفها التاريخية، وهو يذكر أن النصارى لأصحاب الملك قد اجتمعوا، وتشاوروا -فيما يعتاضون به عن الإنجيل الضائع، فتقرر رأيهم على أن ينشئوا إنجيلا، وهنا تحضر فكرة المثال النموذج، فقالوا: إنما التوراة مواليد الأنبياء وتواريخ أعمارهم، فنبني الإنجيل على ذلك، فذكر كل واحد ما حفظه من الإنجيل الأصلي، وما رووه عنه، وما تحدثت به النصارى عن المسيح، فكتب قوم إنجيلا، ثم أتى من بعدهم قوم، فكتبوا إنجيلا، وكتبوا عدة أناجيل، وكان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف أمورا كثيرة في الإنجيل الحق، فكان أن أمسكوا لتتم رئاستهم، ولم يكن في ذلك الصليب ولا الصلبوت(٤)،(وهم يزعمون أنها كانت ثمانين إنجيلا، فلم تزل تنقل وتختصر حتى بقي منها أربعة أناجيل لأربعة نفر، عمل كل واحد في عصره إنجيلا، وجاء من بعده فرآه مقصرا فعمل إنجيل هو عنده أصح من إنجيل صاحبه وأقرب إلى الصحة)(٥)، وكل ذلك يدفع عن الذهن احتمال أن تكون هذه الأناجيل للمسيح عليه السلام.

والخلاصة أن النصارى ليس بينهم إنجيل المسيح، وإنما معهم أربعة أناجيل لأربعة نفر(٦)، ومهما كانت قيمة الإنجيل الذي كتب من بعد، فليس له قداسة التنزيل.

٣ – يوظف القاضي دوافع الكتبة إلى كتابة الأناجيل، ليشكل مدخلا نقديا إلى نقد واضعي الأناجيل، فالكتبة ما أعادوا كتابتها، إلا لأنهم قد أدركوا أن الذين سبقوهم بالكتابة لم يجيدوا، ولم يفوا بالغرض،(فكان عند كل واحد من هؤلاء، أن صاحبه الذي تقدم وعمل إنجيلا أنه قد ضبط

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق ص١٥٢-١٥٣.
(٤)المصدر السابق ص.١٥٣
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق ص.١٥٢

أشياء وأخل بأشياء، وغيره أعرف وأضبط، ولوكان من قبله قد ضبط وأصاب، لما احتاج أن يعمل هوإنجيلا آخر غير إنجيل صاحبه)(١)، **فالكتابة الإنجيلية اجتهاد في اختيار الموضوع، واجتهاد في الأسلوب، واجتهاد في التركيب؛ولذلك اختلف التعبير البشري، وبالتالي وقع السهو في الكتابة والخلط في المفاهيم.**

إن الخلاف بين القاضي والنصارى أعمق من ذلك، فهو يفترض وجود **إنجيل أصل** بحكم منطلقاته القرآنية، وماهذه الأناجيل إلا صدى له، والدراسات النصرانية الكلاسيكية لا تقر بوجود **إنجيل** آخرسوى هذه الأربعة. و قد صار الآن من فرضيات البحث العلمي الحديث افتراض وجود **انجيل للمسيح** عليه السلام(٢)، والأناجيل المعترف بها تؤيد وجوده، فمتى يقول:(وكان يسوع يطوف أنحاء الأرض جاليليا (الجليل)، يعلم الناس الصلاة ، وينقل إليهم **بشارة إنجيل ملكوت الله)**(٣)، وما البشارة سوى الإنجيل الأصلي. **وهذا ما يجعلنا نرى في دراسات القاضي سبقا في البحث و معاصرة فائقة للأبحاث الحديثة.**

## ثانيا: هوية رواة الأناجيل

يتناول القاضي هوية كتبة الأناجيل، ويوظفها كمدخل نقدي للأناجيل، فكتبة الأناجيل الأربعة لا يعرفهم النصارى، و(لايعلمون ولايدرون منهم ولا معهم في ذلك إلا الدعوى فقط)(٤)، ولايمكن اعتمادهم لأنهم غير معروفي الهوية؛ فالراوي لا يعتد به ما لم تعر ف هويته وروايته.

و الكتبة الأربعة لم تعرف لهم تلمذة على المسيح، ولاهم من الذين رأوه وأخذوا عنه، وهو ما يجعل روايتهم مظنونة، فقد قال لوقا مخاطبا الذي عمل له إنجيله، وهو آخر من عمل من الأربعة:(عرفت رغبتك في الخير و العلم والأدب فعملت هذا الإنجيل لمعرفتي، ولأني كنت قريبا إلى الذين خدموا الكلمة ورأوها)(٥)، فيوظف هذا النص ليستنتج أمرين:

**أولهما:** أنه رأى من رأى المسيح.
**وثانيهما:** أنه لم ير المسيح(٦)، ومع هذا فقد ذكر أن إنجيله أولى من إنجيل غيره، فلوقا كتب إنجيله ولم ير المسيح، ومع ذلك فهو يذكر أن إنجيله خير من غيره، وهو ما يؤكد أن كتاب الأناجيل الآخرين لم يروا المسيح.

إن تتبع هذا التحليل النقدي لواضعي الأناجيل، يبين أن هناك انقطاعا في السند المعرفي بين

---

(١)المصدر السابق.
(٢)جبير، المسيحية، ص ص٢٦-٢٧.
(٣)متى، إنجيل متى، ٤/٢٢-٢٥.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١ص.١٥٥.
(٥)لوقا، إنجيل لوقا،١/.١.
(٦)عبدالجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ص.١٥٥.

المسيح وبين هؤلاء الكتبة. وانقطاع السند يجعل الرواية ضعيفة أوباطلة، وهو يؤكد على أن الإنجيل معناه الواقعي محاولة بشرية للتعبير عن مقاصد الكلام الالهي.

إن تقرير القاضي لوجود بعد بشري في الوحي والأناجيل هو ما كان يرفضه الفكر النصراني قديما، ولم يقبل إلا حديثا، وما كان ذلك ليتم لولا الدراسات النقدية الحديثة لكتبهم المقدسة، وقد كان للفكر الاسلامي سبق في ذلك، بل إن النقد الغربي للنصرانية لم يكن ليكون على أيدي أمثال استيورات وفلهاوزن و غيرهم لولا وجود الدراسات الإسلامية حول ذلك(١).

إن هذا التحليل له أبعاد خطيرة على المستوى العقدي، فهو يجعل الخطأ ممكنا في نصوص الوحي، والخطأ من صفات البشر، ويجعل الوحي امتدادا للتاريخ، بل يجعل للتاريخ جذورا في الوحي، وهو ما يسقط اعتباره وقداسته.

إن عبد الجبار تعامل مع الأناجيل على أنها معرفة خبرية، متن و سند في الآن ذاته و هذا يستوجب تتبع الاتصال والانقطاع، وتتبع المخالفات والشواهد والاعتبار وتوثيق رواة الخبر، حتى يمكن الحكم على الخبر.وقد ظهرللقاضي بعد أن طبق ذلك أن الأناجيل منقطعة الإسناد ورواتها مجاهيل العين والحال، وأن هناك انقطاع في أسانيد الكتبة الأربعة مع المسيح، مما يجعل الأناجيل الأربعة مردودة.

## ثالثا: نوع رواية الأناجيل

إن المعرفة التاريخية عند القاضي، إما أن تكون متواترة النقل، وهي ما يرويه جمع من العدول الثقات عن جمع مثلهم إلى مصدر الخبر، وإما آحاد يرويه الواحد أوالاثنان عن المصدر ، والمتواتر يفيد المعرفة بذاته، والآحاد لا يفيدها إلا إذا كان رواته ثقاة عدول(٢). ولهذا التقسيم أثر على درجة المعرفة، فالمتواتر يفيد اليقين، و الآحاد يفيد الظن فقط، والأمور التي لا يقبل فيها إلا المتواتر هي الأصول والعقائد، وأما غيرها من الفقهيات، فيقبل فيها المتواتر والآحاد(٣).

وإذا اعتبرنا أخبار المسيح والأناجيل المعتمدة أخبارا، فإنه يمكن معالجتها نقديا كما تعالج الأخبار، ومن أجل ذلك افترض عبد الجبار الفرضيات التالية:

### الفرضية الأول: مناقشة فرضية تواتر الآناجيل

يقرر عبد الجبار في مسألة تواتر الأناجيل أن النصارى مامعهم فيها إلا الظن، فقد قال الله:﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ، وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، وَمَا قَتَلُوهُ**

(١)راجع: Bouamama, la littérature polemique musulmane contre lechristianisme, pp226-229.
(٢)عبد الجبار ،المغني،ج٥ص١١١.
(٣)المصدر السابق

يَقِينًا﴾(١)، فليس ثمة يقين ولا سكون نفس(٢). والنصارى كما يقول القاضي ليس لديهم علم بما يقولون، بل يحسنون الظن فقط، فقد صدق بعضهم بعضا عن حسن ظن، إذ(قد تجتمع الجماعة الكبيرة، فتصدق المخبر الواحد من طريق حسن الظن بخبره، ويكون قد صدق فيما أخبر فيكونوا صادقين، وإن لم يعلموا صدقه، وإن ظنوا أن اعتقادهم لذلك علم)(٣)، فالاخذ بالظن لا يفيد العلم، إذ العلم هو القطع.

والأناجيل تحكي أخبارا عن المسيح، لم تصل درجة التواتر، وإنما هي آحاد، و(لأن تلك الجماعات لو كانت شاهدت ذلك وعلمته لكان من لقيهم و سمع منهم في مثل حالهم في العلم بذلك، فكان كل من لقي النصارى واليهود وسمع ذلك منهم عالم بذلك ، فكنا نكون في مثل حاليم في العلم بذلك، ألا ترى أنه لما أخبرناهم بقتل حمزة و جعفر و عمر وعثمان و علي رضي الله عنهم شاركونا في العلم بذلك و صارت حاليم في ذلك مثل حالنا ، فلما رجعنا إلى أنفسنا، لم نجدنا عالمين مع مخالطتهم، وكثرة سماعنا منهم، علمنا أنهم ليسوا بذلك عالمين، وأن اعتقادهم لذلك ليس بعلم، فبهذا الدليل علمنا صحة دعواه صلى الله عليه وسلم، وكذب دعواهم في أنهم بذلك عالمين)(٤)، ولعل أهم ما نستخلصه من هذا التحليل أن دعوى تواتر الأناجيل باطلة، وأن العقائد النصرانية قد تميزت بخصائص سندية، وهي:

١. أن عدم علمنا بوقوع ما ينكرون هو دليل على عدم تواتر صحة عقائدهم .
٢. أن عدم علم الأمم بما تنكره الأناجيل هو دليل على عدم صحتها .
٣. أن روايتها لم تتم تواترا.

والقاضي يربط بين عدم تواتر التعديل و عدم علمنا بذلك، وكأن العلاقة بينهما علاقة سبب ومسبب، وليس ذلك بلازم، إذ توجد أخبار متواترة عند أمم لا تعلمها أمم أخرى، فأخبار واقع معين، قد لا توجد عند أمم أخرى، ونعرف ذلك من الحس والمشاهدة، وهذا لا يعني صحة تواتر الأناجيل، إذ أن بطلان الدليل لا يؤدي الى بطلان المدلول.

و بطلان تواتر العقائد النصرانية (به تعلم بطلان دعاوي النصارى في ادعائهم قيام المسيح من قبره ، وأنه عليه السلام أقام معهم بعد قيامه من قبره أربعين يوما ثم صعد إلى السماء وهم يرونه)(٥).

الفرضية الثانية:مناقشة فرضية الروايات الآحاد للأناجيل

اتضح أن القاضي استنتج أن الأناجيل لم يكتبها المسيح ولم يملها، وأنها كتابات أربعة نفر

---

(١)سورة النساء،آية١٥٧.
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٢٣.
(٣)المصدر السابق،ص١٢٣.
(٤)المصدر السابق،ص١٢٤.
(٥)المصدر السابق،ص١٢٥.

من الناس، كما اتضح أنها لم تنقل بالتواتر إلينا. وبقي أن ندرس إمكانية قبول هذا الخبر الآحاد، فليس كل آحاد يقبل، بل يتم قبول ذلك بمقاييس علمية.

فالآحاد من الأخبار لايصح إلا إذا اجتمعت مواصفات فيه، هي **معرفة الراوي وعدالته، وسماعه وضبطه**، وقد درس القاضي كل مواصفة فنية لكل واحد من هؤلاء الرواة كمايلي:

**١ – معرفة رواة الأناجيل**

يذكر القاضي أن النصارى لا يعلمون ولايدرون من هم رواة الأناجيل، ولا معهم في ذلك إلا الدعوى)(١)، وهم غير معروفي الهوية ولا الحال، وبذلك يمكن الحكم أن رواياتهم **رواية مجاهيل**، وهي مرفوضة فلا يمكن أن نعرف عدالتهم، وضبطهم كما لا يمكن أن نعرف عمن أخذوا، فلا نعرف مشائخهم الذي تلقوا منهم العلم؛ ولهذا لا يمكن الإعتداد بهم.

**٢ – ضبط رواة الأناجيل**

وأما ضبط كتبة الاناجيل الأربعة، فيذكر القاضي أنهم(يتفقون في مواضع و يختلفون في مواضع و في بعضها ما ليس في بعض )، ويضيف: أن الأناجيل(فيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين الشيء الكثير)(٢)، فاختلاف **الرواة الأربعة** فيما بينهم و تناقضهم **مؤشر عدم ضبطهم**. والقاضي لا يهتم بذكر أمثلة على هذا الأختلاف، ويبدو أن سبب ذلك شيوعه بين الناس، بل إن قارئ الأناجيل يمكنه أن يعرف ذلك(٣).

**٣ – سماع رواة الأناجيل**

وأما سماع كتبة الأناجيل، فيوضح القاضي أنه لا يمكن أن يحكم على سماعهم بالثبوت، لأنه لا يعرف حالهم كما سبق توضيحه، وتدل على ذلك قرائن و مؤشرات مختلفة،بل إن الإنجيل نفسه يدل على ذلك؛ ويستشهد لذلك بلوقا، فقد (قال لوقا مخاطبا الذي عمل له إنجيله وهو أول من عمل من الأربعة "عرفت رغبتك في الخير والعلم والأدب، فعملت هذا الإنجيل لمعرفتي، ولأني كنت قريبا إلى الذين خدموا الكلمة ورأوها "، فهو قبل كل شيء قد أفصح بأنه ما رأى الكلمة، يعني بالكلمة المسيح، ثم ادعى أنه رأى من رأى المسيح )، ويضيف:( ومع هذا فقد ذكر أن إنجيله أولى من إنجيل غيره)(٤)، فيكون لوقا- حسب القاضي-، لم ينقل عن المسيح مباشرة.

وهذا ما يجعلنا نتساءل عمن أخذ لوقا؟ وتلك هي الحلقة المفقودة والتي تقف في طريق توثيق الأناجيل، إذ أن هذه الأناجيل قد سبقتها أناجيل أخرى في الوجود.

ويخلص القاضي أن **هؤلاء الرواة الأربعة لا يتوفرون على المقاييس الفنية التي تطلب**

---

(١)المصدر السابق، ص١٥٥.
(٢)المصدر السابق، ص١٥٤.
(٣)المصدر السابق، ص ص١٥٤.١٥٥.
(٤)المصدر السابق، ص١٥٤.

في الراوي، ولذلك فلا يجوز أن ندين بالأناجيل، ولا أن نقطع بصحتها(١). وبناء على ذلك، فإن القضايا العقدية لا يمكن أن تؤخذ إلا من العقول أو من المتواتر من الأخبار.

## رابعا: محتوى الأناجيل

استعرضنا في المباحث السابقة تحليلات ونقد عبد الجبار لرواة الأناجيل، أما الآن فنحاول الكشف عن نقده لمحتوى الاناجيل، فالنقد العلمي لا يكتمل إلا بنقد خارجي للرواة، ونقد داخلي لمحتويات و مضامين النصوص ، لتنتج معرفة شمولية بالرواية.

ويشرح القاضي كيفية تكون المحتوى التاريخي للأناجيل، فيذكر أن النصارى بعد فقدهم الإنجيل الأصلي، (تقرر رأيهم على أن ينشئوا إنجيلا، وقالوا إنما التوراة موالد الأنبياء و تواريخ أعمارهم فبني الإنجيل على ذلك، و يذكر كل واحد منا ما حفظه من ألفاظ الإنجيل، مما تحدث به النصارى عن المسيح، فكتب قوم إنجيلا، ثم أتى من بعدهم قوم فكتبوا إنجيلا، وكتبوا عدة أناجيل)(٢). فالقاضي يبين كيف كتبت الأناجيل البديلة عوضا عن الإنجيل الضائع؛ فالكتابة الإنجيلية اتخذت التوراة نموذجا يحتذى به في التأليف، ولما كانت التوراة ذكر لأخبار الأنبياء جعل الإنجيل ذكر لأخبار المسيح.

ويبين القاضي أن الأناجيل فيها ( من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين شيء كثير)(٣)، وبناء على هذا النص فإن الأناجيل قد تميزت بخصائص،وهي:

١ – الباطل
٢ – السخف والمحال
٣ – الكذب الظاهر
٤ – التناقض البين

وسنحاول التمثيل على كل ذلك من ردود عبد الجبار:

### ١ – الباطل

كما في قوله:(وفي أناجيلهم وأخبارهم أنه لما طلب جاءته أمه مريم، ومعها أولادها يعقوب وشمعون ويهوذا، فوقفوا حذاءه، فقال لها وهو على الخشبة: خذي أولادك وانصرفي، فما الذي بعد هذا البيان أن مريم ولدت بعد المسيح من يوسف النجار هؤلاء الجماعة، وكانوا إخوة المسيح من أمه، فأي فضيحة تكون أبشع من هذا)(٤)، فذلك من الباطل الذي يقال على الأنبياء.

(١)المصدر السابق،ج١،ص١٥٥.
(٢)المصدر السابق، ص١٥٣.
(٣)المصدر السابق، ص ص١١٩-١٢٠.
(٤)المصدر السابق، ص٢٠١.

٢ – السخف والمحال

يقول في ذلك:(وقالوا: وقد وصفوا صنيع اليهود بالمسيح:إنهم لطموا الإله، وضربوه على رأسه، وعجب لإله يضرب على رأسه، وتعالوا فانظروا إلى الإله يلطم ويضرب على رأسه)(١). فالنصارى تصف الربوبية بما يجعل الرب محل سخرية تعالى عن ذلك.

٣ – الكذب الظاهر

يظهر ذلك من خلال الأمثلة التالية:

١. ما يروى أن المسيح قاله في صلاته:(ياأبانا الذي في السماء، تقدس اسمك)(٢).

٢. وقد ورد في الأنجيل أنه قال:(ابن البشر هو رب السبت)(٣).

٣. كما يروى عنه أنه قال:(أنا بأبي ، و أبي بي ، ولا يعرف أحد الآب إلا الابن، والابن لا يعرفه إلا الأب ، وإنك إله بي، وأنا بك)(٤).

فيقول عبد الجبار:( ليس المسيح أول من كذب عليه)(٥)، و بالتالي يرفض كل استدلال إنجيلي على التثليث والأقانيم.

٤ – التناقض البين

يقول في ذلك:(ومن عجيب أمر النصارى، أن أصحاب الأناجيل الأربعة قد قصدوا إلى ذكر نسب يوسف النجار خاصة، وليس في ذلك نسب للمسيح، إذ كان مولودا من غير ذكر، وإنما يتصل نسبه إلى سليمان بن داوود عليهما السلام من قبل أمه لا من قبل أحد من الرجال، وهذا تخليط بين، وجهل ظاهر، ولذلك وجد اليهود السبيل إلى الطعن على المسيح)(٦).

والخلاصة أن عبد الجبار يرفض الإحتجاج بالأناجيل أصلا، إذ أن أسانيدها لم تبلغ درجة التوثيق، ومضامينها يستحيل عقلا أن تكون من الله، فنقد المتن ونقد السند قد اتفقا على إبانة تهافت الأناجيل.

## خامسا: ترجمة الأناجيل

يجعل القاضي اتخاذ النصارى للغة اليونانية لغة الأناجيل بدلا عن اللغة الأصل العبرية مدخلا نقديا آخر لمصادر الدين النصراني؛ فالأناجيل جميعها مكتوبة باللغة اليونانية، ومنها ما

(١)المصدر السابق،ج١،ص١٠٤.والآية ومن لوقا، لوقا،٢٣/٣٤.
(٢)عبد الجبار ،المغني،ج٥،ص١٠٩.، والآية من إنجيل متى، ٦/٩-١٠.
(٣)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٠٣.والآية من أنجيل لوقا،٦.
(٤)المصدر السابق،وقارن بإنجيل لوقا،١٠.
(٥)المصدر السابق، ص١١٤.
(٩)المصدر السابق، ص٢٠١.

ترجم من العبرية، ومنها ما ترجم من السريانية، و(ليس فيها إنجيل بلغة المسيح التي كان يتكلم بها هو وأصحابه، وهي العبرانية لغة ابراهيم الخليل وسائر الانبياء)(١).

إن الترجمة من العبرية إلى اليونانية يتخذهاعبد الجبار ذريعة للرد على النصارى، ويبين أن العلماء يقولون لهم(عدولكم معشر النصارى عن اللغة العبرية، وهي لغة المسيح و الأنبياء قبله عليهم السلام الى سائر اللغات، حتى ما من نصراني يتلو هذه الاناجيل في فرض من فروض الصلاة بلغة العبراني حيلة ومكيدة وفرار من الفضيحة )(٢).

فالتخلي عن لغة المسيح إلى اليونانية واعتبارها اللغة الدينية الرسمية لم يكن له تفسير عند القاضي سوى المكيدة؛ (فقد قال لهم الناس:إنما وقع العدول عنها لما قصده أصحابهم الأولون من الادغال في المقالات واحتيالا في تدليس ما وضعوه من الأكاذيب وسترا لما احتالوا طلبا للرياسة)(٣)؛ فالعدول كان مفتعلا، ولم تكن له دوافع واقعية، إذ أن اللغة اليونانية كانت لغة النخبة في الحضارة الرومانية. وأما عامة الناس وكثير من اليهود فكانوا لا يعرفونها(٤). يقول عبد الجبار: (ذلك أن العبرانية كانوا أهل كتاب وأهل علم في ذلك الزمان، فغير هؤلاء النفر اللغة، بل عدلوا عنها لئلا يفهم أهل العلم مذهبهم و قصدهم لسترها فيفتضحوا قبل تمكن مذهبهم، ولايتم لهم، فعدلوا الى لغات كثيرة ما تكلم المسيح وأصحابه بها، وليس أهلها من أهل كتاب، ولا علم لهم بكتب الله و شرعه)، ثم يضيف:(ولولا ذلك للزموا لغة ابراهيم وولده والمسيح الذين قامت بهم البينة، وعليهم أنزلت الكتب، وكان ذلك أولى بإثبات الحجة على بني إسرائيل وكفرة اليهود إذا دعوا بلسانهم، ونوظروا بلغتهم التي لا يمكن دفعها)(٥)، فلما كان الدين قد وضع أصلا بلغة اليهود، فالتخلي عنها الى لغات أخرى لا يفقهونها ولا يستطيعون التعامل الفكري بها، فتتم المكيدة، وهو الغرض الأول لهم في نظر عبد الجبار.

إن القاضي يجعل الترجمة مكيدة وتلبيسا للحق بالباطل، وإن كان في ذلك تعسفا، فمن المقرربين علماء النصرانية أن هنالك ترجمة حقة، قد وضعت أصلا باليونانية، تهدف إلى نشر النصرانية(٦).

إن الترجمة فعل لساني معقد، فاللغة بأنظمتها التركيبية والإفرادية لها مميزات دلالية و دوالية تميزها عن غيرها من اللغات، وكل كلمة أو جملة يمكن استخراج دلالات كثيرة منها

---

(١)المصدر السابق، ص١٥٣.
(٢)المصدر السابق، ص١٥٤.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.
(٦)راجع رسائل الرسل، التي كتبها بولس باليونانية، لينشرها في آفاق العالم، ويبدو أنه اختار اليونانية لأنها لغة الدنيا والثقافة آنذاك.

بحسب القراءة المعتمدة، فكان العدول عن ذلك النظام اللغوي المفتوح – ضمن شروط إجتماعية معرفية– على دلالات كثيرة الى نظام لغوي آخر كالنظام اليوناني بفعل الترجمة معناه إقرار **دلالة واحدة ممكنة**، ورفض ماسواها. وفي ذلك إخلال بالزخم المعنوي الذي يزخر به النص. كما أن الدلالات تختلف بحسب اللغات، **فاللغة والفكر شيء واحد**، فما تدل عليه كلمة أو جملة في سياق لا يمكن التعبير عنه في لغة أخرى، إذ(اللغات تختلف أحوالها في ذلك)(١).

ويضيف القاضي موضحا دور الترجمة وعلاقتها بالفكر كمدلول،(أن اللفظ قد يستعمل في اللغة حقيقة في شيء مجازا في غيره، وما وضع موضعها، واللغة الثانية في الحقيقة دون المجاز، فمن نقل مجاز تلك اللغة إلى ما هو حقيقة في هذه اللغة فقد أخطأ)(٢)، وهذا النص يبين إدراك القاضي العميق لقضايا الترجمة و دورها الفكري.

فهذا ما جعل القاضي يعيب على النصارى إيجاد لغة اليونان لغة دينية بدل اللغة الأصلية للأناجيل .

ورغم هذا فإن القاضي أفاض في تحليل شروط الترجمة اللغوية والعقلية؛ أما الشروط العقلية فأن (يكون عالما بما يصح على الله تعالى، وما لايصح من جهة العقل)(٣)، وأما الشروط اللغوية فأن( يكون عالما بحقيقة اللغتين ومجازهما)(٤)، والجهل بها سيولد معرفة مشوهة بالنصوص .

وقد أوضح القاضي أن بعض مترجمي القرآن في عصره وقعوا في أخطاء نتيجة عدم مراعاة هذه الشروط (فمعلوم من حال كثير من المفسرين أنهم متى فسروا العربية بالفارسية أخطأوا في الطريقة، إما جهلا بالمعنى من جهة العقل، وإما باللغة)(٥)، ورغم هذا التنظير لشروط الترجمة إلا أننا لا نجد عنده تحليلا لأحوال المترجمين، ذلك أن الترجمة **نقل بأمانة**، ولا يرضى أحد بترجمة ما لم يعرف حال المترجم وأغراضه وعلمه.

ويلفت القاضي النظر الى الأثر العقدي لترجمة الأناجيل، ويوضح أن جل المفاهيم العقدية النصرانية كان للترجمة دور فيها، وأهم نموذج يعطيه هو عقيدة التثليث الذي يدور على ثلاثة أقانيم **أب و ابن وروح قدس**، إذ(قال بعض الناس: **إن الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص، وإن الاب قد تقع على السيد المالك المدبر**)(٦)، ويضيف القاضي في توضيح أدلة القائل بهذا الرأي ما يلي:

---

(١)عبد الجبار الهمذاني،ج٥ص١١١.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.
(٦)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٢٠

١.( قال في التوراة: إن اسرائيلِ ابني و بكري، وأولاده أبنائي، وعلى دعوى النصارى تجب لهم الإلهية)(١)، فقد استخدم لفظة ابني وأطلقها على اسرائيل.

٢.(أنتم معشر النصارى تذكرون أن متى حكى في إنجيله عن المسيح أنه قال:'طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس **فإنكم تسمون أبناء الله**' )(٢)، فينتج أن كل البشر هم أبناء لله.

٣.(وقال متى في إنجيله إن المسيح قال للناس: إن أباكم السماوي واحد فرد)(٣).

٤.(و قالوا: إن المسيح كان يقول في صلاته التي يصليها و يعلمها للناس **'يا أبانا الذي في السماء** أنت قدوس اسمك، عزيز سلطانك، نافذ أمرك في السماوات والأرض،لا يعجزك ما طلبت ولايمتنع منك ما أردت)(٤).

**ويصل عبد الجبار إلى أن لفظتي الأب والابن أطلقتا على المسيح وعلى غيره، فلو كان** المقصد منها البنوة الحقيقية لوجب أن يكون الله أبا حقيقيا لكل أولئك الذين أطلق عليهم لفظ الابن، و هذا ما يجعل القاضي يعتقد أن ذلك تعبير مجازي له تأويل،**أو هو متشابه الإنجيل. ويخلص إلى أنه لا إله مع الله، وأن لفظتي الإبن والأب لهما دلالة أخرى غير تلك التي يقول بها النصارى، و هو مايطيح بعقيدة الإتحاد، ويعطي قراءة أخرى ممكنة للأناجيل.**

**والخلاصة** أن القول بالتثليث قول لا مبرر له من النصوص ، إذ هذه الأخيرة قد وقعت في تحريفات دلالة وتفسير، نتجت عن ترجمة غير سليمة للأناجيل. فكانت أن استبدلت كلمات اللغة الأصلية بكلمات لغة جديدة.

## المطلب الثاني:رده على تفسير الكتب المقدسة

إن عبد الجبار قد سجل عدة مداخل نقدية للتفسير النصراني لمصادر الدين المختلفة، وهي:

---

(١)المصدر السابق،و الآية من التوراة، تكوين،٢٤/٢٦.
(٢)المصدر السابق،والآية من: متى، إنجيل متى، ٩/٦
(٣)المصدر السابق. والآية من متى، إنجيل متى، ٤٥/٥-٤٨، وأيضا:٩/٢٣
(٤)عبد الجبار،المغني،ج٥،ص١١١. والآية من متى، إنجيل متى، ٩/٦-١٥.

١. نسخ العمل بالتوراة
٢. اهمال العقل
٣. تحريف المعاني
٤. إعمال الرأي في النص

## أولا: نسخ العمل بالتوراة

لم يفرد عبد الجبار لنسخ التوراة مبحثا خاصا، بل تعرض له أثناء عرضه لمخالفة النصارى للأصول والفروع. فهو رده على دعوى النسخ يعرض نماذج من أحكام يدعي النصارى نسخها، ثم يبين تهافتها، وخير مثال على ذلك مسألة يوم السبت؛إذ الرأي عند النصارى أن السبت من الشرائع اليهودية التي نسخت. فيدلل عبد الجبار على تهافت هذه الدعوى بآيات من الكتاب المقدس، فيذكر أنه يروى عن المسيح عليه السلام ما يدل على عدم نسخه:

١. (إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضا بل متمما، ولأن تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن تنقص شيئا من شريعة موسى، و من نقص شيئا من ذلك يدعى ناقصا في ملكوت السماء)(١).
٢. (اعملوا كما رأيتموني أعمل، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم ، وكونوا لهم كما كنت لكم)(٢).

فهذه النصوص التي استشهد بها القاضي تبين عدم نسخ التوراة ،(وأن المسيح جاء لإحيائها وإقامتها)(٣).

ويواصل القاضي تحليلاته النقدية مبرزا أسباب قول النصارى بالنسخ، فيذكر أنه ورد في كتابهم المعروف بأفراكسس(٤): : ( أن قوما من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام، فدعوا الناس إلى سنة التوراة، وإلى تحريم ذبائح من ليس من أهلها، وإلى الختان وإلى إقامة السبت، وإلى تحريم الخنزير، وإلى ما حرمته التوراة، وأن ذلك شق على الأمم واستثقلوه، فاجتمع النصارى ببيت المقدس، وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليجيبوهم ويطيعوهم، فأوجب رأيهم مداخله الأمم والترخص لهم والانحطاط في أهوائهم، وترك مخالفتهم، والإختلاط بهم، والأكل من ذبائحهم، والتخلق بأخلاقهم، وتصويبهم فيما هم عليه)(٥)، فالقاضي بإيراده هذه النصوص يريد أن يقول:
١.إن أوائل النصارى كانوا يعملون بالتوراة، وكانوا يعتقدون أنه من السنة العمل

(١)عبد الجبار ،تثبيت دلائل النبوة،،ج١،ص١٥٠.والآية من متى، إنجيل متى،٥/١٧-٢٠.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١٤٩.وقصة الشقاوة في السبت من لوقا: إنجيل لوقا، ١٣.
(٤)لم نعثر فيما بين أيدينا على تعريف بهذا الكتاب،و يبدو من خلال عنوانه فراكسس،وقد يكون براكسس(paxis)لفظة يونانية يراد بها العمليات أو التطبيقات،إذ أنها تهتم بالاعتقاد العملية و الممارسات،و قد انتشر هذا النوع من الكتب في العصور الوسطى المسيحية.
(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة ،ج١،ص١٥٠.

بها، و قد قاموا برحلات تبشيرية للناس يدعونهم للعمل بالتوراة.

٢. إن العمل بالتوراة قد شمل كل أوامرها من تحريم الخنزير وإقامة السبت و كل ما تحرمه التوراة .

٣. إن العدول عن العمل بالتوراة لم يكن سببه دينيا، بل كان سببه الركون إلى الواقع المعاش، فلما استصعب الناس العمل بها، وشق عليهم الانصياع إلى أوامر التوراة فرخصوا لهم في ترك العمل بها.

٤. إن ترك العمل بالتوراة امر حادث بعد المسيح لا في عهده، ويشهد لذلك عمل أوائل النصارى بها، إذ أنهم قد تشاوروا فيما بينهم للترخيص للأمم الأخرى في أمور الشريعة.

ويستنتج القاضي أن أول واضع لنظرية النسخ هوالقديس بولس الذي رأى أنه يحسن أن يخفف من شرائع التوراة حتى يستجيب الناس إلى النصرانية، إذ يروي أن بولس كان يقول لليهود:(التوراة سنة حسنة لمن عمل بها)(١)، ويقول للروم وغيرهم من أعداء موسى والانبياء:(التوراة مهيجة للبشر، وإذا وضع عن الناس شرائع التوراة، فقد كمل بر الله و فضله)(٢)، وهو بهذا يجعل بولس ذا وجهين ليس له من غرض سوى تحطيم النصرانية.

و قد نتج عن القول بنسخ التوراة مخالفة النصارى للمسيح في الفروع، لأن المسيح -حسب هذه الادلة التي أوردها القاضي-، كان يتعبد بالتوراة، ويحتكم إلى أوامرها ويجتنب نواهيها؛ فالقول بنسخ المسيح للتوراة يجعل النصارى مخالفين للمسيح في الفروع.

## ثانيا: اهمال العقل

إن التفسير -عند القاضي- يفترض الإيمان بالأصول الخمسة ايمانا عقليا قبل الإقدام على النص، ولا يتم إلا في هذاالإطار. وبهذا التصور يقدم على تفسير النصارى لنصوصهم المقدسة، محللا أسباب قصوره عن إدراك مرماه، ومن ذلك ما يورده على دليلهم على القول بالتثليث:(فقد حكى متى عنه في إنجيله أنه قال لتلامذته: سيروا في الارض وعمدوا باسم الأب و الابن وروح القدس)(٣)، فاتخذت النصارى هذا النص دليلا على التثليث.

فيرفض القاضي هذا التفسير، مبرزا أنه قد وردت نصوص في الإنجيل تثبت إنسانية المسيح، ومن ذلك مايلي:

١. فقد قال لهم:(الله ربي وربكم، وإلهي وإلهكم)(٤)، فيشهد على نفسه أنه عبدا لله

(١)المصدر السابق، ص١٦٩. والآية من بولس، رسالة بولس إلى أهل رومية،٧/٧-١٣.
(٢)المصدر السابق. والآية من بولس، رسالة بولس إلى أهل رومية،٢/١-٢١.
(٣)المصدر السابق،١١٤.والآية من: متى، إنجيل متى،٢٨/١٩.
(٤)المصدر السابق، و الآية من: يوحنا، إنجيل يوحنا،٢٠/١٧.

مربوب مدبر مصنوع(١).

٢. يذكر يوحنا في إنجيله أن يسوع المسيح قال في دعائه:(إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح)(٢)، فانظر كيف يخلص التوحيد و يدعي النبوة(٣).

٣. و ذكر أيضا أنه قال:( إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي، ولكن بمشيئة من أرسلني)(٤).

فهذه الآيات كلها في نظر عبد الجبار**تفيد التوحيد، وهو ما تقتضيه العقول.**

ويورد القاضي كذلك **نصوصا أخرى تحتمل ما يقوله النصارى في المسيح**، ومن ذلك:

١. حكى متى عنه في إنجيله أنه قال لتلاميذته:( سيروا في الارض وعمدوا الناس باسم الآب و الابن و روح القديس)(٥).

٢. وقوله:(إنما كنت قبل ابراهيم)(٦).

٣. وقوله: (إني ذاهب الى أبي )(٧)، واعتمادهم على ذلك في أنه تسمى ابنا له، و سمى تعالى أبا.

٤. مايروى أن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا في صلاتهم:(يا أبانا الذي في السماء، تقدس اسمك)(٨).

٥. (أنه قال لداوود:(سيولد لك غلام يسمى لي ابن، وأسمى له أب)(٩)، قالوا : فيجب أن يكون ذلك حكما من الله أمرنا أن نسميه به، والله تعالى أن يتعبد بذلك)(١٠).

و**يخلص** القاضي أن النصارى قد اعتمدت قراءة للإنجيل، **لترجح آيات التثليث على آيات التوحيد**، ويصير القول المعتمد هو القول بالتثليث، وإلهية السيد المسيح. ولا شك أن القاضي لا يرتضي هذه المقالة، إذ أن **هذا التفسير يخالف ما تدركه العقول**، فالعقل يقتضي أن يكون الله واحدا، ولا يجوز في حقه اتحاد ولا تجسد، لأن ذلك ينافي الربوبية(١١).

ويذكر القاضي أن كتب النصارى المقدسة وردت فيها نصوص تحتمل التأويل **هي محتمل الألفاظ(١٢)، أوهي متشابه الأناجيل**، ونصوص أخرى صريحة في التوحيد،**هي محكم الأناجيل**، إذ هي توافق دلالة العقول، فكان المنهج يقتضي أن يفسر المتشابه بما يوافق المحكم من الأناجيل،

---

(١)عبد الجبار،**المغني**،ج٥ص١١١.

(٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١١٢، والآية من يوحنا،**إنجيل يوحنا**،١٢/٤٤.

(٣)المصدر السابق، ص ص١٤٥-١٥٥.

(٤)المصدر السابق، والآية من يوحنا، **إنجيل يوحنا**، ١٨/٣٧، و٥/١٩-٢٠.

(٥)المصدر السابق والآية من يوحنا، **إنجيل يوحنا**،٢٠/٢١.

(٦)المصدر السابق، والآية من التوراة، **سفر الأمثال**،٨/٢٢-٢٣.

(٧)عبد الجبار،**المغني**،ج٥ص١٠٩.و الآية من يوحنا، **إنجيل يوحنا**،٢٠/١٧.

(٨)المصدر السابق.والآية من لوقا، إنجيل لوقا، ٢٠/١٧.

(٩)المصدر السابق، ص١١٠.والآية من التوراة، **٢صموئيل**،٧/٤، **المزمور**،٢/٧، ومتى،**إنجيل متى**،٢٢/٤١-٤٦.

(١٠)المصدر السابق

(١١)عبد الجبار،**تثبيت دلائل النبوة**،ج١ص١١٦.

(١٢)المصدر السابق.

وما تقضيه العقول، ذلك(أن تصديق المسيح للأنبياء وشهاداته بما شهدوا به من توحيد الله وإفراده بالقدم والربوبية والحكمة أبين من كل بين، وأوضح من كل واضح، والعقلاء يردون المجهول بالمعلوم، وما التبس بما اتضح، وما يحتمل بما لا يحتمل)(١)، فتفسير النص يرجع فيه إلى العقل، إذ العقل يقتضي أن يكون الإله واحدا ليس مركبا وليس جسما، وما تقتضيه العقول من مسائل عقدية عند القاضي يتشكل في **الأصول الخمسة الاعتزالية**، فهي نتاج عقلي، ولذلك فهو يرى أن النص يفسر في ضوئها، حتى لا يخالف النص العقل بحال، وإلا تحتم التأويل أو رفض النص أصلا؛ فالتأويل كمنهج تفسيري عملية ذهنية تفترض عند المفسر نسقا فكريا، تؤول إليه كل خفايا النص(٢).

والنصارى قد جهلوا في نظرعبد الجبار التفسير، إذ لم تكتمل لديهم تلك العلوم الضرورية للمفسر، يقصد الأصول الخمسة،(فالنصارى **لا تعرف الربوبية، ولا تفرق بينها و بين الإنسانية**)(٣).

**ويخلص** عبد الجبار إلى أن النصارى لما جهلت معايير التفكير السليم، و عدمت النموذج الفكري السليم أخطأت التفسير ولم تفرق بين الحقيقة والمجاز. فجهل النصارى بما تقتضيه العقول جعلهم يؤولون الحقيقة بما تتفق مع المجاز، والمتشابه بما يتفق مع الحكم، فهم:(يقصدون إلى ألفاظ في التوراة وفي كتب النصارى محتملة، يحملونها على ظنونهم السيئة وبدعهم هذه الفاحشة، فيقولون إنما أراد إبراهيم وموسى وهارون وسائر الأنبياء، وهو ما أردناه من أن الله ثالث ثلاثة)(٤).

وعليه، فالقاضي يضع تصورا نموذجيا لقراءة النصوص، فالمعرفة بالكاتب وأغراضه أعون على القراءة المثلى، كما أن المعرفة بالنبي ومقاصده ودعوته أعون على قراءة الكتب المنزلة عليه، فهو يجعل من العلم بمقاصد الدعوة أساسا لتفسيرها، فما يفهم الجزء إلا في إطار الكل،(لأن العلم بأن المسيح كان في توحيده على منهاج ابراهيم وموسى وهارون وداوود ومحمد صلى الله عليه وسلم لا يرتاب به من عرف أخبارهم وسيرهم ودعوتهم قبل العلم بنبوتهم)(٥) ، فالاحاطة بما صدر عن النبي تمكن من الحكم على الدعوة، ومقارنته بما تقتضيه العقول.

إن أهم ما نلاحظه هنا هو أن القاضي نهج نفس النهج التفسيري للقرآن، وقد تفطن إلى أن أدوات التفسير القرآني يصعب تطبيقها على نقد الكتاب المقدس، إذ أنها قد وضعت للتعامل مع لغة عربية، والأناجيل لغتها يونانية، فيذكر في معرض تحليله للمجاز عند النصارى

---

(١)المصدر السابق، ص١١٥.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص٢٠١.
(٤)المصدر السابق، ص١١٥.
(٥)المصدر السابق، ص١١٦.

(أن في هذه الكتب من المجازات ما يجري مجرى المتشابه من القرآن)(١)، ولكن في محاولة تأويل كلمة الأب يقول (إنه لا معرفة لنا بتلك اللغة، فلا يلزمنا تأويل ما فيها، وإنما يجب أن نعلم ما يستحيل على الله تعالى في إتخاذ الولد)(٢)، فيكشف بذلك عن وعي القاضي العميق باللغة وأبعادها الدلالية.

## ثالثا: تحريف المعاني

من المداخل النقدية التي وظفها القاضي في الرد على النصارى تحريف معاني الكتب المقدسة؛ فالتفسير يفترض فيه أن يتبع النص بالتحليل، بحثا عن أحسن محمل يحمل عليه الكلام و يقتضيه النص، فإن تخلى عن هذه الميزة صار غير مقبول، بل صار تحريفا. ويوظف القاضي هذه القاعدة ليعيد قراءة تفسيرات النصارى للكتب المقدسة.

فالقاضي يرى أن النصارى في تفسيرهم(يقصدون إلى أقوام كإبراهيم والأنبياء صلوات الله عليهم وأمثالهم قد عرفت مذاهبهم ومقاصدهم، فينصرفون عنها بالتأويلات ومحتمل الألفاظ)(٣)، فالعملية التفسيرية عند النصارى كما وضح القاضي تتميز **بالتأويلات واتباع محتمل الألفاظ، فهم يقصدون إلى ألفاظ** تحتمل عدة معان، فيتأولون واحدا منها تأويلا لا يليق، ولذلك يشترط القاضي شروطا في المفسر(أن يكون عالما بما يصح على الله تعالى، و ما لا يصح من جهة العقل، ويكون عالما بحقيقة اللغتين ومجازهما)(٤). وهذا التأويل قد شمل الكتاب المقدس كما شمل القرآن.

فالتوراة قد شملتها عملية تأويلية كبيرة حتى تتفق مع الفكر النصراني، يقول عبد الجبار عن النصارى:(يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الانبياء محتملة، يحملونها على ظنونهم، السيئة وبدعهم الفاحشة، فيقولون إنما أراد إبراهيم و موسى و هارون و سائر الأنبياء، وهو ما أردناه من أن الله ثالث ثلاثة)(٥). ولكي يوضح هذا المنهج يعطي أمثلة، ومن ذلك ما قاله النصارى:(من أن الله قال: نريد أن نخلق بشرا على صورتنا و مثلنا، فيقولون هذا خطاب من جماعة؛ أما تسمعونه يقول: نريد، ولم يقل أريد)(٦). فقد تم تغير دلالة الألفاظ حتى تتفق والرأي عندهم، فعمدوا إلى ألفاظ محتملة، فتأولوها؛ فقد أطلقت لفظتا الابن و الأب على أناس عديدين في التوراة و الأناجيل على السلب، ومع ذلك تأول النصارى ذلك تأويلا مختلفا، فما كان للمسيح جعلوه **حقيقة**،وما كان للناس عامة جعلوه **مجازا**.

وقد استدل النصارى أيضا بقول التوراة:(إن إسرائيل بكري وأولاده أبنائي)(٧)، وعلى

---

(١)عبد الجبار،المغني،ج٥، ص١١١.
(٢)المصدر السابق، ص١١٠.
(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج٥، ص١١٦.
(٤)المصدر السابق، ص١١١.
(٥)المصدر السابق، ص١١٦.
(٦)المصدر السابق، ص١١٥.
(٧)التوراة، تكوين،٢٦/٢٤.

دعوى النصارى تجب لهم الإلهية أيضا(١)، فاذا كان المسيح قد سمي ابن الله،لأن الله قد ارتضى له ذلك، فأولى باسرائيل أن يسمى ابنا، إذ قد سماه الله ابنا وبكرا، وقد قال النبي إشعيا عليه السلام في كتابه:(إن الله أبو البشر)(٢)؛ فالبنوة عامة لكل الناس وليست قاصرة على المسيح، و هو مايؤكد أن المراد بكلمتي الابن والأب في المسيح المجاز لا الحقيقة.

كما أن الأناجيل قد شملتها نفس العملية التأويلية، فقد قال متى في إنجيله:(إن المسيح قال للناس:'إن أباكم السماوي واحد فرد'(٣)، وقال أيضا:(طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس، فإنكم تسمون ابناء الله')(٤)، كما أن بولس قد ذكر في الرسالة:(إن الروح نفسها تشهد لأرواحنا أنّا أبناء الله)(٥).

ويستخدم النصارى مصطلحا آخر مقابل مصطلح ابن الله، فهم:(يقولون في الأشرار:إنهم أبناء، الشياطين)(٦)، فاستخدام كلمات الابن والأب مرات في الأناجيل، وكل مرة في سياق وارتبطت كثيرا بأناس مختلفين، وهو ما يثبت أن المراد واحد إذا كانت السياقات متشابهة، فتفسر الكلمة بما تقتضيه جميع الاستخدامات اللغوية الممكنة، وما يوافق مقاصد النص العامة.

ويوضح عبد الجبار أن نفس النهج قد انتهجه النصارى في تفسير القرآن، فعمدوا إلى تأويل نصوص القرآن، لتتفق مع فكرهم، ومن ذلك مايلي:

١. فقال النصارى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٧):(إن هذا خطاب من جماعة لا من واحد)(٨)، يقصدون بذلك إثبات الأقانيم الثلاثة.
٢. وقالوا في قوله عز و جل:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ﴾(٩):(فهذا أحد الالهة و الأرباب يقسم بالأرباب)(١٠).
٣. وقالوا في قوله عز و جل:﴿وَوَالِدٍ وَ مَا وَلَدَ﴾(١١)،( إنما الإله يقسم بنفسه وولده)(١٢).
٤. وقالوا في قوله:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ

(١)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٢٠.
(٢)المصدر السابق،ج١،ص١٢٠.والآية من التوراة، صموئيل،١٤/٧.
(٣)المصدر السابق، والآية من إنجيل متى،٩/٢٣
(٤)المصدر السابق،والآية من متى، إنجيل متى، ٩/٦.
(٥)المصدر السابق، وللإشارة، فلم أجد هذا النص في رسائل بولس.
(٦)المصدر السابق،ج١،ص١١٠.
(٧) سورة القدر،آية١.
(٨)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٥.
(٩) سورة المعارج،آية٤٠.
(١٠)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٥.
(١١)سورة البلد،آية٣.
(١٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٦.

وروح منه﴾(١)، قالوا:(فهذا الذي نقوله نحن أنه من جوهر أبيه، ولا نريد بقولنا منه أنه بعضه، و لكنه من جنسه ومثله)(٢).

وهذه المحاولات كلها توظف قراءة نصرانية في مصادر المسلمين، وقد يكون ذلك من مقتضيات الجدل، فيجادلون الخصم حتى يقيموا الحجة، وكأنهم بذلك يقولون إن محمداقد جاء بالنصرانية و لكن أصحابه لم يفهموا عنه(٣).

## رابعا: إعمال الرأي في النص

وظف القاضي مدخلا نقديا آخر لتفسير النصارى لكتبهم المقدسة، فتناول إعمال الرأي في النص؛ فالتفسير باعتباره عملية تبيانية للنص، يفترض فيه أن يكون أمينا، وأن تحظى أحكامه بالاتباع إن كان منزلا. فلا يكون النص المنزل إلا متبعا، ولا حاكمية إلا للتنزيل. والنصارى ملزمون كما يرى القاضي باتباع التوراة والإنجيل، ولكن المقارنة بين ممارسات النصارى الفقهية وشرائع التوراة تكشف عن البون الشاسع بينهما، وهو ما يؤكد نظرية مفارقة النصارى للمسيح في الأصول و الفروع .

وللتدليل على إعمال النصارى الرأي في النص،يعمد عبد الجبار إلى المقارنة بين نصرانية الأناجيل ونصرانية النصارى ليؤكد أنهما مختلفتان، فبينهما نقاط اختلاف كثيرة، تجعل الناقد يقر بمفارقة الثانية للأولى، ومنها مايلي:

١. **المخالفة في الإلهيات والمسيحولوجيا:** فالقول بالتثليث والتجسد هو في نظر عبد الجبارنوع من إعمال الرأي في النص، فالنصارى تجاهلت كل النصوص المثبتة لتوحيد الله، لتعتمد التثليث والتجسد(٤)، وحقيقة هذا الإتهام أن النصارى قد تركوا عقيدة المسيح ليصيروا إلى عقيدة أخرى.

٢. **المخالفة في الشرائع والأحكام:** من المخالفات التي اهتم عبد الجبار بتسجيلها في قائمة إعمال الرأي في النص المخالفات في الشرائع والأحكام، ومن ذلك عناصر عملية أقرتها النصوص الإنجيلية، وتركها العمل النصراني اجتهادا، كيوم السبت، إذ أن المسيح لم ينسخه، والنصارى تقول بنسخه، فعد القاضي ذلك مظهرا من مظاهر إعمال الرأي في النص(٥).

وعقد عبد الجبار مقارنات مختلفة، ليثبت إعمال النصارى الرأي في النص، ومن ذلك:

---

(١)سورة النساء، آية ١٧١.
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١١٦..
(٣)المصدر السابق.
(٤)راجع مبحث نقد أدلة الإلهيات النقلية من الفصل الرابع.
(٥)راجع مطلب القول بنسخ التوراة من هذا الفصل.

١. المقارنة بين شريعة بولس وشريعة النصارى.
٢. المقارنة بين شريعة الأناجيل وشريعة الواقع النصراني.
٣.المقارنة بين شريعة النصارى وشرائع الوثنيين كالصابئة والروم والبابليين.
٤. المقارنة بين نصرانية الكتاب المقدس ونصرانية بولس(١).
وكل ذلك ليثبت مفارقة النصارى للمسيح في الاصول والفروع.

ولا يقف النقد عند هذا الحد، إذ المقارنة مرحلة أولى تعقبها مرحلة التفسير التي وضع وفقها فرضيات ونظريات تفسيرية، ليعيد تركيب الجوالتاريخي، ويشرح الدوافع السياسية والإقتصادية والمعرفية، وبيان أثرها التكويني على الفكر النصراني(٢).

والدراسات المعاصرة تؤكد أن هذه الأناجيل الأربعة تستقي مادتها من مصادروأصول ضاربة في القدم، فالتاريخ الإنجيلي يحدث عن وجود أناجيل أخرى، لم تعهدها الكنيسة،وتعرف بالأناجيل غيرالقانونية(APOCRYPHE)(٣). وهذه الكتابات التي تنتشر في الأوساط النصرانية كانت عبارة عن أدب شعبي ينقل و يصور حياة المسيح بخيال خاص(٤).

ويمكننا الآن أن نصدر أحكاما نقدية ومقارنة بين موقف عبد الجبار، وموقف النقد المعاصر، نلخصها في الجزئيات التالية:

١ – لا يكاد يختلفان في الجملة؛ فالمسيح لم يكتب هذه الأناجيل الأربعة ولم يملها، ولم يكتبها تلامذته الحواريون(٥).

٢ – يتفق الموقفان على أن كتابة الأناجيل تمت بعد المسيح بزمن طويل(٦).

٣ – يتفق الموقفان على القول بوجود أناجيل كثيرة تداولها النصارى، ثم صارت تختصر، وتنتخب حتى لم يبق إلا أربعة أناجيل(٧).

٤ – إن أهم فرق بين الموقفين، أن عبد الجباريقر بوجود إنجيل للمسيح، و المحدثون لا يرون ذلك، كما رأينا في موقف ديفور.ولكن هذا الخلاف لا يلبث أن يتبدد ، إذ أنه من المقرر و

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص١٤٩.
(٢)راجع تحليل ذلك في الفصل الرابع مبحث نقد أدلة الإلهيات التاريخية.
(٣)Thiollier, Dictionnaire des Religions,((APOCRYPHE))
(٤)Duplacy,J, Ou on est la critique textuelle du nouveau testament,(Paris:Gabalda,1959)
(٥)راجع: Leon-dufour, les Evaugiles, in encyclopeoeidia universalis , (Paris , E, U,198);p 818
(٦)Heuschen.,J, la formation des Evangiles, (Paris: Descelee de Brouwer,1957),p11,23.
(٧)Leon-dufour, les Evaugiles,.;p818

المعترف به في كلا الموقفين أن المسيح كان يعظ الناس، ويكرز بالبشرى فيهم. والفكر الإسلامي يعد مضامين هذه المواعظ " **الإنجيل-الوحي** ". ويبدوأنها دونت بعد ذلك، ليتكون **الإنجيل-الكتاب**. ويدل على ذلك أن الأناجيل الحالية فيها كثير من الخطب التي تتفق في نسبتها إلى المسيح عليه السلام، وهي أمارة على اهتمام المسيحيين الأوائل بتسجيل مواعظه؛ واتفاقها في نسبتها إليه، دليل على وجود مصدر مشترك، وهو ما نسميه" **بالأنجيل-الأصل** "، وبهذا يتفق موقف الفكر المعاصر مع عبد الجبار في وجود وثيقة أولى، وهي **إنجيل المسيح**(١).

إن أهم ما يمكن أن نستنتجه من هذا الفصل أن عبد الجبار **قد وظف نفس الأدوات التحليلية التي وظفها في دراسة العلوم الإسلامية، فوظف الأصول لدراسة تفسير الكتب المقدسة النصرانية، ووظف علم الحديث لدراسة توثيقها.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١)المصدر السابق.

## الفصل الرابع

# منهج عبد الجبار
# في الرد على الإلهيات النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**يطلق مصطلح الإلهيات النصرانية على العلم النصراني الذي يهتم بدراسة ما يتعلق بالله من مباحث، ومنها مايلي:**

١. وجود الله
٢. صفات الله
٣. الأقانيم الإلهية الثلاثة.
٤. علاقة الجوهر بالأقانيم في الذات الإلهية،

**وغيرها(١).**

والإلهيات النصرانية تعتمد على القول بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم ، وهي بذلك تتكون من **عنصرين عقديين**، وهما:

١. **القول بأن الله جوهر واحد**
٢. **القول بثلاثة أقانيم إلهية متساوية** أب و ابن وروح قدس(٢).

ويظهر أنّ إلهيات النصارى تنبني على **ثلاثة أقانيم**، **أوثلاثة أشخاص متمايزة**، إلا أنهم يرون أن هذه الثلاثة المتمايزة لا تفيد تعددا في الذات الإلهية، بل تفيد توحيدا(٣)، وهو ما تتفق عليه كل الفرق النصرانية، ولذلك فإننا نسميها **الإلهيات النصرانية العامة**، ورغم ذلك، فإنها تختلف في فروع تندرج تحت هذه العناصر العقدية، كمسألة علاقة الجوهربالأقانيم، فكان لكل فرقة تصورها الخاص، وهو ما نسميه **بالإلهيات النصرانية الخاصة**.

ورغم أن عبد الجبار لم يعرف الإلهيات النصرانية، إلا أنه قد تناول كثيرا من المباحث التي تدرج تحتها، وهو وفي في عرضه، يفرق بين اللفظ ولوازمه محكما دلالات الألفاظ الدينية التى وظفها النصارى في إلهياتهم، يقول:

---

(١)صبحي الصالح وفريد جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٦٧)،ج٢، ص٢٩٣.
(٢)المصدر السابق، ص ص٢٩٣-٢٩٥
(٣)المصدر السابق.

**(الباريء عز وجل اسمه، وأقنوم الابن، أي الكلمة، وأقنوم روح القدس، أي الحياة، وربما يغيرون العبارة يقولون: إنه ثلاثة أقانيم ذات جوهر واحد)**(١)،

ويفصل أكثر في محل آخر، فيقول:

**(إن مذهب جميع النصارى**، إلا نفر منهم يسير، أن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم، ومنهم من يقول في الحياة إنها قدرة.

**وزعموا** أن الله وكلمته وقدرته قدماء، وأن الكلمة هي الابن، وهي عندهم المسيح، الذي ظهر في الجسد الذي كان في الأرض.

ويختلفون في الذي يستحق اسم المسيح، فمنهم من يقول إنه الكلمة والجسم إذا اتحد بعضهما ببعض، ومنهم من يزعم أنه الكلمة دون الجسد، ومنهم من يزعم أنه الجسد المحدث، وأن الكلمة صارت جسدا محدثا لما صارت في بطن مريم، وظهرت للناس.

**ويزعمون** جميعا أن الكلمة هي الابن، وأن الذي له الروح والكلمة هو الأب. ويزعمون أن هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأنها من جوهر واحد)(٢)

ومن هذا النص يمكن أن نستخلص أن القاضي عبد الجبار كان مطلعا على الإلهيات النصرانية ومحكما لمصطلحاتها الأساسية، **فهو يعلم أن حقيقتها هي القول بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس**، كما أنه كان داركا لاختلافات معتقيعها في تفسيرها.

ونلفت الانتباه هنا إلى اعتراض غي مونو على القاضي عبد الجبار، إذ يرى أن العقيدة النصرانية **تعبير بشري ومجازي عن الحقائق الإلهية**، وهي تقريب في الحكم لاغير، وهو الأمر الذي لم يفهمه المفكرون المسلمون، وهذا ما يجعل من الردود الإسلامية عامة على العقائد النصرانية عبثا من القول، إذ أنها تنتقد المجاز على أنه حقيقة، كما يطيح ذلك بأي اعتبار يمكن أن يعطى لها، ويدلل على قوله بالمقارنة التي عقدها بالجدول(رقم٢)، حيث قابل فيه بين التصورين الإسلامي والنصراني لألفاظ العقيدة النصرانية.

وقد يكون في هذا شيء من الصواب، فالتعبير البشري له دور في عدم التفاهم الفكري، إلا أنه ليس بالصفة التي يصورها **غي مونو**(٣)، فمن الثابت أن **مصطلحات التثليث النصرانية لم تصر بينة الدلالة عند المفكرين المسلمين إلا في عصر عبد الجبار**(٤)، ويرجع ذلك إلى **اختلاف الترجمات واختلاف الدلالات** التي يمكن أن تستنتج من ألفاظ العقيدة النصرانية، وهو ما نلاحظه في تحليل عبد الجبار **لمفهوم الأقنوم**(٥)، إذ يبدو من خلاله أنه كان **مطلعا على الدلالات**

---

(١)عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**،ج١ص٢١١.

(٢)عبد الجبار، **المغني**،ج٥ص٨٠.

(٣)راجع:Monnot,**Islam et Religions**,p243

(٤)الشرفي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص ص٢٥٦-٢٥٧.

(٥)راجع: **مناقشة مفهوم الأقنوم** من هذا الفصل.

**الممكنة لهذه الألفاظ**، ورغم أنها تحتمل معان كثيرة، فقد بحث الحقيقة والمجاز وغير ذلك من احتمالات الدلالة، وكل ما يمكن أن يحمل عليه المعتقد النصراني.

ومونو قابل بين دلالات ألفاظ العقيدة النصرانية في التصورين الإسلامي والنصراني في البيان(رقم٢)، ليظهر الاختلاف بينهما،وليؤكد أن هذا الاختلاف مرده إلى كثرة الدلالات الممكنة لألفاظ العقيدة النصرانية، فألفاظ التثليث لها لازم كلامي غير مقبول في الفكر الإسلامي، بينما يتجاوز عنه في الفكر النصراني. والأمر الذي لم يثره مونو في هذا الجدول هو **اختلاف الرادين المسلمين في تحقيق هذه الدلالات، وحملها محملا مقبولا ومعقولا، وهو ما نلاحظه في لفظة الجوهر والشخص والأقنوم**، إذ هي **تعني دلالة اصطلاحية معينة عند النصارى، وتعني عند عبد الجبار قولا بلوازم كلامية يرفضها علم الكلام**(١).

إن الاختلاف بين التصور ين الإسلامي والنصراني للإلهيات النصرانية ليس مرده إلى سوء الفهم اللغوي لمصطلحاتها، ولكن مرده إلى الاختلاف في فهم ما ينجم عن توظيفها من لوازم عقدية كلامية، **فالرد تعامل لساني وكلامي في الآن ذاته مع عقائد الآخر.**

| تصور النصارى | المصطلح اليوناني | المصطلح العربي | تصور المسلمين |
|---|---|---|---|
| **١. القائم بالذات** | أوسيا(ousia) | جوهر | جوهر (مادي) |
| **٢. الطبيعة**<br>الملكانية: جوهر كمية للحركة | فيزيس (physis) | طبيعة | طبيعة(مفروضة في الخالق كنهاية) |
| **٣. الأقنوم**<br>الملكانية: موضوع علاقة إلهية داخلة (شخص)<br>اليعاقبة وبعض النساطرة: جوهر حقيقي محسوس | إيبوستاز (hypostaz) | أقنوم | أقنوم(=؟) |
| **٤. شخص**<br>الملكانية والنساطرة: مصطلح أو موضوع علاقة إلهية داخلية<br>اليعاقبة: طبيعة شخصية محسوسة و جوهرية | بروصوبون (prosopon) | شخص | شخص (جسم) |

**(بيان رقم٢) جدول المقارنة بين فهم المسلمين و فهم النصارى للعقائد النصرانية(٢)**

(١)راجع في هذا الفصل،مبحث رد عبد الجبار على أدلة الإلهيات الكلامية.
(٢)راجع: Guy Monnt, **Islam et Religions**,pp243-244.

وعبد الجبار وظف في رده على الإلهيات النصرانية ثلاثة مباحث نقدية، وهي:

١ – **رده على أدلة الإلهيات النقلية.**

٢ – **رده على أدلة الإلهيات الكلامية.**

٣ – **رده على أدلة الإلهيات التاريخية.**

## المبحث الأول:

# رده

# على أدلة الإلهيات النقلية

**إن القاضي عبد الجبار** في رده على إلهيات النصارى، **يوظف آيات من الكتاب المقدس للرد عليهم**، وعلى تأويلاتهم للكتاب المقدس،بغية إثبات مواقفه. ولذا،سنقدم القول على الأدلة الكتابية، ثم ندرس الأدلة القرآنية التي استدل بها النصارى على الإلهيات.

### المطلب الأول: رده على الأدلة الكتابية

من خلال تتبع ردود عبد الجبار على النصارى يظهر أن هنالك **ثلاثة مواقف متباينة** تسود لها ؛ **فموقف يسعى لتأويل المتشابه من الأناجيل، وموقف يقبل الاستدلال بآيات منها، وموقف يرفض الاستدلال بها أصلا.** وتحليل هذه المواقف قد يساعد على طرح أفضل لردوده.

#### أولا: رفض الإستدلال بالأناجيل

ونلمح حضور هذا الموقف في ردود عبد الجبار، فما أن يستعرض آيات من الأناجيل حتى يعنف في الرد رافضا الاستدلال بها أصلا. **فالإنجيل بصريح القرآن ما كان داعيا إلا إلى ما دعا إليه الأنبياء ومحمد عليه السلام، ووجود آيات في الأناجيل تقول بغير مايقول القرآن، هو داع لرفضها، والطعن فيها**، ومن هذه الآيات مايلي:

---

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص٢٠٩–٢٢٠.

١. ما روي أن المسيح قال:(إني ذاهب الى أبي وأبيكم)(١)، فالإعتراف بالبنوة يضمر اعترافا بالإلهية، وتعدد الأرباب.

٢. و يروى أنه قال:(يا أبانا الذي في السماء، تقدس اسمك)(٢).

٣. وقد ورد في الإنجيل أن المسيح قال:(ابن البشر هو رب السبت)(٣).

٤. كما يروى عنه أنه قال:(أنا بأبي، وأبي بي، ولا يعرف أحد الأب إلا الابن، والابن لا يعرفه إلا الأب، وإنك إله بي، وأنا بك)(٤).

٥. ويروى عنه أنه قال:(أنا قبل ابراهيم، وقد رأيت ابراهيم، وما رآني)(٥).

فيبدو من خلال هذه النقول أن النصارى تجعل هذه الأدلة دالة على التثليث وعلى الأقانيم الثلاثة؛ الأب والابن والروح القدس(٦).

فيقول عبد الجبار:(ليس المسيح أول من كذب عليه)(٧).

فهنا عبد الجبار يرفض كل استدلال على التثليث والأقانيم بالأناجيل، وهذا الموقف من التثليث هو إمتداد طبيعي ومنطقي لموقفه من الأناجيل ونقدها؛ فالأناجيل أخبار آحاد، ولا تفيد العقيدة بحال. أضف إلى هذا، أنها تخالف دلالة العقول، وهومايعود بنا من جديد إلى نقد المتن؛ فالمتن عنده يمتحن امتحانا عقليا عسيرا، وتستكشف مضامينه، ويعرض على الأصول الخمسة، فإما أن يوافقها، فيقبل، وإلا، فلا.

## ثانيا: تأويل الآيات المتشابهة

إن تعامل عبد الجبار مع نصوص الأناجيل كشف عن وجود آيات مثبتة للتوحيد بالمفهوم القرآني، فاعتبرها محكمة. وأما ما كان يحتمل عدة معان، فعده متشابها، فهو يستخدم نفس الأدوات المنهجية الإسلامية في دراسة النص القرآني، إذ( لا شك أن في هذه الكتب من المجازات ما يجري مجرى المتشابه في القرآن)(٨)، فالتعامل المنهجي مع النص يقتضي إلماما بالضوابط التي تمكن من فهمه، وتضعه في إطار التفسير المقبول.

والتفسير العقدي أمره أشد وأخطر، إذ المطلب فيه اليقين خلافا للفقه والعلوم الأخرى، فاقتضى ذلك شروطا أدق وأضبط،ويشترط عبد الجبار في من أراد أن يشتغل بالتفسير أو الترجمة (أن يكون عالما بما يصح على الله تعالى، وما لايصح من جهة العقل، ويكون عالما

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص ص١١٩-١٢٠، والآية من يوحنا، إنجيل يوحنا،١٧/٢٠.
(٢)عبد الجبار،المغني،ج٥ص١٠٩.و الآية من متى، إنجيل متى،٦/٩-١٤.
(٣)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١٠٣.و الآيةمن لوقا،إنجيل لوقا،٦.
(٤)المصدر السابق، والآية من لوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٥)المصدر السابق،والآية من لوقا، إنجيل لوقا،٨.
(٦)المصدر السابق، ص ص١٠٣-١٠٥.
(٧)المصدر السابق، ص١١٤.
(٨)عبد الجبار، المغني،ج٥ص١١١.

بحقيقة اللغتين و مجازهما)(١)، فالنص باعتباره تعبير لغوي وتصوير لمعان، لا يمكن استكناهه إلا بمعرفة طرق دلالة التعابير على مدلولاتها؛ فاللفظ قد يدل على معناه بالحقيقة أو بالمجاز، وبالنص أو بالظاهر من جهة أخرى، كما أن النص لن تأتى معرفته إلا بمعرفة المرجع الذي يرجع إليه المفسر في نقده، وهذا المرجع عند عبد الجبار هو العقل.

وإن لم يمكن حمل الكلام على ظاهره يتدخل العقل مرة ثانية لعقلنة الموقف من جديد، فيكون التأويل، ويكون ذلك بمعرفة كيفية التأويل وطرق حمل الحقيقة على المجاز، ومن أمثلة ذلك مايلي:

١.استدل النصارى على أن عيسى ابن لله بأقواله؛ فقالوا:(قد جاء عنه أنه كان يقول في الله أنه أبوه، ويقول:'ارسلني أبي، وقال لي أبي، ومثل هذا كثير، فما عندكم)، فيجيب القاضي، ويقول:(إن كان قد قالوا أنه قال لنا:'أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وربي وربكم'، فلم يجعل لنفسه مزية عليهم، فإن أوجب هذا القول أن يكون إلها وربا ومعبودا، وجب أن يكونوا هم كذلك)(٢). فالنصارى يجعلون تأليه المسيح نتيجة نقلية كتابية، إذ أن الوصف بالإبن يلزم عنه في نظرهم إثبات الأقنومية له، وأنه ثالث الأقانيم المكونة للجوهر.

٢. وما يروى عن المسيح أنه قال لتلاميذه: (سيروا في الأرض، وعمدوا العباد باسم الأب والإبن وروح القدس)(٣).

٣. وما يروى أنه قال:(ابن البشر رب السبت)(٤)، وماروي عنه أيضا:(أني قبل إبراهيم، وأني بأبي، وأبي بي)(٥).

٤. وما يروي عنه :(ياأبانا الذي في السماء تقدس اسمك)(٦)، وغيرها كثير(٧).

ويجيب عبد الجبار على هذه التعليلات النقلية، بما يرويه بعض النصارى الذين أسلموا(٨)،أنهم قالوا:( ما نعلم أن المسيح قاله، ولو قاله لما ضاق مجازه وتأويله)(٩)، فهذه الألفاظ تحمل على المجاز، ولوأنه يلزم عن تلك الأقاويل إثبات الألوهية والأقنومية، للزم أن نثبتهما أيضا لكل شخص أطلقت عليه هذه الصفات؛ ومعلوم أن الكتاب المقدس أطلق وصف البنوة على عدة أناس، منهم الأنبياء وداوود وغيرهم، فلو أثبتنا الأقنومية بمجرد هذه الإطلاقات اللغوية، للزم أن نثبت أقانيم أخرى بعدد من أطلق عليه وصف الابن، إذ المسيح لا يختلف عن الأنبياء في شيء

ويظهر من هذا التحليل أن عبد الجبار يرفض دلالة الإنجيل على التثليث، إذ أن مرد

---

(١)المصدر السابق.
(٢)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص ص١١٩-١٢٠.والآية من لوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٣)المصدر السابق، ص١١٤.والآية من متى، إنجيل متى،٢٨/١٩.
(٤)المصدر السابق، ص١٠٣، والآية من لوقا،إنجيل لوقا،٦
(٥)المصدر السابق، والآية من لوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٦)عبد الجبار ،المغني،ج٥ص١٠٩، والآية من لوقا، إنجيل لوقا،١١.
(٧)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص ص١٠١-١٠٤.
(٨)قد يقصد ابن ربن الطبري، والحسن بن أيوب، إذ أنهما المسيحيان الذين أسلما، وألفا في الرد على النصارى، كما أشرنا مرارا.
(٩)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١١٧.

العقائد إلى العقل؛ والعقل الاعتزالي يثبت لوازم منطقية، وأخرى كلامية، كما يثبت نتائج عقدية، فيلزم الإلتزام بها لاغير، وأما النقل، فإنه يحمل على مايتفق مع العقل، وإلا لزم رفضه أو تأويله، إذ أن العقل لا يتعارض مع النقل، يقول عبد الجبار:(إن من عول منهم في هذا البيان على اتباع السلف والرجوع إلى الكتب و تقليد التلامذة الأربعة، فقوله ساقط، لأن الكلام في صفة القديم عز وجل، وما يصح عليه، و ما لا يصح، **لا يجوز أن يرجع فيه إلى السمع**، ولو ثبت ما ادعوه سمعا، لوجب أن يتأول على وفق ما يقضيه العقل، فكيف وموضوع مذهبهم التقليد والرجوع إلى خبر الأربعة، **ولا يجوز أن يقع بخبر الأربعة العلم**)(١).

وهذه النصوص ومثيلاتها كانت محور استدلال النصارى على عقائدهم، فقولهم" أب وابن وروح قدس " نتجت عنه النظرية الأقنومية، وقد أجاب عبد الجبار بأنه لايضيق تأويلها، كما يلاحظ أن هذا المنهج لا يرتضيه كل النصارى، فمنهم من يرفضها، خاصة أولئك الذين **(استبصروا واسلموا**، و تتبعوا المواضع والألفاظ التي تدعيها النصارى على المسيح، وقالوا لهم: أتعلم المسيح قال ذلك، ولو قاله لما ضاق مجازه وتأويله، فقولهم إنه قال:(ابن البشر رب السبت)(٢)، و(**إني قبل إبراهيم**)(٣)، و(إني بأبي، وأبي بي)(٤)، و ما أشبه ذلك. **فقالوا لهم**: في التوراة: إن موسى **إله** فرعون وإله هارون، وأن هارون رسول موسى إلى فرعون، وأن يوسف قال للمصريين: إن العزيز ربهم وذكروا لهم عن إبراهيم ولوط وداوود و سليمان وعن غيرهم من الأنبياء شيئا كثيرا)(٥).

ومن هؤلاء النصارى الذين أسلموا وتتبعوا الأناجيل الحسن بن أيوب، إذ يقول:(إنا وجدناكم تقولون في معنى التثليث أن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أن متى التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح عليه السلام،إذ قال لتلاميذه:(سيروا في البلاد، وعمدوا الناس باسم الإب والابن والروح القدس)(٦)، وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم، فعلمتم أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أن له محدثا، فتوهمتوه شيئا موجودا، ثم توهمتوه حيا ناطقا)(٧)، ويقول في موضع آخر:(كماقال الله تبارك وتعالى:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٨)، يقرن طاعته بطاعة نبيه وأولي الأمر من المسلمين، أفنقول لذلك إنهم جميعا آلهة،[...]، فلم حكمتم بأنه ذهب إلى أن هذه الأسماء -لما أضافها إلى الله- صارت آلهة، وجعلتم لها أقانيم، لكل اسم أقنوم بعينه، وهوشخص، وكيف استجزتم، فأشركتم مع الله بالتأويل الذي لا يصح)(٩). **فبعض هذه النصوص تسمي الله أبا، وتجعل أبوته لكل الناس؛ فهو أب لكل الناس مجازا بما في ذلك المسيح وغيره من الأنبياء والناس أجمعين، وهم أبناؤه مجازا، ولا اختصاص للمسيح بذلك.**

---

(١)المصدر السابق، ص١١٥.
(٢) لوقا،إنجيل لوقا،٦.
(٣) لوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٤) لوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١١٧
(٦)متى، إنجيل متى،١٩/٢٨.
(٧)ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،ج٣، ص٣٦٤.
(٨)سورة النساء، آية٥٩.
(٩)ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،ج٣، ص٣٦٣.

و تأويل عبد الجبار لنصوص الكتاب المقدس يجد أساسا له في النسق التفسيري النصراني؛ إذ أنه يعتمد على الفعل التأويلي لكل نصوص الكتاب المقدس بما يتفق والقول بالتثليث. فالنص يجد معناه مع قارئه، فيضفي عليه أبعادا في الدلالة، ولايهم إن كانت حقيقة أم مجازا، إذ أن حدود الفصل بين القارىء و النص قد تقل شيئا فشيئا، ليصير النص خاليا من كل المعنى حاملا لكل معنى، ولا يخفى ما لهذا الرأي من خطورة، فهولا يفسر النص، بل يسقط مفاهيم على النص(١).

ومن خلال هذا العرض يمكننا أن نستخلص أن تعامل عبد الجبار مع نصوص الكتاب المقدس لا يكاد يفرق عن تعامله مع نصوص الوحي الإسلامي، وثقافته التفسيرية المستقاة من الدرس القرآني بادية للعيان(٢)، إذ أنه قد وظف نفس الأدوات التحليلية في نقد النص؛ فالنص لا يمكن استكناهه إلا بتحديد دقيق لقواعد قراءته، وضوابطها المنطقية واللسانية، وإليهما المرجع في تحديد الحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه، وكيفيات التأويل، وكل تعويل على غير ذلك هو اعتماد على الظن.

## ثالثا: إثبات آيات التوحيد

اهتم عبد الجباربدراسة نصوص من الأناجيل تفيد أن التوحيد أصل في الدين النصراني، لأن بمجمل الكتب المقدسة نصها وظاهرها ناطقة به ، وإن لم تعدم بعض الآيات الدالة على غير ذلك. وهو بذلك يقر بأن **النظرية التثليثية تأويل لبعض نصوص الأناجيل الأربعة**، ثم تعدت هذه العملية إلى التوراة، دون مراعاة للسانيات اللغة، ولا منهجية التفسير.

ورغم اعتراف عبد الجبار السابق بأن الأناجيل لا يمكن اعتمادها ولا الوثوق بها، إلا أنه مع ذلك نسجل له قراءة أخرى مخالفة لقراءة النصارى للأناجيل **يبحث عن الخفي والمنسي، وتضبط النص الإنجيلي**، فتهتم بالآيات التي لها دلالات غير موافقة للإلهيات النصرانية الرسمية، **فقراءة عبد الجبار للأناجيل مقتنعة بأن الإلهيات النصرانية والكنائسية، هي نتيجة دراسة غير واعية وغير موضوعية للأناجيل.**

وتتبع عبد الجبار للأناجيل كشف عن نصوص كثيرة تفيد التوحيد، ومنها مايلي:

١. ما يروى عن المسيح أنه قال:(**إن الله الواحد رب كل شيء** أرسل ابن البشر إلى جميع العالم لينقلوا إلى الحق )(٣).

٢. وما يروى عنه أنه:( سأل ربه أن يحيي الرجل الميت الذي يقال له إيلا عازر، با إيل:(**أنا أشكرك، وأحمدك أنك تجيب دعائي في هذا الوقت، وفي كل وقت، فأسالك أن تحيي هذا**

(١)المصدر السابق، ص ص١١٤-١١٥.
(٢)عبد الجبار، **المغني**،ج٥، ص١٤٥.
(٣)المصدر السابق، ص١١٣. والآية من إنجيل يوحنا،٥/٣٦،٣٧.

**الميت، ليعلم بنو اسرائيل أنك أرسلتني، وأنك تجيب دعائي)**(١).

٣. **ما يروي أن المسيح عليه السلام قال لهم :(الله ربي وربكم، وإلهي وإلهكم)**(٢).

٤. (ذكر يوحنا في إنجيله أن يسوع المسيح قال في دعائه:' إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس **بأن يشهدوا أنك أنت الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح**'(٣)، فانظر كيف يخلص التوحيد و يدعي النبوة)(٤).

٥. ما يروى أنه قال:(**إنهم يارب قد علموا أنك أرسلتني**، وقد ذكرت لهم اسمك)(٥).

٦. (و **قال** عليه السلام: إن الكلام الذي تسمعونه مني ليس هو لي، **ولكن من الذي أرسلني، والويل لي إن قلت شيئا من تلقاء نفسي**')(٦).

إن إيراد عبد الجبار لهذه الآيات يريد به مناقضة الأطروحات النصرانية السائدة، ويثبت به أن **المسيح (يشهد على نفسه أنه عبد الله مربوب، مدبر مصنوع، كما شهد عليهم أنهم كذلك، وأنه مثلهم في العبودية والضعف والحاجة)**(٧)، وهو ما يعد قراءة تأويلية اعتزالية للأناجيل، خاضعة للضوابط التي سبقت الإشارة إليها من علم بحقيقة اللغة مجازها، ومحكمها ومتشابهها.

والقاضي موقن بأن الأناجيل صريحة بالتوحيد، يقول:( **لقد أحصى أهل المعرفة والعلم، فوجدوا المسيح عليه السلام له من الإقرار على نفسه بالعبودية والضعف والحاجة والفقر والطاعة، ولله عزوجل بالغنى والربوبية، مالم يكادوا يجدونه لأحد من الأنبياء والصالحين)**(٨). ويبدو جليا أن هذا الاستنتاج لا يوافق عليه النصارى، إذ الرأي عندهم تثليث، أب وابن وروح قدس، جوهر واحد، وهو ما يجعل البون شاسعا بين قراءة عبد الجباروقراءتهم، ولا يخفى أن مرده يرجع الى الاختلاف في الأطر المرجعية التي تحكم قواعد التفسير، أو قل **مضمرات العملية التأويلية** التي تؤسس منهج كل رؤية.

ويحق لنا الآن أن نقول **أن عبد الجبار يرفض كل استدلال نقلي على الإلهيات النصرانية، ويرى الآيات المثبتة للتوحيد آيات محكمة لا يعدل عنها بحال**، إذ العقل يقبلها ويرتضيها نسقا عقلانيا. أما الآيات الأخرى حملة معاني الشرك، فيبحث لها عن مرجع تأويلي، إذ هي عنده من قبيل **النص المتشابه**.

---

(١)المصدر السابق.والآية من إنجيل متى،٨.
(٢)المصدر السابق، ص١١١. والآية من إنجيل يوحنا،١٢/٤٤.
(٣)يوحنا، إنجيل يوحنا،١٢/٤٤.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٢.
(٥)المصدر السابق، والآية من يوحنا، إنجيل يوحنا،١٧/٢٥.
(٦)المصدر السابق، ص١١٢، والآية من يوحنا، إنجيل يوحنا،١٤/٢٤.
(٧)المصدر السابق، ص١١١.
(٨)المصدر السابق، ص١١٤

إن نقد عبد الجبار يطمح إلى التفرقة بين معالم الإنسانية وبين معالم الإلهية، بين معالم التوحيد ومعالم التجسيد والتثليث النصراني، وأن المسيح لم يكن إلا بشرا رسولا، ما ادعى يوما أنه ابن الله، وثالث الأقانيم، فهو يرمي إلى الإبانة عن مخالفة النصارى للمسيح في الأصول والفروع(١).

و من خلال التدقيق في الآيات التي استدل بها عبد الجبار، واهتم بمناقشتها، يتضح أنه قد يحضع الآية من الإنجيل لموقفين من الثلاثة المذكورة أعلاه؛ فالآية(ابن البشر رب السبت)(٢)، صنفها في الموقف الأول ورفضها أصلا، ثم أعاد تصنيفها في الموقف الثاني وتأولها. ولاعجب، إذ الغاية تفنيد إلهيات النصارىلا غير.

إن عبد الجباركان يهدف إلى تقرير منهج للتعامل مع نصوص الكتاب المقدس، ومن ثم كيفية التعامل مع النصوص المختلفة الدلالات العقدية.

إن الاعتراف "ببشرية المسيح وعدم ألوهيته"، وأن تأليهه عملية تأويلية لاحقة،هو موقف حديث في دراسة الكتاب المقدس، توصلت إليه مؤخرا أبحاث كثيرة، بعد أن رفضه الفكر المسيحي القرون الطويلة(٣).

## المطلب الثاني: رده على التأويل النصراني للقرآن

يوضح عبد الجبار أن التأويل النصراني لم يقف عند التوراة والأناجيل، بل امتد ليشمل القرآن، فأولوه، ليضربما يتفق مع معتقدهم، ويذكرأنهم يؤكدون أن قولهم( أن الله ثلاثة أقانيم، جوهر واحد، هو كقول المسلمين "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ" وكقولهم في الله إنه حَيٌّ قَادِرٌ عَالِمٌ)(٤)، فيرد عبد الجبار قائلا:

> و(هذا غلط على النصارى، وليس قولهم في التوحيد من قول المسلمين بسبيل، وإنما يقول هذا من يروم المغالطة والفرار من فحش القول، لأن الله عند المسلمين هو الرحمن وهو الرحيم، وهكذا العالم القادر، وهي ذات واحدة لها صفات كثيرة، وأسماء كثيرة.
>
> وعند النصارى، أن الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الاب الوالد ابنا مولودا، ولا الابن المولود أبا والدا، وكذا روح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى)(٥).

ويفرق ذلك عن قول المسلمين الذين يوحدون الذات، ويجعلون لها صفات كثيرة في حين أن الأب عند النصارى لا يجوز أن يكون هوالابن، ولا أن يكون الابن هو الأب، ومن قال هذا، فليس

---

(١)المصدر السابق، ص١٩٨.
(٢)لوقا، إنجيل لوقا،٦
(٣)راجع:.Dufour, les Evangiles, pp818-822
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص٩٢.
(٥)المصدر السابق، ص٩٣.

من النصارى.

ويوضح عبد الجبار أمثلة من القرآن استدل بها النصارى على تثليثهم، ومنها مايلي:

١. فقال النصارى في قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١): فهذا خطاب من جماعة، لا من واحد)(٢).

٢.(وقالوا في قوله عز وجل:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾(٣)، قالوا فهذا أحد الآلهة والأرباب يقسم بالأرباب)(٤).

٣.(وقالوا في قوله عز وجل:﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾(٥)، قالوا: فإنما الإله يقسم بنفسه، وولده، فيقولون: محمد قد جاء بالنصرانية وبمذهبها، ولكن أصحابه لم يفهموا عنه)(٦).

٤. ويقولون في قوله عزوجل:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِّنْهُ﴾(٧):(فهذا الذي نقوله نحن أنه من جوهر أبيه، ولا نريد بقولنا منه أنه بعضه، ولكنه من جنسه ومثله)(٨).

ويلاحظ عبد الجبار أن هذه التعليلات تجنح إلى التأويل، دون مراعاة لقواعد هذا الفن، ويقول في ذلك:( قد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة وفي كتب الأنبياء متحملة، يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة)(٩). فهذا التأويل قد اعتمد مرجعا تأويليا من خارج النص المفسر، وهو ما كان له نتائج عقدية خطيرة، كالقول بالتثليث وغيره.

ويوضح عبد الجبار أن لهذا التأويل النصراني خصائص، يقول:(يقصدون إلى أقوام كإبراهيم والأنبياء صلوات الله عليهم؛ وأمثالهم قد عرفت مذاهبهم ومقاصدهم، فينصرفون عنها بالتأويلات ومحتمل الألفاظ، ومذاهبهم قد تحصلت حصلا لايحتمل التأويل، لأن العلم بأن المسيح كان في توحيده على منهاج إبراهيم وموسى وهارون وداود ومحمد صلى الله عليه لا يرتاب به من عرف أخبارهم وسيرهم ودعوتهم قبل العلم بنبوتهم)(١٠)، فيظهر من هذا النص أن التأويل النصراني عامة، وتأويلهم لآيات القرآن خاصة اتسم بثلاث خواص أساسية، وهي:

---

(١)سورة القدر،آية١.
(٢)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٥.
(٣)سورة المعارج،آية٤٠.
(٤)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص ص١١٥-١١٦.
(٥)سورة البلد،آية٤.
(٦)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٦.
(٧)سورة النساء،آية١٧١.
(٨)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٦.
(٩)المصدر السابق، ص١١٥.
(١٠)المصدر السابق، ص١١٦.

١ – تأويل الألفاظ دون الإلمام بالمقاصد العامة للنص وواضعه.
٢ – الاهتمام بمحتمل اللفظ ومتشابهه دون المحكم منه.
٣ – اعتماد مرجع تأويلي غير معقول، وهوما عبر عنه بالظنون السيئة.

وكل هذه الخواص **تطيح بكل المشروع التأويلي النصراني، وتجعله متهافتا.**

ولايخفى ما لذلك من أهمية في تخريج معاني النص الكامنة، إذ أن أهم شيء في تحديد **مفاهيم** ودلالات النص الإلمام بمقاصد واضع النص، ليتسنى فهم مايلتبس من نصه، ولا يبعد هذا عن المنهج المقاصدي في الدرس الأصولي الإسلامي، ولهذا فإن عبد الجبار يستخلص أنه لاحاجة بنا إلى أن نبين للنصارى تأويل الآيات التي استدلوا بها، إذ أننا قد علمنا من قوله صلى الله عليه وسلم في التوحيد والتنزيه أن مراده في ذلك غير مرادهم وقصده غير قصدهم(١).

ويمكننا أن نستشف **الاعتزالية** من خلال هذا الرد وكيفية تقنينه للتأويل، إذ هي **البديل المقترح**، كما أن الإشارة إلى الظن تلميح إلى الحق الذي عبر عنه عبد الجبار بأوائل العقول، وما تقتضيه من الأصول الخمسة الاعتزالية.

ولا يخفي عبد الجبار إعجابه بتحليلاته هذه، إذ يختم نقده هذا بقوله:**(فاعرف هذا فإنه أصل كبير يعرفه من تأمل وأراد التبين و قد اغتفل في مثله خلق كثير من العقلاء)**(٢).

ومحاولة النصارى للاستدلال بالقرآن على التثليث لها دلالتان، وهما:

١ – **دلالة ثقافية**؛ أن نصارى العالم الإسلامي حاولوا أن يعرضوا عقائدهم في ثوب إسلامي ويشرحوا مفاهيمهم بمفاهيم قرآنية.

٢ – **دلالة تواصلية**؛ أن النصارى قد حاولوا أن يدخلوا في تواصل وتحاورمع الفكر الإسلامي مستخدمين مسلماته المنهجية.

وعبد الجبار بردوده على النصارى يكشف عن مطالعات دقيقة في تأويلاتهم وقراءاتهم التوظيفية للكتب المقدسة، ويكشف عن تصوره لكيفية قراءتها قراءة منهجية.

ويلاحظ عبد الجبار أن النصارى قد حاولوا التوفيق بين قناعاتهم الذاتية المحصلة، وبين كتب الأنبياء، وجمعوا بين اقتناع بتصورات معينة، وبين كتب الأنبياء الأوائل، فكانت بذلك محاولة

(١)المصدر السابق، ص١١٨.
(٢)المصدر السابق، ص١١٦.

الجمع بين التوحيد والتثليث. ذلك أن الذي(يمنع النصارى من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة، وإن كانوا قد أعطوا معنى ذلك، أنهم صدقوا بكتب الله عز وجل، التي صدق بها المسيح عليه السلام، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفرده بالقدم، وأنه لا يشبه الأشياء، وإنما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح، فأرادوا حمل بدعتهم في الشرك على ما في كتب الله، فلم يتم ذلك، وحصلوا على محض الشرك والتشبيه)(١)، وهي محاولة معتبرة في تكوين نظرية حول تكون الإلهيات النصرانية.

إن عبد الجبار كان على وعي بأن التصور النصراني للألوهية هو قراءة تأويلية لاحقة لعقائد المسيح أدخلت تصورات غريبة عن المسيح إلى مفاهيم الإنجيل، وتعود بداية هذا الانحراف في التأويل إلى القرن الثالث الميلادي قرن المجمع الأول مجمع نيقية، حيث قررت شريعة الإماتة أوتسبيحة الإيمان، والتي هي مبعث كل التفسيرات الأخرى(٢).

ومن قرائن تهافت هذه العملية التأويلية وجود الفرق الموحدة في عهود المسيحية الأولى، والتي تخالف الرأي الكنسي الرسمي، وينكر منها عبد الجبار فرقة آريوس، نسبة إلى آريوس الشمشاطي القس الكاهن(٣)، فقد كانت ترى التوحيد(٤). ووجود هذه الفرق يعني وجود تفسيرات أخرى للعقيدة والإلهيات النصرانية، وهي الوريث الشرعي في نظره التعاليم الأنبياء الأوائل والمسيح عليه السلام، والأكثر منهجية في التعامل مع النصوص المقدسة التي بين أيدينا.

إن أهم مانستنتجه من مقارنة آراء هذا التحليل بالدراسات النقدية المعاصرة هو السبق العظيم الذي سجله، إذ أن النقد الحديث يؤكد مع عبد الجبار أن إطلاق هذه الأقانيم هو تأويل لاحق بعد وفاة المسيح، وأن إطلاق الأناجيل صفة البنوة عليه لا(يتعدى أسلوب حديث معين أو صورة بلاغية، فاليهود كانوا يطلقون عبارة خادم يهوه على كل انسان يظنون لديه إلهاما منه)(٥).

---

(١)المصدر السابق، ص ص٩٥-٩٦.

(٢)المصدر السابق، ص٩٣، ص١٦٣.

(٣)المصدر السابق، ص ١٦٣، حيث سماه إيرلس(Arius)، أدينت نظريته في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، إذ انه يرى أن الكلمة مخلوقة؛ راجع:((Arianisme)) Marguerite-Marie Thiollier,Dictionnaire des Religions,

(٤)راجع:.Danielou,et Marrou,Nouvelle histoire de l eglise,pp290-295 و

صبحي الصالح وفريد جبر، فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج ٢، ص٢٨٦

(٥)جبير نشأة المسيحية وتطورها،ص٣٩.

المبحث الثاني:

# رده

# على أدلة الإلهيات الكلامية

اتضح لدينا أن عبد الجبار يعتقد أن القول بثلاثة أقانيم بدعة مفتراة، ليس لها أساس من الكتاب المقدس، ويكفيه هذا التقرير للإطاحة بهذه العقيدة. ورغم ذلك، فإننا نجدهم في رده يقدم على تحليل أدلة النصارى الكلامية عارضا لها وناقدا.

ويبدو أن عبد الجبار قد خلص إلى أن القول بالتثليث يرجع إلى أسباب كلامية،ويوجزها في النص التالي:

(فإن قال منهم قائل: إنما قلنا بالأقانيم الثلاثة، وإنه جوهر واحد، لأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب كون الإله جوهرا.والجوهر على ضربين: جسم وما ليس بجسم، فالجسم يحتمل التركيب والتجزئة، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم.

ولا يخلو من كونه حيا أوليس بحي، والموات لا يكون منه اختيار ولا تمييز ولا فعل، وأثبتناه حيا، والحي ينقسم إلى ناطق وإلى ما ليس بناطق، فما ليس بناطق لا يكون موصوفا بتمييز ولا حكمة، فيجب كونه ناطقا،فثبت كونه جوهرا حيا ناطقا.

ولا يخلو عند ذلك من أن يكون حيا ناطقا، لأنه جوهر وبحياة ونطق، وإن كان ذلك، لأنه جوهر، وجب كون كل جوهر ناطقا حيا، فثبت أنه ناطق حي بحياة ونطق، ويجب كونهما من نفس الجوهر، لأنهما ليسا بحادثين فيه، لأنه قديم غير محدث، قالوا: فيجب أن يكون الجوهر هو الأب، والحياة هي الروح، والنطق هو الكلمة، وهو الإبن.

وربما زادوا بأن قالوا: والحي على ضربين، ضرب يمكنه الولاد، وآخر لا يمكنه ذلك، فيكون منقوصا، فوجب أن يكون الإله يمكن فيه الولاد، وذلك يوجب كونه أبا.

فلذلك قلنا: أب وابن وروح القدس، وجعلنا الروح هي الحياة، والابن هو

النطق والكلمة)(١).

والقاضي بهذا النص يبين أن النصارى يجعلون القول بالأقانيم نتيجة منطقية، يقبلها النقد الكلامي ويستسيغها، كما يبين أنهم يعتمدون على القسمة العقلية في إثبات الأقانيم، وكأنهم بذلك يقولون إن التثليث هو منطق العقل والأشياء.

وردود عبد الجبار على أدلة إلهيات النصارى الكلامية ترتكز على ثلاثة محاور أساسية، وهي:

١ - رده على القول بأن الله جوهر
٢ - رده على القول بثلاثة أقانيم متساوية أب وابن وروح قدس،
٣ - رده على علاقة الجوهر بالأقانيم.

## المطلب الأول: رده على القول بأن الله جوهر

تلفت الانتباه أن النصارى قد وظفوا في عقيدتهم مصطلح الجوهر بغير معناه الفلسفي الشهير، أو على الأقل بغير المعنى المتعارف عليه عند الإسلاميين؛ فالجوهر في رسائل النصارى **(هو غير المفتقر في وجوده إلى ذاته)**(٢)، وهو ما يعرف به المسلمون الواجب. كما أن النصارى يعرفونه:**(بأنه القائم بنفسه)**(٣)، وهو محتوى لا يعيبه الإسلاميون(٤).

وما يستنكره المسلمون على النصارى هو إطلاق لفظة الجوهر على الله ووصفه بها، وقد خص عبد الجبار هذا الإطلاق بعدة انتقادات، ومنها مايلي:

**أولا:**( إنه تعالى ليس بجوهر، إذ لو كان جوهرا لكان محدثا، وقد ثبت قدمه، ففسد قولهم أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم)(٤)، فيظهر من هذا النقد أن من خصائص الجوهر عند عبد الجبار الحدوث، ومن صفات الله تعالى القدم أو الأولية- حسب الاصطلاح الشرعي-، لأنه تعالى لو لم يكن **أوّلاً** لكان محدثا، فيكون مخلوقا. واستنكار القاضي لاطلاق **مصطلح الجوهر** على الله،

---

(١)عبد الجبار ،**المغني**،ج٥ص ص٩٨-٩٩.
(١)صبحي الصالح وفريد جبر، **فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية**،ج٢، ص٢٩٧، وراجع للمقارنة: محمد الشهرستاني، **الملل والنحل**،(بغداد: دار المثنى،ت) ص٦٠.
(٢)المصدر السابق، وراجع للمقارنة: الإيجي، **المواقف**، ص٢٧٣
(٣)المصدر السابق.
(٤)عبد الجبار **شرح الأصول الخمسة**،ج١ ص٢١١.

يعود إلى دلالته، فهو يفيد ويلزم عنه الحدوث، وما كان كذلك لا يصح إطلاقه على القديم.

**ثانيا:** يرفض عبد الجبار كون الله جوهرا بقوله:(إن الذي ذكرتموه من الاعتبار، إنما كان يجب لو لم يصح إثبات معلوم سوى الجوهر والعرض)(١). فهو يرفض قسمة الموجودات إلى هذين القسمين فقط، إذ ليس كل موجود عرضا أو جوهرا، فقد يكون غير ذلك، ويرد على هذا الرأي بقوله:(فأما وقد بينا أن القديم ليس بجوهر ولا عرض، فقد بطل أصل ما بنيتم عليه هذا السؤال، وقولكم إن الجوهر جسم وما ليس بجسم، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم، لأنه لا يحتمل التركيب، ويوجب عليكم القول بجواز كونه غير جوهر ولا عرض، لأنه إذا جاز لكم إثباته فاعلا مختارا، وإن لم يكن جسما، بخلاف الشاهد، ليجوز إثباته ليس بجوهر ولا عرض، بخلاف الشاهد)(٢). ويظهر من خلال هذا النص أنه يلزم النصارى **إلزامات على وصفهم الله بالجوهر**؛ فلو جاز أن نثبت كون الله فاعلا دون أن يكون جسما وهو مستحيل **لمخالفته الشاهد**، لجاز لنا أن نثبت الله ليس بجوهر ولا بعرض مع مخالفته الشاهد.

فالقاضي **يرفض** إدراج **الألوهية تحت أحد القسمين،الجوهر أو العرض**، مهما كان السبب، إذ أن إطلاق أحد الوصفين على الله يقتضي الإلتزام بمضامين الكلمتين ودلالاتهما المختلفة، **وهما لاتليقان** به تعالى عن ذلك، وإلا لزمه الحدوث.

**ثالثا:** يذكر عبد الجبار أن تسمية الله بالجوهر هي تسمية له بما لم يسم به نفسه، وهو مالا يجوز عنده إلا بشرطين، وهما:

١ – ثبوت التجانس بين اللفظ المنقول، والمسمى المنقول إليه.
٢ – المناسبة بين اللفظ المنقول والمسمى المنقول إليه(٤).

والوصف بالجوهر لم يتوفر فيه هذان الشرطان، إذ أنه لا يوجد تجانس بين لفظ الجوهروبين الله تعالى عن ذلك؛إذ أن الجوهر هو من أوصاف المحدثات التي تقبل الأعراض، والله ليس كذلك، كما أنه لاتوجد مناسبة بينهما، إذ أن الجوهر محدث والله أول قديم.

**وخلاصة القول** أن عبد الجبار كان يرى أن إطلاق الجوهر على الله غير مقبول من الناحية العقلية، إذ أن ذلك يفضي إلى القول بحدوث الله بطريقة الإلزام، إذ أن مدلوله الفلسفي يتناقض ومقتضيات التوحيد.

ويبدو أن النصارى وظفوا وصف الجوهر دون أن يتقيدوا بدلالته الاصطلاحية كما ذكرنا في مطلع هذا المطلب، وهو ما جعلهم عرضة للرد والجدل.

---

(١)عبد الجبار، **المغني**،ج٥، ص٩٩
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)عبد الجبار،**المحيط**،ص٢٢٥.

## المطلب الثاني: رده على القول بثلاثة أقانيم

ونحن بصدد عرض ردود عبد الجبار على العقيدة النصرانية نشيرإلى **إشكالية ترجمة مفاهيم النصارى**، كالجوهر والأقانيم، والقاضي كان عارفا بذلك، إذ يقول:

(واختلفوا في الأقانيم،
فقال بعضهم: إن الأقانيم **هي الخواص**،
وقال بعضهم: أشخاص، وقال بعضهم: **وجوه وصفات**، فكأنهم يقولون
جوهر واحد، ثلاثة خواص وثلاثة أشخاص)(١).

فالقاضي كان واعيا بكل الاختلافات النصرانية التي جعلت المترجم العربي يحتار في اختيار المصطلحات اللازمة للدلالة على المفاهيم النصرانية، وهو ما جعله يقول:**(وكفى بالمذهب بطلانا أن يصعب ضبطه)**(٢).

وردود عبد الجبار قد حاولت أن تعطى الموضوع حقه، فعرض للاحتمالات التي يمكن أن يقول بها الخصم موضحا تهافتها. ورغم صعوبات عرضه الكلامي لنقد الأقانيم إلا أنه يمكن أن نرتب مباحثها النقدية كما يلي:

١. **مفهوم الأقانيم**
٢. **أسماء الأقانيم**
٣. **أفعال الأقانيم**
٤. **اختصاص الأقانيم**
٥. **عدد الأقانيم**

### أولا: مفهوم الأقنوم

شكل مفهوم الأقنوم مادة جدلية ثرية في ردود القاضي عبد الجبار، وحظي بعناية خاصة، بل عده أهم نقد يوجه إلى النظرية الأقنومية.

---

(١)عبد الجبار ،المغني،ج٥،ص٨٢.
(٢)عبد الجبار،شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٢١١.

ويذكر وهو يتناول عقيدة القول بالأقانيم أنه **كفى بالمذهب فسادا أن يصعب ضبطه**(١)، وكأنه **يشير إلى أن** عقيدة النصارى لا يمكن أن تحمل على وجه يمكن تصوره، وكأنها صيغت بشكل يخالف المنطق، وأحسبه يلمح إلى ظاهرة تناقض المفاهيم النصرانية وتداخلها تداخلا يجعل تصورها مستحيلا.

فأساس النقد إذن عند القاضي **أن ما لايفهم لاتكلف أنفسنا مشقة الرد عليه، ودليله أن الله لا يمكن أن يكلفنا بمحال**(٢)، ويكفي هذا للإطاحة بمفهوم الأقنوم، ولكن القاضي عبد الجبار يطرح القضية طرحا جدليا آخر، مبينا أن كل الاحتمالات التي يمكن أن يقول بها النصارى في طرح عقيدتهم تفضي إلى المحال، وكأنه بذلك يريد أن يثبت لامعقولية القول بثلاثة أقانيم، فيسأل النصارى عن حقيقة الأقانيم ناهجا **طريقة التعريفات** في دراسة مصطلحات الإلهيات، ويوضح أنهم **يرجعون بأقنوم الأب إلى ذات** الله كما تقررتسبيحة الإيمان، ويرد على ذلك قائلا:(هب أنكم رجعتم بهذا الأقنوم إلى ذات الباريء تعالى على بعد هذه العبارة وفسادها، فإلى ماذا ترجعون **بالأقنومين الآخرين**)(٣)، فالقول بتساوي الأقانيم، مع رجوع أحدهما إلى الذات الإلهية، هو **تخصيص لأحدهما دون وجود سبب داع إلى ذلك**، وهنا يدرس ردين محتملين يمكن أن ينهجهما النصارى في التعريف **بالأقنومين** الآخرين، متناولا ذلك بمصطلحات علم الكلام الجاهزة، كالذات والصفات، وصفات المعاني، لتتحصل لديه الاحتمالات التالية:

١ – يتناول عبد الجبار **إمكانية رجوع أقنوم الأب إلى الله والأقنومين الآخرين على صفتين**، وهما الكلام والحياة، ويتلقاه بالرفض **بدلالة بطلان التعدد بالصفات**، فالتعدد يكون بالذات لا بالصفات، فلا يجوز أن تطلق الثلاثة على ذات وصفتيها، وحتى لو فرض جدلا قبول هذه الطريقة في الوصف، فإنه لا مبرر لحصر عدد الصفات بثلاث فقط؛ فالله له صفات كثيرة، فيلزم عدها أقانيم أيضا، يقول: (فإن **قالوا**: نرجع بهما إلى صفتين يستحقهما القديم تعالى، وهو كونه متكلما حيا، **قلنا**: إن الحي، وإن كان له بكونه حيا حال، فليس له بكونه متكلما حال، وإنما المرجع به إلى أنه فاعل للكلام على ما هو مبين في موضعه، على أن الذات لا تتعدد بتعدد أوصافها ، فإن الجوهر الواحد، وإن كان موصوفا بكونه جوهرا ومتحيزا وموجودا وكائنا في جهة، فإنه لا يتعدد بتعدد هذه الأوصاف ولا يخرج عن كونه واحدا، **فكيف أوجبتم تعدد الله لتعدد أوصافه، ولم جعلتموه واحدا و ثلاثة؟**)(٤).

إن عبد الجبار يرفض القول بالأقنوم مهما كان تفسير النصارى له،وكل ذلك كان باعتزالية ملحوظة، فالله فاعل للكلام، وليس متكلما بكلام يليق به، وهو ما يؤكد مرة أخرى حضور المفاهيم

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص٢١٣
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص٢١٢.

الإسلامية والإعتزالية في عملية الرد.

٢ – ويتناول احتمال ارجاع الأقنومين الآخرين إلى معان قديمة، فيقول:(وإن قالوا: إنا إنما نرجع بها إلى معـــان قديمة هي الحياة والكلمة، فقد فسدت مقالتهم بدلالة التمانع، وبما أوردناه على الكلابية)(١)، فافتراض كون الأقانيم صفات معان، يلزم عنه تعدد الآلهة، إذ أن صفة القدم توجب التأليه للمتصف بها.

فعبد الجبار يتعامل مع أقنوم النصارى بعقلية المتكلم المجادل، وهذا ما جعله يتتبع المعاني المحتملة للفظة الأقنوم، بتطبيق طريقة السبروالتقسيم.

ويوضح عبد الجبار أن أقرب وجه يحمل عليه كلام النصارى في هذا الموضوع، هو كون الأقانيم صفات قديمة، كالحياة والكلمة، أوصفات المعاني بتعبير الأشاعرة(٢).

ولم يتناول القاضي احتمال رجوع الأقانيم إلى ثلاثة ذوات، لأنه يعلم أن النصارى لا تقول بثلاثة آلهة متمايزة، وإن كان في رده على هذا الإحتمال الأخير رد على القول بثلاثة آلهة، بدلالة التمانع.

والملاحظ من خلال نصوص عبد الجبار اهتمامه بالبحث عن المقابلة والمشابهة بين تصـورات المسلمين وتصورات النصارى في قضايا الألوهية؛ فقد أرجع مفهوم الأقنوم إلى الذات، كما أرجعه إلى الصفات المعنوية، وأيضا إلى صفات المعاني، حتى تتسني له معالجة الموضوع بدقة، كما أن إشارته إلى أن أقرب وجه يحمل عليه معنى الأقنوم هو صفات المعاني تكشف عن هذا البعد في منهجه.

وإذا أردنا المقابلة والمطابقة بين الأقنوم وصفة المعاني فإنه بينهما بون شاسع؛ فصفات المعاني عند من يقول بها ليس من لوازمها الألوهية، فهي عندهم ليست عين الذات، وليست غيرها، خلافا للأقنوم الذي من صفاته الألوهية، وهو ما يؤكد أن مفهوم الأقنوم مفهوم قائم بذاته. ولذلك فإننا نعيب على عبد الجبارمطابقته بين قول النصارى وقول الكلابية والأشاعرة في صفات المعاني، إذ أنها تفرق عنها في المضمون والشكل، فالقائلون بها لا يصيرون إلى القول بإلهية الصفة وانفراديتها بالفعل وتميزها عن الذات(٣).

ويمكننا القول أن مقابلة عبد الجبار بين تصور النصارى للأقنوم والصفة كما هي في علم الكلام هي تعبير غير مصرح به عن البديل الإسلامي الذي يخص الأقنوم. وتقديم البديل إحدى مهمات عالم الرد على الملل الأخرى؛ فعبد الجبار يرى أن البديل الشرعي والمنطقي للأقنوم النصراني هو الصفة بمفهومها الاعتزالي.

(١)المصدر السابق، ص ص٢١٢-٢١٣.
(٢)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج١، ص٢١٣
(٣)المصدر السابق.

ويخلص عبد الجبار إلى رفض القول بثلاثة أقانيم متساوية أو مختلفة، مهما كان التفسير الذي يمكن أن تعطيه النصارى له، سواء عادوا بمعناها إلى الذات،أوإلى الصفات، أوإلى المعاني القائمة بالذات، إذ أن دلالة التمانع تُبْطِلُهُ وَتُلْزِمُ تَعَدُّدَ الآلهة.

## ثانيا: أسماء الأقانيم

ونحن مقدمون على دراسة مشكلة تسمية الله بما لم يسم به نفسه، يحسن بنا أن نذكر بأن هذه المسألة قد أخذت نصيبا وافرا في الدراسات الإسلامية، والتي انقسمت فيها إلى مدرستين، المدرسة العقلية والمدرسة النقلية، وعبد الجبار من أركان المدرسة العقلية التي تقول بإمكانية أن يسمى الله بغير ما سمى به نفسه، وهو يقول عن النصارى:

(إنهم يقولون: إنه تعالى جوهر واحد، وثلاثة أقانيم:

أقنوم الأب يعنون به ذات البارئ عز اسمه،

وأقنوم الابن أي الكلمة،

وأقنوم روح القدس، أي الحياة)(١).

ويرد على ذلك قائلا:

(فأما وصف القديم بالأب، ووصف الكلام بالابن، فذلك خطأ في العبارة،لأن في هذه اللغة لا يعقل الأب في معنى القديم، ولا في معنى الكلام، بل الأب يفيد في حقيقته أن الولد مولود على فراشه أوهو مخلوق من مائه، والابن يقتضي في حقيقة اللغة أحد ما ذكرناه من الوجهين، فمتى استعمل على غير هذا الوجه كان على طريق التجويز، ويفيد ضربا من الإكرام، وفي هذا أيضا لابد من شرطين:

**أحدهما:** ثبوت التجانس،

**والثاني:** أن يكون الذي يتبنى أدنى سنا من المتبنى، وذلك أعلى سنا منه، فإذا كنا قد عرفنا أن حقيقة الأبوة والبنوة في الله لا تتأتى، وكان الإكرام على هذا الحد ممتنعا، بل يوجب أن لا يختص به عيسى دون غيره من الرسل، فقد بطل ما قالوه من كل وجه)(٢).

فخلاصة رأي عبد الجبار، أنه يمكن أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه،إذا ما روعي الضابطان التاليان:

---

(١)عبد الجبار شرح الأصول الخمسة،ج١ص٢١١.

(٢)عبد الجبار، المحيط، ص٢٢٥.

**الأول:** لاتراد الحقيقة من اللفظ إلا إذا وجدت مناسبة وتطابق بين اللفظ والمسمى.
**الثاني:** قد يحمل اللفظ على المجاز إذا لم يمكن إبقاء الحقيقة، فيصار إلى المجاز إذا توفر الشرطين التاليين:

١ – ثبوت التجانس بين اللفظ المسمى به والمسمى.
٢ – المناسبة بين اللفظ المسمى به والمسمى نفسه.

ويؤكد عبد الجبار أن هذه الضوابط لاتتوفر في الأقانيم،الأب والابن والروح القدس، إذ أنه لا يمكن أن يراد بها الحقيقة، وإلا، جاز وصفه بالحدوث، وهوما يقدح في الألوهية، فبطلت التسمية بالحقيقة.

كما أن القول بالمجاز يمكن أن تعتريه صعوبات مختلفة؛ فإطلاق الأبوة والبنوة على الذات الإلهية لا يصح، إذ أن الضابطين المشار إليهما سابقا لم يتوفرا فيهما؛ فلا تجانس، إذ أن اللفظ الموظف لا يتفق مع المسمى المنقول إليه، فالأول له دلالات كالحدوث والحركة والاجتماع والافتراق، والثاني لا يمكن أن يتصف بدلالات اللفظ ويتنزه عن ذلك؛ ولا تناسب، إذ أن البنوة والأبوة معان تقتضي التغاير في السن، فالأب أكبر من الإبن بداهة، وهوما يناقض القول بالجوهر الواحد، والأقانيم المتساوية كما هو معتقد النصارى،إذ الإلزام يقتضي تغايرهم في السن، كما أن ذلك لا يقدح في اختصاص المسيح وحده بهذا الوصف، إذ كل نبي ورسول–إذا افترضنا أن البنوة معناها الإكرام– يمكن أن تطلق عليه. ومع ذلك، فالنصارى لا يقولون بأن البنوة والأبوة معان مجازية، بل تفيد الحقيقة، بل إنها تكفر من يقول بالمجاز في ذلك(١). فلما عدم التجانس والتناسب استنتج عبد الجبار أن هذه العقيدة متهافتة، مهما كان تأويل الأقنوم؛ فيتفاعل التفكير اللغوي والتفكير الكلامي بإلزاماته المختلفة، ليدلل على تهافت القول بتلك الاقانيم.

وأما غير القاضي من المفكرين الذين يرون أنه لا يجوز أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، فقد نحوا نحوا آخر في التدليل على تهافت هذه المقالة، إذ أن من مسلماتهم العقدية أنه لا يجوز أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، فإذا لم يسم الله نفسه بالجوهر، فلا يحق لنا أن نسميه به، وإذا لم يصف نفسه بالأقانيم، فلا يحق لنا أن نصفه بها، فوصف الله لا يكون إلا بالوحي المنزل(٢).

ويمكننا أن نستنتج أن النقد الإسلامي للكتب المنزلة هو نقد لهذا القول، إذ الوصف عند هؤلاء لا يكون إلا بالوحي(٣)، فالقرافي الأشعري يقول ردا على إطلاق هذه الأسماء:(وما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئا يعتمد عليه، ولا مضبوط

---

(١)المصدر السابق.
(٢)ابن حزم، الفصل في الملل والنحل،ج١، ص٥٠.
(٣)المصدر السابق.

**النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في الدين)**(١)، ثم يضيف إعتمادا على هذا النقد: **(إطلاقات الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هوعندكم، فكنتم عصاة بهذا الإطلاق)**(٢).

ونستخلص من كل ما سبق، أنه مهما كان مفهوم الأقنوم، أو المحمل الذي يمكن أن تحمل عليه، فإن القول به باطل، ويفضي إلى إسقاط النظرية النصرانية في الإلهيات. كما أنه يمكننا أن نفهم أن أكبر نقد وجهه الإسلاميون عامة و القاضي عبد الجبار خاصة إلى العقيدة النصرانية هوأن **مالا يمكن تصوره لا نتكلف للرد عليه.**

ومهما يكن من أمر، فإن الرد لم **يسلم من آثار علم الكلام، سواء كان اعتزاليا أو أشعريا أو غير ذلك، فيتأثرتبعا لمذهب الراد الكلامي، فعلم الكلام هو المصدرالأم لعلم الملل والنحل.**

## ثالثا: أفعال الأقانيم

إن القول بثلاثة أقانيم، متفقة غير مختلفة جوهر واحد، وهو المسيح بالاتحاد، تنجم عنه مشكلات مختلفة، كمشكلة من الفاعل من هذه الأقانيم الثلاثة؟ أالأقانيم معا؟ أم أن أحدها فقط هو الخالق؟أم غير ذلك؟.

ويدرس عبد الجبار هذا الإشكال، مستخدما **طريقة السبروالتقسيم**، فيبرز الاحتمالات التالية:

**١ – الفاعل هو الإنسان**

إذا افترضنا أن الفاعل من الأقانيم هوالإنسان، باعتبار أنه هو المتحد بالله، فيجيب عبد الجبار:(إنهم إن قالوا: إن الفاعل هو الإنسان، **لزمهم أن يكون هو الإله، وفي ذلك إبطال قولهم بأن الجوهر هو أحد الأقانيم الثلاثة**، ويكون قولهم بقول الكلابية في أن الموصوف هو الإله دون صفاته)(٣)، فتعريف النصارى للمسيح ، يجعل منه اللاهوت ومنه الناسوت، فإذا افترضنا أن الإنسان هو الفاعل، فإن الألوهية تجب له فقط، وهو عين ما يرفضونه.

**٢ – الفعل فعل الأقانيم الثلاثة**

وإن افترضنا أن الفاعل من الأقانيم هو الأقانيم الثلاثة، باعتبارأن الجوهرية واحدة، فيجيب عبد الجبار: إن(**هذا يوجب كون كل واحد منها فاعلا، ووجوب ذلك يوجب كل واحد حيا قادرا، وذلك يوجب كل واحد إلها**، وذلك ترك قولهم)(٤)، فهو يوظف **دلالة الإلتزام** ليدلل على بطلان

(١)القرافي، الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة،ص٣٤.
(٢)المصدر السابق، ص٣٥.
(٣)عبد الجبار، المغني،ج٥،ص٩٣.
(٤)المصدر السابق.

**هذا القول، فكل الاحتمالات تفضي إلى القول بتعدد الآلهة.**

ويدرس عبد الجبار احتمال رد النصارى على هذا الإعتراض، فيقول:(**فإن قالوا:** إن فعل الثلاثة فعل واحد ، فلا يجب ما قلتموه، لأن الفعل إذا كان واحدا ، لم يجب إثبات ثلاثة فاعلين، بل يجب اثباتهم فاعلا واحدا. **قيل لهم:** إن الفعل الواحد يستحيل كونه فعلا لفاعلين، لأن ذلك يوجب أن يصح من أحدهم أن يفعله، ومن الآخر أن يتركه، وهذا مما قدمنا فساده من قبل، فيجب فعل كل واحد منهم غير فعل صاحبه، كما أن كل واحد منهم غير صاحبه)(١)، فيوظف **دلالة الإلتزام**، ليدلل على اللوازم الفاسدة التي تنتج عن هذا القول؛ فالفعل لايمكن بحال أن يصدر عن فاعلين، بل عن فاعل واحد، إذ أن هذا القول سيفضي أيضا إلى **القول بتعدد الآلهة**.

**٣ – الفعل فعل لواحد من الأقانيم**

فإن افترضنا أن الفعل هو فعل لواحد من الأقانيم، يقول عبد الجبار:(قيل لهم: **لا فرق بين إثباته فعلا لثلاثة، وبين إثباته فعلا لفاعل، هو ثلاثة في حقيقة إضافة الفعل إليهم**)(٢)، فهذا القول في رأيه هو تنميق للفظ لا غير.

**٤ – كل منهم فاعل مع الآخرين**

فإذا افترضنا أن كل واحد من الأقانيم فاعل، يقول عبد الجبار:(**فإن قالوا:** كل واحد منهم فاعل مع الآخرين، لا أن كل واحد منهم فاعل في الحقيقة، **قيل لهم: هلا قلتم إنهم ثلاثة فاعلين، كما كان كل واحد منهم فاعلا مع الآخر**)(٣)، فنسبة الفعل للثلاثة جميعا هو في حقيقته **اعتراف بثلاثة آلهة متغايرة**، إذ أن الفعل لا يمكن أن يصدر إلا عن فاعل واحد، فلا يكون من فاعلين إلا إذا تجزأ، وهو ما يجعل منه أفعالا متغايرة، ومتكاملة؛ فهذا القول يقتضي تعدد وتغاير الفاعلين، وهو عين ما يرفضه النصارى.

**٥ – كل واحد من الثلاثة بعض الفاعل، وثلاثتهم فاعل واحد**

أما إذا افترضنا أن الفعل هو للثلاثة جميعا، فيرد عبد الجبار:(قيل لهم: **هذا يوجب التبعيض على الإله الفاعل، ويوجب أن يجوزوا كون الحياة بعضا، ويوجب كون الفعل بعضا كجواز كون الحياة بعضا له**، لأن كونه فاعلا ولا فعل مستحيل، كما أن كونه حيا ولا حياة يستحيل)(٤)، إذ يلزم عن ذلك أنه تعالى متبعض، ذوأبعاض ثلاثة، بل هو جسم متغاير، فهو محدث، ومما يتنافى مع الألوهية، كما تلزم عنه مستحيلات، كتبعيض الحياة والفعل(٥).

فعبد الجبار تناول مشكلة الفعل ببعد فيزيائي، أو فلسفي–طبيعي محللا إمكانية صدور الفعل عن واحد أوعن أكثر في الآن ذاته، ليصل إلى استحالة الصدور عن أكثر، إذ **الإلزام يفضي**

---

(١)المصدر السابق، ص ص٩٣-٩٤.
(٢)المصدر السابق، ص٩٥.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.

**إلى تعدد الآلهة مهما كان المحمل،وهي اللفتة التي يرفضها جميع النصارى. وهذا ما يؤكد أن الرد هو تفاعل بين علوم العصر وعلم الكلام في الرد على النصارى.**

## رابعا: اختصاص الأقانيم

قدم عبد الجبار في ردوده نصوصا كثيرة محاولا إبراز بطلان اختصاص أحد الأقانيم **بشيء** دون غيره، فقول النصارى بتساوي الأقانيم يلزمهم أن يكون لكل واحد منها مايلزم الآخر، ويشرح ذلك بقوله:(وما قدمناه من أن ما شارك القديم في كونه قديما يستحيل أن **يختص** لذاته بما **يفارق به** الآخر يبطل قولهم أيضا، لأن هذه الأقانيم إذا كانت قديمة، فيجب أن لا يصح أن يختص الأب بما يستحيل على الابن والروح، ولا يصح اختصاصهما بما يستحيل عليه، ولا اختصاص كل واحد منهما بما يستحيل على الآخر؛ وهذا يوجب كون الابن أبا، وكون الأب ابنا، وكون الأب روحا والروح أبا)(١)، فالقول باختصاص أحد الأقانيم بوصف أو صفة هو في حقيقته إقرار بوجود اختلاف في الأقانيم، رغم أن النصارى يؤكدون على تساويها واتفاقها. **فما الذي اختص به أحد الأقانيم حتي يكون أحدهما أبا؟ ولم لا يكون لكل واحد منهما ابنا؟.**

فاتفاق الأقانيم في الجوهر ينتج عنه حسب عبد الجبار تماثل في الاختصاص، و إلا لزم الاختلاف في الجوهر، كأن تكون عدة جواهر، كما يؤدي هذا الإعتقاد إلى تعدد الجواهر والآلهة، وهو ما يرفضه النصارى.

ويضيف عبد الجبار في المغني، فيقول:

(وعلى هذه الطريقة ألزمهم شيوخنا القول بأن للابن ابن وذلك أن الابن اذا شارك الأب في كونه قديما ووجب كونه مثلا له في ذاته.

فيجب ان كان الأب لا بد له من ابن هو العلم والكلمة أن يكون الابن بمنزلته في أن له ابنا هو العلم والكلمة، ولابن الابن ابن الى ما لا نهاية له.

ومن يثبت إستحالة حاجة الابن لو كان هناك ابن الى ابن، وجب مثله في الأب.

وكذلك يلزمهم في الروح أن يكون له روح لما له قالوا في الأب أن له روحا ولروح الروح روحا الى ما لا نهاية له.

ويلزمهم أن يكون للابن روح وللروح ابن كما أن للأب ابنا وروحا لمشاركتهما له في القدم الموجب للتماثل،. فلا يصح أن يثبتوا للأب مع قولهم مشاركة الابن له في القدم ما لأجله احتاج إلى ابن دون الابن والروح)(٢).

فعبد الجبار يجعل **إختلاف الأقانيم دليلا على الاختصاص**، فقولهم أقنوم أب، وآخر ابن، وآخر روح، يؤكد أنها مختلفة، رغم أن النصارى تقول باتفاقها وتساويها. ويظهر أنه في تحليلاته

(١)عبد الجبار، المغني، ج٥،ص٨٦.
(٢)المصدر السابق، ص٨٧.

يوظف دلالة الإلتزام أو الموجب، ويؤكد من جديد علىتناقض النسق العقدي النصراني.

فالقول بتساوي الأقانيم يُلزِمُ به عبد الجبار النصارى أن يصفوا كل واحد منها بما يصفون به الآخر، فالمشاركة في القدم الصفة الإلهية الواجبة من لوازمها أن لا يختص المشارك بشيء يستحيل على المشارك الآخر. ولذا، فاختصاص أحد الثلاثة بالأبوة دون الباقي هو نقد للقدم، وهو ما لا يرتضيه النصارى.

ودلالة الإلتزام توجب عليهم أن يجعلوا للإبن ابنا حتى يكافئ الأب، كما يلزمهم ذلك في الروح، ويلزمهم أن يجعلوا للروح والأب أبا كما جعلوا للابن أبا، لكي يتكافأ جميعا، ويصح تساويها، رغم أن ذلك سيفضي إلى القول بتعدد الآلهة، ليفضي كل مرة إلى بطلان التسلسل.

ويلاحظ القاضي أن النصارى قد يعللون أن الاختصاص لا يرجع على الذات، بل يرجع إلى علة، فيبين أنه لا يمكنهم كذلك أن يقولوا إن كونه أبا وكون الابن ابنا له لا يرجع إلى ذاته، وإنما يرجع إلى علة، فإن رجعوا بذلك إلى علة، فيلزمهم أن يقولوا إن هذا الاختصاص لما هو عليه في ذاته حتى يصح كونه أبا عالما، كما يلزمهم أن يجعلوا للإبن ابنا وعلما وكلمة لنفس العلة، فإن الابن لما شارك الأب في القدم يجب أن يثبتوا له كل ما أثبتوه للأب، وهوما يوجب تعدد الآلهة وكثرة الأقانيم، ويبطل اعتقاد النصارى(١).

فاتفاق الأقانيم الذي تحكيه النصارى فاسد، حتى لو كان ذلك اعتمادا على أن الاختصاص راجع إلى علة غير الذات، فما يلزم الأب يلزم الابن، فإن كان يلزمه ابنا لزم الابن ابنا للتماثل، وأيضا إن لزم الأب الكلمة والعلم، لزم ذلك الابن، وينتج أيضا أن ابن الابن يلزمه ما يلزم الابن، لنصير في تسلسل لانهائي، فإن نفي ذلك عن الابن وجب نفيه عن الأب للمماثلة أيضا، ونفس الكلام يقال للروح، فما شارك القديم يستحيل أن يختص لذاته بما يفارق به الآخر.

وعبد الجبار في رفضه لاختصاص الأقانيم لم يفرق في الحكم بين الذي يرجع إلى الذات، والاختصاص الذي يرجع إلى علة.

ويستخرج القاضي نتيجة منطقية أخرى من رفضهم استحقاق كل أقنوم من الصفات مايستحقه الأقنومان الآخران، وهي انعدام الأقانيم جملة وسلب القدم عن الأب، يقول:

(وقد ألزموا على قولهم إن جوهر الأقانيم الثلاثة جوهر واحد القول بأن الابن يستحق كل ما يستحقه الأب من الصفات، من حيث كان جوهره كجوهره.وإلا، فإن صح أن يكون مخالفا له، وإن كان جوهره كجوهره ، ليجوزن خروج الأب من أن يكون

(١)المصدر السابق، ص ص٨٧-٨٨

أبا، والابن من أن يكون ابنا ، وإن كان إنما كان كذلك لجوهره ،لأن إثبات مثل الشيء في جوهره مع مخالفته له في صفته الراجعة إلى جوهره ، إذا صح، صح أيضا خروج الشيء عن جوهره وهذا يوجب عليهم أن لا يأمنوا عدم الأب والابن، وخروج الأب من أن يكون أبا قديما)(١).

فهناك اقتناع لدى القاضي أنه لا وجه لأن يختص أحد الأقانيم بالأبوة وآخر بالبنوة و آخر بالروح في إطار النظرية اللاهوتية النصرانية؛ فهذا الاختصاص يفضي إلى نتائج فاسدة وغير مقبولة منطقيا، ولا يرتضيها النصارى، يقول:

(وعلى هذه الطريقة ألزمهم شيوخنا القول بأن كل واحد من الأقانيم إله، لأنه إذا كان الابن والروح مشاركين للأب في القدم، فما أوجب كونه إلها يوجب كونهما إلهين، وكون كل واحد منهما إلها يبطل أصل مقالتهم، لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن القديم الفاعل، إذا استحال كونه حيا إلا بحياة، عالما إلا بعلم، وجب إثبات أقنومين كلمة وروح. فإذا وجب بما ذكرناه كون يوجب عليهم كونه موجودا قديما سميعا مدركا. وذلك يوجب إذا لم يصح كذلك لجوهريته أن يكون لمعان؛ وفي هذا إثبات أقانيم كثيرة لمثل ماله أثبتوا حياة ونطقا)(٢).

وهكذا يتأكد عبد الجبار مرة أخرى بدلالة الإلتزام من تناقض النسق العقدي النصراني، إذ **الإلتزام بثلاثة أقانيم متساوية يفضي إلى القول بتعدد الأقانيم، والخروج عن الحصر بالثلاثة، والدخول في تسلسل لا نهائي؛ وفي ذلك نقض للتثليث.**

## خامسا: عدد الأقانيم

إن عبد الجبار لا يفهم سببا معقولا لاقتصار النصارى على ثلاثة أقانيم فقط، فإذا كان الوصف يوجب الزيادة في عدد الأقانيم، فإنه يلزمهم أن يزيدوا في عددها بعدد صفات الله سبحانه وتعالى، يقول:(إن هذه الطريقة **توجب عليكم أن تزيدوا في عدد الأقانيم بعدد صفاته جل وعز**، وأن تثبتوا له أقنوما بكونه قادرا، وأقنوما بكونه عالما،وآخر بكونه مدركا، ورابعا وخامسا بكونه مريدا وكارها، حتى يبلغ عدد الأقانيم ثمانية أوتسعة )(٣).

ويحلل عبد الجبار الأسباب المنطقية الكامنة وراء القول بالأقانيم الثلاثة، فالله كموجود يتصف بصفات كثيرة يكشف عنها الدرس الكلامي، وقد سبق أن عرضنا لجملة منها سابقا(٤)، فهو موجود وحي وسميع وبصير وقادر، ومتكلم، وغيرها من الصفات؛ وتخصيص النصارى لصفتي

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)عبد الجبار. شرح الاصول الخمسة،ج١ص٢١٣.
(٤)راجع الفصل الثالث، المبحث الثالث، مطلب التوحيد.

العلم والكلام بأقنومين فقط هو مالا يقبله عبد الجبار، فإذا وجب إطلاق الوصف بالأقنومية على الصفات الإلهية، وجب إطلاقه أيضا على جميع الصفات الإلهية، فما يصح لصفة الكلام يصح لصفة السمع، ويصح لصفة البصر، كما يصح لغيرها من الصفات بدلالة الإلزام أوالموجب، إذ الحي لا يخلو عن تلك الصفات أبدا، فقياس الشاهد على الغائب أوقيا س الغائب على الشاهد يقتضي المماثلة في الإطلاق والإيجاب لله عز وجل، بل إن هذا التعليل هو ألزم في غيرها من الصفات، فالحي هو أحوج إلى القدرة من العلم، فالأولى أن تكون أقنوما آخر، بدلالة قياس الأولى.

ونفس الدليل يوظفه أبو علي، شيخ عبد الجبار، فيقول:

(إذا كنتم تثبتون الأقانيم الثلاثة من حيث استحال عندكم كونه تعالى فاعلا إلا وهوحي عالم، فأثبتم له علما وهو الابن والكلمة،وروحاوهي الحياة.

فيجب أن تثبتوا له قدرة، لإن الفعل لا يصح إلا من قادر، وحاجة الفعل إلى كون فاعله قادرا آكد من حاجته إلى كونه حيا عالما.

ويلزمكم إثبات سمع له وبصر وإدراك، من حيث كان الحي يجب أن يكون سميعا بصيرا مدركا،وتثبتوا له إرادة، من حيث كان الفاعل للأفعال مع علمه بها)(١).

ويوضح القاضي في مقام آخر بعض الأدلة التي كان النصارى يستدلون بها على تعدد الأقانيم، فيذكر أنهم يعتلون للأقانيم أنها(ثلاثة في العدد، بأن الثلاثة تجمع نوعي العدد اللذين هما الشفع والوتر، و ما جمع نوعي العدد، كان أكمل مما لم يجمعها، لأن أحد نوعي العدد مقصر عن كمال العدد، ووصفه بالتقصير لا يصح، فيجب أن يوصف بكمال العدد، وهو ما جمع الشفع و الوتر)(٢).

فيظهر جليا أن هذا الاستدلال يفضي بدلالة الإلتزام إلى إلزامات لا يقبلها النصارى، إذ يلزم عنه القول بأن الأب يجمع نوعي العدد حتى لا يكون منقوصا، وكذلك أقنوم الابن والروح، وهو مايجعل الأقانيم تسعة، فإن لم يجمع أحد الأقانيم نوعي العدد، فهو منقوص على علتهم، وهذا يوجب في كل واحد من الاقانيم أن يكون منقوصا، وهو ما يسلب عن الأقنوم صفة الألوهية، كما يسقطها عن الجوهر الكل، إذ أن النقص يعمه كله(٣). فالإلزام يقتضي أن توصف باقي الأقانيم بما وصف به الأقنوم الأول.

وهذ الاستدلال يتناقض مع تعريف النصارى للجوهر، إذ أن الإله عندهم في جوهريته ليس بثلاثة، وإنما هوثلاثة في أقنوميته، فيجب على علة نوعي العدد أن يكون منقوصا في جوهريته، لأنه لم يجمع نوعي العدد، على أن النقص عندنا بالضد مما ذكره، لأنه يجب لما جمع نوعي العدد)(٤)، فإذا كان الإله هوالجوهرالواحد، فهو منقوص حسب هذه القاعدة، إذ أنه لم يجمع الثلاثة، فدلالة الإلتزام، تقتضي أن يكون الجوهر ثلاثة أيضا، حتى لا يتصف بالنقص الذي يتنزه

(١)المصدر السابق، ص٩٣.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١٠١.
(٤)المصدر السابق.

عنه الله تعالى؟

**ونخلص من هذه المداخلات النقدية للأقانيم النصرانية أن عبد الجبار لم يجد لها مسوغا منطقيا مقبولا، يسمح بإثبات التثليث الإلهي والقول به، وكأنه بذلك يطن عن تهافت كل النسق العقدي النصراني العام الذي تشترك فيه جميع الفرق النصرانية.** ويبقى الرد على النظريات الإلهية الخاصة بالفرق النصرانية.

## المطلب الثالث: رده على علاقة الجوهر بالاقانيم

كان يمكن لعبد الجبار أن يكتفي بالنقد الذي وجهه إلى الجوهر والأقانيم، ولكننا نلفيه قد تتبع النصارى في الجزئيات والكليات. وقلنا في مبحث سابق أن عبد الجبار أبان في ردوده علاقة الجوهر بالأقانيم عند الفرق النصرانية، **فاليعقوبية والنسطورية تقولان: (أن القديم جوهر، وأن الاقانيم هي الجوهر، والجوهر هو الأقانيم)**، والملكانية تقول:**(أن القديم جوهر واحد، ذو ثلاثة أقانيم، وأن الاقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم)**(١).

**واليعقوبية والنساطرة** لم يحظيا باهتمام عبد الجبار، ويبدو أنه كان يرى أن هذا الرأي لا قدح فيه، إلا بما سبق عرضه في المباحث النقدية السابقة، إذ أن نقد أفعال الأقانيم، وإختصاصها، وإتفاق الأقانيم وإختلافها، كلها تصلح نقدا له.

فالقول بأن الأقانيم هي الجوهر، ثم وصفها بالإختصاص هو مناقضة للتوحيد، إذ يلزم عن ذلك **تعدد الآلهة**(٢).

وأما **الملكانية**، فقد خصها عبد الجبار بعدة انتقادات، وهي:

**١. نقد الهوية**
**٢. نقد العدد**
**٣. نقد تعريف الإله**
**٤. نقد الجوهر**

### أولا: نقد الهوية

أول نقد يسجله عبد الجبار هو أن الملكانية تقول إن الجوهر غير الأقانيم، وإن لم تكن الأقانيم غيره، فكيف يصح ذلك ؟، فاعتبر ذلك ضربا من المحال، فكيف يصح

(١)صبحي وجيه، منحى فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٢٨٣، ٢٩٠، ٣٢٧.
(٢)المصدر السابق، ص٩٦.

كون الجوهر غيرها، وهي ليست بغير له(١)، فكأنه أراد أن يقول كيف يكون الجوهر غير الأقانيم من جهة، ومن جهة أخرى الأقانيم هي الجوهر.

ثم يصعد القاضي النقد بصفة منطقية، ويقول:(فهلا جاز أن يكون الجوهر غيرها في الحقيقة، وإن كانت هي هو على الحقيقة؟)(٢). ويصعب تصور هذا الإشكال المنطقي، إذ يعد من التجريد الرياضي، ولعل الرمز الرياضي هو خير عون لنا على فهم هذا النقد.

فهب أننا رمزنا إلى:

- الجوهر بالرمز(ا)،
- والأقانيم بالرمز(ب)،
- وعلاقة الإثبات بالرمز(هي)، وعلاقة النفي بالرمز(لا)،

فيمكننا اختصار مقالة الملكانية رياضيا، كمايلي:

(ا هي ب)، لكن (ب لا أ)، وإن كانت(أهي ب)على الحقيقة.

(ومتى تناقض كونها هي الجوهر و كون الجوهر غيرها، فيجب أن يتناقض كونها ليست بغير الجوهر وكون الجوهر غيرها)(٣).

وبهذه القطعية وبهذا التنسيق الرياضي، بنى عبد الجبار نقده الذي يعتمد بالدرجة الأولى على التحليل المنطقي، أي مبدأ الهوية.

## ثانيا: نقد العدد

ثم يسجل مدخلا نقديا آخر للنصارى، فيؤكد أنهم إن قالوا (أن الأقانيم إن كانت ثلاثة، ثم جعلوا الجوهر غيرها، فيجب أن يكونوا مثبتين لرابع، وفي ذلك ترك لقولهم)(٤)، جريا على مبدأ العد، فلو كانت الأقانيم غير الجوهر، لزم عدها جميعا أربعة، لا ثلاثة، باعتبار المغايرة.

ويسجل عبد الجبار أنه توجد آراء يمكن أن يعتمدها النصارى لتبرير معتقدهم، فتدرس من باب الاحتمال فقط، والتي تعكس عقله النقدي الكلامي، يقول في ذلك:( وإن زعموا أنهم يرجعون بالجوهر إلى واحد منها، فقد نقضوا قولهم أن الجوهر غيرها، ووجب كون الشيء غير لنفسه، وهذا تجاهل)(٥). فهذا الرأي لم يقله نصراني- فيما نعلم الآن- بدلالة الكلمة(يزعمون)، ورغم ذلك، فقد درسها وسجل أن الرجوع بالجوهر إلى واحد من الأقانيم خرق لمقولتهم ذاتها، إذ أنهم جعلوه واحدا منها، وهو باطل في نظرهم.

إن عبد الجبار في ترتيبه الأدلة قد استخدم منهج تصعيد، فقد كان واعيا بأن النصارى يعتبرون المعادلة السابقة - معادلة الأقانيم والجوهر- تساوي ثلاثة، باعتبار(أن الجوهر غير

(١)المصدر السابق، ص٩٦.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق، ص٩٤.

الأقانيم، وأن الجوهر هو الأقانيم)(١).

ويطرح عبد الجبار احتمالا آخر، فيقول:(ولايصح أن يقولوا إن الجوهرليس برابع، ولا هو بواحد من الثلاثة، لأن ذلك في الاستحالة في حكم ما قدمناه، لأنه لا فرق بين القول بأنـه غيرها و ليس برابع لها، ولا بواحد منها، وبين القول بأنه غيرها، وهو كواحد منها)(٢).

وبهذا النص يوظف عبد الجبار **مبدأ الغد** لنقد علاقة الجوهربالأقانيم،وموظفا المنطق وأدواته التحليلية، وهوبذلك يكشف عن علاقة بين مفاهيم علم الكلام ومفاهيم علم الرياضيات، إذ(أن هذا القول، يوجب عليهم أن **ثلاثة وواحد، ليس بأربعة**. بل يوجب أن يقولوا أن **ثلاثة واحد هو واحد**، وهذا يوجب أن قول القائل **ثلاثة لا شيء غيرها، بمنزلة قوله ثلاثة و شيء آخر هو غيرها**، ويوجب أن **ثلاثة أشياء وشيئا هوغيرها ثلاثة**، وذلك يوجب أن إثبات الغير والبقية سواء، و يوجب جواز القول بأن واحدا وواحدا **هو واحد**، وهذا يوجب أن لا يتزايد المعدود بزيادة الأعداد)(٣).

إن عبد الجبار جعل من قضية الجوهر والأقانيم الثلاثة قضية منطقية رياضية، ليبين تهافت النظرية الملكانية.

## ثالثا: نقد تعريف الإله

يسجل القاضي مدخلا نقديا آخر للملكانية، مستخدما طريقة السبروالتقسيم، فيقول:(فلا يخلو الإله من أن يكون هوالجوهر دون الأقانيم، أوالأقانيم دونه، أوهما)(٤)، والنقد الكلامي يقتضي تحليلا لكل هذه الاحتمالات وسبرا لها كمايلي:

١ – **إذا افترضنا أن الله هو الجوهر**، يقول عبد الجبار:(فإن كان هو الجوهر، وعندهم أن الجوهر غير الأقانيم، لزمهم إخراج الأب و الابن والروح من الالهية)(٥)، فلما كان الجوهر غير الأقانيم، وكان الإله هو الجوهر، فينتج لدينا أن الأقانيم غير الإله، وهو ما لا يرتضيه النصارى.

٢ – **وإذا افترضنا أن الله هو الأقانيم دون الجوهر**، فيقول عبد الجبار:(فإن قالوا إن الإله هوالأقانيم دون الجوهر، لزمهم أن الجوهر القديم ليس بإله، وهذا ترك قولهم)(٦)، إذ هم يقولون إن الإله ذوثلاثة أقانيم، فلما كان الإله هوالأقانيم فقط كان الجوهر ليس إلها بدلالة هذا

(١)المصدر السابق، ص٨٢.
(٢)المصدر السابق، ص٩٧.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.

التعريف، وهذا ما لا يرتضيه النصارى.

٣ – **والقول بأن الله هو الجوهر والأقانيم معا** يرفضه عبد الجبار أيضا، فيقول:(فإن قالوا: إن الإله هو هما، لزمهم القول بأن الأب والابن والروح القدس ليس بإله، و من عبد ذلك، لم يعبد إلها، ومن كفربه، لم يكفر بالإله)(١)، لأن الإله هو الكل الأب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة أجزاء لا تأخذ حكم الكل أي الإلهية، كما أن الإله لا يقبل التجزئة بحال.

٤ – أما الاحتمال الرابع؛ **الله هو الجوهر ذو الثلاثة الأقانيم**، فيرفضه عبد الجبار، إذ (يجب أن يكون قولكم أن الإله هو الأب والابن وروح القدس غلط، لأنه هذه مضافة إلى الإله، لا أنها الإله، وهذا ترك للنصرانية، وعدول منها للكلابية*)(٢).

**فالإله** –حسب التوحيد الاعتزلي– متصف بالتنزيه العقلي، فلا صفات معان، ولا ثلاثة أقانيم باعتبار أنها كصفات المعاني الأشعرية.

## رابعا: نقد الجوهر.

وينتقد القاضي رأي الملكانية، مبينا أن القول بأن الله جوهر واحد، ثم القول بأن الجوهر غير الأقانيم هو إثبات لما ليس بجوهر قائما بنفسه، وهو مالا يصح عند النصارى، إذ الجوهر فقط عند النصارى هو الذي يقوم بنفسه(٤). وهو ما يلزمهم بإثبات جوهرين، فقولهم:(إن القديم جوهر واحد، ذو ثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم هي الجوهر، والجوهرغير الأقانيم)(٥)، يوجب عليهم (أن يقولوا: أن الأقانيم جوهر، والجوهر جوهر آخر، وهذا يوجب عليهم إثبات جوهرين، هما الإله، وفي ذلك نقض للنصرانية)(٦). ويظهر من هذا التدليل أن عبد الجبار قد وظف **دلالة البرهان بالخلف**، ليؤكد تناقض النسق العقدي النصراني مستخدما مسلمات ومفاهيم الخصم، لنقده والرد عليه.

ويوضح عبد الجبار أن القول بوجود جوهرين في الإله يطرح تساؤلات حول اتفاقهما في الفعل والإرادة واختلافهما؛ أيتفق الجوهران دوما أم يختلفان؟

---

(١)المصدر السابق.

*الكلابية، فرقة من فرق أهل السنة، تنتسب إلى ابن كلاب أحد أسلاف الأشعري، يقول بأن الله ذات وصفات وصفات معان، ولهذا فقد غمزها القاضي، إذ أنه ينفي صفات المعاني(عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ج١، ص٢١١).

(٢)المصدر السابق.

(٣)المصدر السابق.

(٤)المصدر السابق، وقارن ب: صبحي وجبر، **ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية**،ج٢، ص٢٩٣.

(٥)المصدر السابق، ص٨٢.

(٦)المصدر السابق، ص٩٨.

**الإحتمال الأول:الاتفـــاق.**

فإن قـالوا يتفقـان، فيسـأل:( فلمـا صـار أحدهمـا ذا أقـانيم دون الآخـر؟)(١)، مـع أن كليهمـا جوهر.

**ويخفي** هذا التساؤل **دلالة الإلزام**، فما يلزم الجوهر الأول، يلزم الجوهر الثاني أيضا، فلا يصـح أن ينفرد أحدهما بما لا يكون للآخر.

**الإحتمال الثاني:الاختلاف.**

أمـا (إن قـالوا: يختلفـان، لزمهم إثبـات قديمين مختلفين، جوهر أحدهمـا مخـالف لجوهـر الآخر، وهذا يضـارع قول الثنوية)(٢)، فـالاختلاف يقتضي التعدد والتثنية، وهو مـا لا يرتضيه النصارى. وبهذه الطريقة يسبر عبد الجبـار كل الاحتمـالات والتقسيمات الجزئيـة لـرأي الملكانيـة، ويبطله.

**إن أهم ما نسجله على دراسة عبد الجبار لرأي الملكانية أنـه يعتبره عصـي التحصيـل لا يمكن فهمه، وكفى بالمذهب فسادا أن يصعب تحصيله، ومع ذلك فقد درس الآراء النصرانية في الإلهيات سعيا لنقيضها، وموظفا منهجه الكلامـي بأدواتـه الإلـزام والسـبر والقيـاس، فـي فحص العلاقات المنطقية.**

**المبحث الثالث:**

## رده

## على أدلة الإلهيات النصرانية التاريخية

اتضح لدينا أن عبد الجبار كان يـرى أن العقـائد النصرانيـة لا ترجـع إلـى وحـي، ولا إلـى أخبار ثابتة عن المسيح، كما أنه ليس لها أساس من الأدلة الكلامية، ليؤكد أنها نـوع مـن الإبتـداع، ويكفي ذلك للرد عليها. وقد تبين له أن المسيح كان يقول بالتوحيد، ولم يدع أبدا أنه ابن الله، أوأنـه الله، ولذلك نجده يقدم على دراسة تـاريخ نشـأة العقـائد النصرانيـة، ليدلل علـى **تاريخيـة التحريـف وأصالة الابتداع فيها.**

---

(١)المصدر السابق.

(٢)المصدر السابق.

ويؤكد القاضي أن التغير الذي طرأ على النصرانية لم يكن مرة واحدة، بل على مراحل، ونتيجة ظروف تاريخية وثقافية مختلفة، يقول:(واعلم أن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام **لم تتغير ولم تتبدل جملة واحدة بعد واحدة، ولكن شيئا بعد شيء، وفي كل عصر، وفي كل حين، حتى تكامل تغيرها**، ومازال أهل الحق فيها يقلون، وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق)(١). ويرى أن هنالك عدة عوامل ساعدت على تكون هذه العقائد، وهي:

١ – العوامل السياسية.

٢ – العوامل الثقافيـة.

## أولا: العوامل السياسية.

يجعل عبد الجبار القول بالتثليث نتيجة ظروف سياسية وتاريخية مختلفة، نوجزها في النقاط التالية:

١ – يذكر عبد الجبار أن الإطار التاريخي الذي تكونت فيه الإلهيات النصرانية يرجع إلى عهد الروم الأوائل، حيث كان المجتمع آنذاك متكونا من أعراق اجتماعية مختلفة، وأشهرها الروم والأقليات اليهودية(٢). والروم مجتمع وثني له قوانينه وتصوراته المتميزة، ولا يتدخل في شؤون اليهود الخاصة، فكان لهؤلاء مجتمعهم ولهم قانونهم الخاص، وكان بينهم وبين الروم عهد ألايغيروا أديانهم(٣). والمسيح عليه السلام، ومن بعده أصحابه كانوا مع اليهود في مجتمعهم المنغلق، و(يقيمون صلاتهم وأعيادهم في مكان واحد، وبينهم الخلاف في شأن المسيح)(٤)، وهو مايفسر به عبد الجبار عدم تدخل الروم في شؤون المسيحيين الأوائل، إذ كانوا يرون فيها مشكلة يهودية تخص اليهود فقط، **وهذا الاختلاف الإجتماعي كان مشفوعا بتباعد الثقافتين اليهودية الكتابية والرومية الوثنية**، ويزيد هذا الاختلاف التباعد في العادات و التقاليد، كالطهارات والمحرمات من الأطعمة(٥).

٢ – وقع الاصطدام اليهودي النصراني من بداية الدعوة المسيحية، ليلحق الروم العذاب والتنكيل بأصحاب المسيح، نكالا بالدين المسيحي وبمبشره الجديد، وهو ما تؤكده الأناجيل الأربعة(٦)، فكان أتباع المسيح يشكون اليهود إلى ملوك الروم، ويبدون لهم الضعف، ويسترحمونهم، فيعرض عليهم **ملك الروم** الإندماج مع الروم (٧)، فتمسك بعض المسيحيين

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٥٢.

(٢)راجع:.Danielou,et Marrou,.Nouvelle histoire de l'eglise,t1,pp229-238

(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ ص١٥٢.

(٤)المصدر السابق، ص.١٥٢

(٥)المصدر السابق، ص.١٥٤. وراجع ما يوافق ذلك في : .Roth, Histoire des juifs, pp113-134

(٦)على سبيل المثال قصة الصلب في الأناجيل الاربعة.

(٧)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص١٥٢.

بالدين الجديد، وقبل البعض الإندماج مع الروم(١).

٣ – وتدخلت السلطة الرومية لتقضي على أتباع المسيح الذين رفضوا الاندماج الاجتماعي والثقافي والسياسي مع الروم، فطاردهم بنواحي الموصل وجزيرة العرب، وقتلهم مهنهم الكثير(٢).

و بهذا انتقلت المسيحية من حيزها اليهودي لتصير مشكلة رومية، وتعالج في الوسط الرومي، وتحكم بأحكامه.

وهذا الإندماج في نظر عبد الجبار قد انتهى بحوصلة خطيرة، فالأتقياء من أتباع المسيح قد قتلوا، وقتل علمهم معهم، ليصير الرأي والقول لغيرهم(٣).

٤ – يؤكد عبد الجبار أن هذا الخروج الطائفي لم يكن سهلا؛ فالمسيحيون لم يستطيعوا الاندماج حقا في المجتمع الرومي، إذ التقاليد غير التقاليد والثقافة غير الثقافة، والدين غير الدين، فكان الاندماج السياسي آئلا إلى الزوال، إذ أن المسيحية سيحكم عليها بالزوال بين أقوام وثنيين يخالفونهم الرأي في العقيدة والثقافة والفكر، وهو ما اقتضى مشروعا اجتهاديا لنشر المسيحية بين الروم، ويروي عبد الجبار نقلا عن كتاب افراكسس:(أن قوما من النصارى خرجوا من بيت المقدس، وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام، فدعوا الناس إلى سنة التوراة، وإلى تحريم ذبائح من ليس من أهلها، وإلى الختان وإلى إقامة السبت، وإلى تحريم الخنزير، وإلى ما حرمته التوراة، وأن ذلك شق على الأمم واستثقلوه، فاجتمع النصارى ببيت المقدس، وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليجيبونهم ويطيعونهم، فأوجب رأيهم مداخلة الأمم والترخص لهم، والانحطاط في أهوائهم، وترك مخالفتهم، والاختلاط بهم، والأكل من ذبائحهم، والتخلق بأخلاقهم، وتصويبهم فيما هم عليه)(٤). وبذلك بدأت تتكون معالم النصرانية الجديدة وإلهياتها الخاصة.

وتتوج هذه المرحلة بمشروع بولس، الذي يدخل تاريخ التشريع النصراني بمنهج تشريعي وعقدي خاص وجديد، ليقوم بتقديم النصرانية في نماذج تستسيغها الروم، فارتضى مشروع النصارى الذين سبقوه بكل أسسه، من تأويل وتساهل في أحكام الناموس، وتوفيق بين الشرائع النصرانية والعقائد الرومية، وهو ما يمكن أن نسميه بنصرانيات بولس(٥). ويقبل طَطس(٦) سعاية في اليهود، ويغزو اليهود ويكيل لهم العذاب، وقتل بعضهم وسلب أموالهم(٧)، فيكون الأمر للنصارى على اليهود، وهوماجعل للنصرانية ملمحا خاصا، ومتميزا عن المسيحية.

---

(١)المصدر السابق.

(٢)المصدر السابق وراجع، ديورانت، قصة الحضارة، ج١١ ص٢٤٥، حيث يوافق الرأي في ذلك.

(٣)المصدر السابق.

(٤)المصدر السابق، ص١٥٠. وقارن بأعمال الرسل،١٥، إذ الروايتان متفقتان في الأحداث. والذي يترجح أن افراكسس كما أشرنا إليها سابقا هي أعمال. فذلك الكتاب هو اعمال الرسل

(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ص ص١٥٠–١٥١.وراجع تشريعاته في لفصل الاخير من هذا البحث.راجع حول بولس:
Thiollier,Dictionnaire des Religions,((PAUL))

(٦)ططس(Titus)، فتح القدس سنة٧٠م، و صار إمبراطورا للروم سنة٧٦م، وتوفي سنة٨١م.(راجع حول ذلك:
Daniélou et Marrou,Nouvelle Histoire d'eglise,t1,p69,113,573.)،ويبدو أن عبدالجبار يقصد هنا فتح القدس الذي تم في سنة٧٠م، إذ تم فيها تقتيل وتشريد.

(٧)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص١٥٨.

٥ – انتهى الملك في القرن الثالث إلى **قسطنطينوس**(١)، الذي (كان ظاهره على ديانة الروم، غير أن والدته هيلانة هذه، قد غذته محبة الصلب، وعودته عادة النصارى وما يقولونه في المسيح)(٢)، فمال إلى النصرانية من الصغر، أضف إلى هذا أنه قد أصيب ببرص، والرأي عند الروم أن لا تملك الأبرص، فزاده ذلك كراهة لأهله الروم، وحبا للنصرانية، إذ أن الهوى والمصلحة قد التقيا(٣). ويزداد أمر قسطنطينيوس شدة، ويدخل في حملة تقتيل للفلاسفة والمنجمين، وأهل الدين الرومي، لتنتشر النصرانية وتسود العالم الرومي كله(٤)، ولكن هذا القضاء لم يكن جذريا، إذ أنه (**أقام ديانات الروم على حالها كما كانت**)(٥)، إذ أنه أبقى كثيرا من مظاهر الوثنية القديمة على حالها مع إعطائها ملمحا نصرانيا خاصا(٦).

٦ – يذكر عبد الجبار أن قسطنطينوس **عقد مجمعا للنصارى**، اجتمع عنده نحو **ألفين** من رؤسائهم وقرر أشياء من تسبيحة الإيمان، وكان فيهم من يخالف أولئك، ويقولون: كلمة الله مخلوقة، **وأن المسيح كلمة الله، وأن الكلمة مخلوقة وكلام الله وقوله خلق من خلقه ومنهم أريوس**، فشغبوا عليهم، وبطل ذلك التقرير(٧)، وهو ما جعل قسطنطينيوس يعقد مجمعا ثانيا للم شمل النصارى على رأي واحد، يقول عبد الجبار (اجتمع بعد ذلك **ثلثمائة و ثمانية عشر** رجلا، وعملوا تسبيحة الإيمان، فأتوا بها قسطنطينوس فأخذها وعمل عليها وأخذ الناس بها، فمن لم يقبلها قتله، حصل من كان على دين المسيح في كل مكروه، **وأخذوا بتعظيم الصليب وأكل الخنزير وديانات الروم**)(٨)، **فعبد الجبار يجعل للروم دورا خطيرا في تقرير تسبيحة الإيمان وإلهيات النصارى، وإقرار الناس عليها.**

ومازال قسطنطينوس –كما يقول عبد الجبار– في الملك **خمسين سنة يقتل كل من لم يقل بتسبيحة الإيمان، ولم يقل بربوبية المسيح**، وواصل أولاده بعده، **ينشرون الصليب والتثليث**(٩).

ويمكننا بعد هذا التحليل أن نفهم ما يقصده عبد الجبار بقوله أن(**الروم هم الأصل في الطوائف الثلاث من النصارى**)(١٠)، فهو يجعل من النصرانية مشروعا سياسيا روميا لا غير، اهتم الروم بتدعيمها ونشرها والتمكين لها، وتقرير الراجح من أقوالها وفقا لمصالحهم السياسية.

---

(١)قسطنطينوس(Constantin)، ولد سنة ٢٨٠م، صار إمبراطور روما كلها سنة ٣٢٤م توفي سنة ٣٣٧م في وقته تمت اكبر المنجزات الفكرية النصرانية وتنظيراتها العقدية
(راجع حول مجهودات الملك:Daniélou et Marrou,Nouvelle Histoire d'eglise,t1,pp117,199,214,,574)
(٢)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص١٦٠.
(٣)المصدر السابق.وراجع:أندريه إيمار وجانين أوبواييه، **تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها**، ط٢، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر،(بيروت–باريس:دار عويدات،١٩٨١)،ج٢، ص٥٦٢. حيث يوافقه في ذلك.
(٤)المصدر السابق، ص١٨٤
(٥)المصدر السابق
(٦)المصدر السابق ص ص١٦٢–١٦٤، وراجع: إيمار وأوبواييه، **تاريخ الحضارات العام –روما وإمبراطوريتها–**،ج٢، ص١٦٢–١٦٣. حيث يقره على ذلك، ويفصل فيه أكثر.
(٧)المصدر السابق، ص١٦٣.
(٨)المصدر السابق.
(٩)المصدر السابق، ص.١٥٥.وقارن ذلك بتيولي :Thiollier, **Dictionnaire Des Religion**,((Constantin))
(١٠)المصدر السابق، ص١٥٤

فانتصار النصرانية الأخير لم يتم في نظر عبد الجبار إلا بعد أن دفعت ثمنا باهضا؛ قتلا وحرقا وقضاء على معظم أصحاب المسيح، واضطهادا شديدا للنصارى دام ثلاثة قرون، ورومنة للعقائد المسيحية.

ويبدو من هذا العرض أن عبد الجبار يرى أن التغير الذي طرأ على المسيحية والمسيح قد تم على مراحل، وتحت ظروف سياسية قاسية، لتكتمل العقيدة، وتصير نصرانية بعد ثلاثة قرون، ويصير التوحيد تثليثا.

إن عبد الجبار يعتمد على معطيات تاريخية، ليؤسس نظريته في العوامل التاريخية السياسية المساعدة على تحريف الديانة النصرانية، ولم يهتم بكل المراحل الاضطهادية الأولى(١)، فأشار إلى عهد اضطهاد القرن الأول، ثم انتقل إلى عهد قسطنطينوس، دون التفات إلى العهود الإضطهادية الأخرى، كاضطهاد تراجان(٢)، أواضطهاد ديسيوس(٣)، ولا إلى اضطهاد دقلديانوس(٤)، رغم أنها جميعا عهود لاقى فيها النصارى الإضطهاد الشديد والتشريد.

والنقد المعاصر يقر بدور السياسة والروم في التمكين للنصرانية البولسية، كما يقر بالدور السياسي الذي لعبته النصرانية في التاريخ السياسي الرومي، وإمدادها بالتراث الوثني والتصورات العقدية كالأقانيم وتأليه المسيح والصلب، وغيرها(٥).

## ثانيا: العوامل الثقافية

يرجع عبد الجبار تثليث المسيحية إلى صدى وضع ثقافي- فلسفي تولد في أطار الدولة الرومية، وقد أبرز في تحليله لهذه العوامل التي كانت وراء الإلهيات النصرانية عدة خصائص يمكن أن تكون وراء القول بتلك العقائد النصرانية. وقد ذكرنا في تمهيد هذا البحث أن القرآن قد رمى النصارى بمضاهاة الذين كفروا من قبل، وأنهم في ذلك تبع للحكام. ورغم ذلك، فإننا نجد أن هذه اللفتات النقدية لم تثر اهتمام الرادين المسلمين على النصارى، إذ أن الناحية الكلامية الإتساقية هي التي كانت محل اهتمام على حساب غيرها من المداخل النقدية.

ولكن عبد الجبار لم يغفل هذا الجانب، إذ نجده يثبت مخالفة النصارى للمسيح في الأصول والفروع، ومضاهاتهم قول الذين كفروا من قبل، وأن ذلك دليل صدق نبوة محمد عليه السلام(٦).

---

(١)راجع حولها:Daniélou et Marrou,**Nouvelle Histoire d'eglise,t1**,pp112-116، وأيضا:
H.Gregoire, **les persécution dans l'Empire romain**, (Bruxelle,1951)، حيث افاض في تحليلها وعرضها.

(٢)يؤرخ لهذا الإضطهاد ب١٠٦م، حيث أوقعه تراجان(٩٨-١١٧م)، اهتم بملاحقة النصارى، حتى أخفوا الصلاة.(راجع:Daniélou et Marrou,**Nouvelle Histoire d'eglise,t1**,pp116-117)

(٣)يؤرخ لهذا الإضطهاد ب٢٤٩-٢٥٠م، أوقعه الملك ديسيوس(Dece)، تفنن في تقتيل وتعذيب النصارى، وأبعد النصارى من الدولة. راجع:المصدر السابق، ص٢١٩.

(٤) يؤرخ لهذا الإضطهاد بسنة٢٨٤م، سنة تولى الملك دقلديانوس الملك(Diocltétien)، حيث أوقع القمع على نصارى مصر الذين أرادوا التحرر، فقتل وحرق منهم الشيئ العظيم. راجع: المصدر السابق، ص ص٢٤٢-٢٤٦م.

(٥)راجع:إيمار وأوبوانيه، **تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها**،ج٢، ص٥٦٢. وجبير، **المسيحية**، ص ص١٤٧-١٥٩ حيث يقره على ذلك

(٦)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص١٩٨.

**ولذلك فالقاضي يرى أن هنالك مكونات ساهمت في نشأة العقائد النصرانية، هي:**

**١. الفلسفة اليونانية القديمة**

**٢. الوثنية القديمة**

### ١ – الفلسفة اليونانية القديمة

ذكرنا أن عبد الجبار كان يرى في التثليث قراءة تأويلية لنصوص الأناجيل، والتأويل منهج يفترض مرجعا تأويليا ترجع إليه التأويلات، وهو ما يسمح بالقول بأن المرجع التأويلي الذي تؤولت به العقائد النصرانية كان تام التكوين والتنسيق قبل اعتماد التفسير النصراني الرسمي للأناجيل على أقل تقدير. والقاضي يجعل الإلهيات النصرانية والمسيحولوجيا تأويلا للأناجيل وفق الفلسفة الرومية القديمة التي مزجت بين ثقافات مختلفة يونانية وغنوصية وفارسية وهندية وغيرها، ليصير الرأي هو التثليث(١)؛ فالقول بأن الله ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس هو استمرار للقول الرومي العقل والعاقل والمعقول شيء واحد، يقول عبد الجبار :(وهذا التثليث الذي للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من العقل والعاقل والمعقول تصير شيئا واحدا، ويقولون: هو من المثلث، وهو من فيلسوف قديم)(٢).

ورغم أن عبد الجبار يجعل العقائد النصرانية جملة امتدادا للفكر الرومي، إلا أنه لم يفصح عن هوية وعناصر هذا الفكر، فلم يوضح حقيقة هذا الفكر سوى أن الروم ينسبونه إلى فيلسوف قديم هو هرمس المثلث(٣)؛ فالتثليث هو التثليث الرومي الذي انتشر في العالم الرومي، ولا يهم من وضعه أو من نظره.

ويمكننا أن نقول أن التثليث الذي يقصده عبد الجبار هو ذلك التثليث الذي كان سائدا في العالم الرومي، فهو قضية فلسفية روحية قديمة، ولم يكن جديدا على العالم الرومي، رغم أن النصارى يرون فيها قضية دينية مسيحية، فنجد التاريخ الفلسفي يسجل عدة محاولات سبقت النصارى بالقول بالتثليث، كما سبقت إلى وضع نظريات تثليثية، ومنها محاولة أمنيوس(٤)، ومحاولة أفلوطين(٥). وهذا الأخير سافر إلى الفرس والهند، ليطلع على المذاهب الفلسفية، كالبرهمية والبوذية، وغيرها من الفلسفات الهندية والفارسية، ثم عاد إلى وطنه بفلسفة جديدة، تتلخص فيمايلي:

---

(١) راجع للمقارنة: جبير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص ص١٤٧-١٥٩.

(٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٦٩.

(٣)سبق التعريف به في الفصل الثالث، مبحث مناهجه في الرد على النصارى، مطلب المنهج التكويني.

(٤)هو أمنيوس( Amélius)، فيلسوف يوناني جاء إلى روما في نحو ٢٤٦م، وتتلمذ على أفلوطين قرابة العشرين سنة، إلى غاية٢٦٩م، حيث ارتحل بعدها، واستقر بسوريا.

راجع: Albert Rivaud, Histoire de la philosophie. des origines a la scolastique mise a jour par Albert Rivaud.2ed. t1(France:PUF.1960),p563.

(٥)أفلوطين فيلسوف يوناني توفي سنة٢٧٠م، تتلمذ في مدرسة الإسكندرية. إحدى منارات العلم والحكمة على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط(المصدر السابق، ص٥٤٢)

١. عن الخالق الأزلي الأول تولد العقل، وليس ذلك كالولادة الحقيقية، وإنما هي انبثاق.

٢. وعن هذا العقل تولدت الروح، لا كالولادة الحقيقية، وإنما هي انبثاق، والتي هي وحدة وأساس الأرواح كلها.

٣. عن هذه الثلاثة: الخالق الأزلي والعقل والروح صدر العالم، وتكون بكل ما فيه(١).

والتقارب بين تثليث النصارى وتثليث اليونان ظاهر، كما أن الإمكان التاريخي الجغرافي باد أيضا؛ فالعالم الرومي هو عالم هليني الثقافة، وتعتمد الدراسة في جامعاته على الفلسفات اليونانية، وهو ما يجعل منها لغة الثقافة والنقد والبلاغة بين المثقفين، وذلك ما يسمح لنا بأن نستنتج أن مثقفي المسيحية الأولى كانوا هليني الثقافة(٢).

ويبدو من خلال هذا العرض أن عبد الجبار قد اعتمد **المقارنة بين العقائد والمذاهب الفلسفية والإمكان التاريخي-الجغرافي**، ليصل إلى ملاحظات نقدية تكوينية، **هي أن الإلهيات النصرانية امتداد ونتيجة تكوينية للفلسفة الرومية.**

**٢ - الوثنية القديمة**

يذكر عبد الجبار أن الحيز الثقافي الرومي في العهد الأول من المسيحية كان يتكون من أخلاط ثقافية دينية مختلفة، وهي:

١. **الديانة الرسمية للدولة الرومانية**، وهي الوثنية، وهذه أخلاط من وثنيات مختلفة يونانية ومصرية وبابلية ومحلية وصابئة وهندية وغيرها.

٢. **الديانة اليهودية**، وهي ديانة منغلقة على أهلها فقط.

٣. **الديانة النصرانية**، الدين الجديد في البيئة الرومية(٣).

والديانة الرومية خليط من وثنيات مختلفة، يقول عبد الجبار عن الروم:(**وكانت ديانات الروم إذ ذاك منتشرة، وأكثرهم يعظم الكواكب، ويعتقد فيها أنها تحي وتميت، وتنفع وتضر، ولهم عندها هياكل وقرابين، ومنهم من كان على دين اليونانيين من أن هذه الكواكب حية ناطقة رازقة، وهي الأرباب، ويعتقدون صحة السحر**)(٤).

وعبد الجبار يجعل للأديان الوثنية الرومية دورا في تقرير عناصر العقائد النصرانية، يقول عن قسطنطينوس:(أقام **ديانات الكواكب على حالها كما كانت** من الصلاة إلى المشرق، وغيرها مما تقدم ذكره، فما أزال إلا عبادة الكواكب، وما زاد إلا تعظيم المسيح والقول بربوبيته، وتعظيم الصلبان. **ولم يكن هذا بالبعيد عن الروم**، لأن من اعتقد في الكواكب وهي جماد موات أنها أرباب

---

(١)المصدر السابق.

(٢)المصدر السابق.

(٣)عبد الجبار. تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٥٨، وراجع للمقارنة:(إيمار، وأوبوايه. تاريخ الحضارات العام، ج٢، ص٤٠٨)

(٤)المصدر السابق، ص١٥٠، وراجع للمقارنة:

Danielou et Marrou,**Nouvelle Histoire de l'eglise**.pp88-97. وأيضا:

R Bultman, **le christianisme primitif.dans le cadre des religions antiques**.(France Payot,1969) حيث يوافقها في ذلك.

وتنفع وتضر لم يبعد عنهم أن يقولوا في انسان حي عاقل مميز قد قيل لهم إنه كان يحي الموتى، وإنه إله، وإنه وأبوه وزوجته خلقوا الكواكب)(١)، فالقاضي يجعل القول بالتثليث وتأليه المسيح امتدادا للفكر الوثني الرومي القديم، ويوضح الدور الذي لعبته الوثنية في فهم الناس للعقائد النصرانية، وتقريب المفاهيم النصرانية في نماذج دينية رومية، كما يشير إلى أهمية الأفكار المكتسبة السابقة في فهم الأفكار الجديدة، فمن درج على شيء سيبقى عليه، فكل ثقافة تحاول أن تفهم الثقافات الأخرى بقوالبها الخاصة تقع في هذا الخطأ، وذلك لا يعدم من خطورة، إذ يطرح مشكلة الإسقاط والتقويل. ويظهر أن عبد الجبار جعل الرد يستعين بملاحظات نفسية اجتماعية حول التعلم والمعرفة ليؤسس نظرته التكوينية للإلهيات النصرانية.

ويوضح عبد الجبار أن هذا التأثر بالوثنية الرومية تم تحت الظروف الإجتماعية والدينية التالية:

١. عزوف بعض النصارى عن النصرانية ليصيروا وثنيين، ذوي ميل نصراني(٢).

٢. دخول بعض الوثنيين في الدين الجديد، دون أن يلقوا التزكية الكافية، إذ العهد عهد اضطهاد، فكان التبشير السري(٣).

٣. أدى الإضطهاد الديني الرومي إلى القضاء على كثير من أصحاب المسيح والمقربين منه، فيقوم بالتبشير أناس آخرون،وفي ظروف عصيبة من التشريد والتعذيب والمتابعة الرومية(٤).

٤. اقتضى التبشير بين الوثنيين البحث عن صيغ ثقافية مفهومة لديهم يتم بمقتضاها نشر النصرانية بين هؤلاء الأهالي(٥).

٥. أن تاريخ المجامع الكنسية يكشف عن تدخل السلطة الوثنية الرومية في معالجة القضايا الكنسية والعقدية، للفصل في شؤون فهم الإلهيات والأقانيم النصرانية، لتقرر رأي الأقلية(٦).

فالقاضي يؤكد أن التثليث لم يكن جديدا على الثقافة الدينية الرومية، بل هو إمتداد وثني يقول:(إذا تبينت الأمر وجدت النصارى ترووا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصروا)(٧). وهذه الطريقة غير معتاد عليها في الرد على النصارى، فالنهج الكلامي يراجع أدواته الاستدلالية، ليفرزطرق نقد جديدة للعقائد النصرانية، فكانت المقارنة و التكوينية، الطريقتان اللتان لم يوظفها الرد الاسلامي على النصارى قبل القاضي(٨). وتعد هذه المحاولة من أهم النظريات العلمية التي تفسر كيفية تكون الإلهيات النصرانية، وتنطلق من مفهوم التحريف القرآني،

(٢)المصدر السابق، ص١٦٢، وقارن: ديورانت، قصة الحضارة،ج١١، ص٢٥٩-٢٦٩.
(٣)المصدر السابق، ص ص١٥٦-١٥٧.
(٤)المصدر السابق، ص١٥٨.
(٥)المصدر السابق، ص ص ١٥٩-١٦٠.
(٦)المصدر السابق، ص ص١٦٢-١٦٣.
(٧)المصدر السابق، ص١٥٨.
(٨)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص ٤٠٧-٤١٠.

لتشرح بعد ذلك كيف صار التوحيد الذي أوتيه المسيح تثليثا ثلاثة أقانيم.

والنقد المعاصر تبين له أن المسيح لم يأت بدين جديد، ولا بطقس من طقوس العبادة، إذ أنه كان يرى نفسه امتدادا للديانة اليهودية، يقول جبير: إن المسيح(لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية، تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها)(١)، كما أن المعاصر للأناجيل يقر بوثنية العقائد النصرانية، إذ ان العقائد التثليثية لها جذور تاريخية عريقة في الحضارة الرومية(٢). ويكشف عن افتراق بين صورة المسيح -كما تتضح في النقد- وصورة مسيح النصارى التاريخية؛ فالإلهيات النصرانية لا يمكن اعتبارها إلا تحريفا لفكرة المسيح، وأنه لم يكن ليرضى عنه أبدا، لو نمي إلى علمه منها شيء(٣).

ويمكننا أن نلاحظ أن النقد المعاصر متفق مع عبد الجبار والرد الإسلامي على النصارى أن المسيحية التاريخية هي تحريف تاريخي لعقائد المسيح، لم تحدث إلا بعده، فالإلهيات النصرانية هي صدى لواقع اجتماعي مأسوي، ونظريات فلسفية هلينية، وأساطير شرقية حول الإلهيات ومصالح سياسية أبدت الرغبة فيها(٤).

إن رد القاضي على الإلهيات النصرانية هو نقد وتطبيق للمواقف القرآنية من النصرانية، ونخص بالذكر منها مفهوما التحريف والإعجاز، إذ كان لهما دور في تحديد كيفية الرد عليها. فاعتماد عبد الجبار وبلورته لمفهوم التحريف بلورة جديدة في ميدان الرد على إلهيات النصارى جعل الرد يهتم بالدراسة التاريخية والمقارنة والتكوينية للإلهيات، فبحث تحريفها، وكيفياته، ومصادره، وأغراضه، وظروف تكونه، وهو بذلك يسجل فتحا جديدا في الرد الإسلامي على النصارى، وهوما سماه القاضي بمنهج المخالفة للمسيح في الأصول والفروع(٥).

وأما المفهوم الثاني الذي اعتمده عبد الجبار فهو مفهوم إعجاز الموقف القرآني من العقائد النصرانية، إذ أنه جعل من الرد على الإلهيات النصرانية درسا في الإعجاز ودلائل النبوة؛ فالتناقض وعدم التناسق التاريخي والتكويني يدل على صحة المواقف القرآنية والنبوية من الإلهيات النصرانية؛ فهي إلهيات تكونت بعد المسيح، ومرت على مراحل تطورية متعاقبة، ومتأثرة بثقافات وثنية، يضاهون بها قول الذين كفروا من قبل، وكلها مواقف قرآنية، ليخلص عبد الجبار أن موقف القرآن من الإلهيات النصرانية هو مظهر من مظاهر إعجازه، ودليل من دلائل نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام.

---

(١)جبير، المسيحية نشاتها وتطورها، ص٤٨.

(٢) Rivaud, Histoire de la philosophie. des origines a la scolastique, p542.، وأيضا: Dufour, Exegése Biblique, p840.، و، تشرني، الديانة المصرية القديمة، ص ص٢٠١-٢١٥.

(٣)جبير، المسيحية نشاتها وتطورها، ص ص٤٨-٤٩.

(٤)المصدر السابق، ص٥٩.

(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص١٩٨.

إن أهم ما يميز رد عبد الجبار على الإلهيات النصرانية هو تعدد طرقه الدراسية واعتماده المقارنة والتكوينية والتاريخة النقدية في دراستها، بما لم يعرف له مثيل في القرون الأربعة الهجرية الأولى، بله القرون الثمانية الأولى-كما اتضح من الدراسات الأولية التي أجريت في هذا الميدان-(١)، وأعظم من ذلك نتائجه النقدية التي صارت معتمدة في العصر الحديث، فقد صار مسلما أن الإلهيات النصرانية هي استمرار لفكر أسطوري وثني. وهو ما يؤكد سبق عبد الجبار لكثير من النظريات النقدية في الإلهيات النصرانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١) راجع على سبيل المثال: Bouamama,polémique musulmane contre le christianisme ,pp120

الفصل الخامس

# منهج عبد الجبار

# في الرد على المسيحية والجبال النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**تعرف المسيحولوجيا في اصطلاح النصارى بأنها العلم الذي يهتم بدراسة المسائل المتعلقة بالمسيح عليه السلام**، ومن ذلك:

١. اتحاد الله بالإنسان
٢. طبيعة المسيح
٣. صلب المسيح
٤. فداء المسيح للبشرية
٥. قيامة المسيح بعد صلبه(١).

**والمسيحولوجيا النصرانية** تنبني على أربعة عناصر عقدية، وهي:

١. **الإتحاد**: أن الله اتحد بعيسى، ليصيرا مسيحا واحدا.
٢. **الصلب**: أن المسيح قد صلب من أجل البشر.
٣. **الفداء**: أن الصلب تم لكي يفدى البشر من خطاياهم.
٤. **القيامة**: أن المسيح قد قام بعد صلبه.

وهذه العقائد تشكل **المسيحولوجيا العامة** التي تجمع كل الفرق النصرانية، ثم تختلف الفرق بعد ذلك في فروع تندرج تحت هذه العناصر، لتتشكل **مسيحولوجيات الفرق النصرانية الخاصة**(٢).

ورغم **أن عبد الجبار لم يعرف المسيحولوجيا النصرانية** إلا أنه قد تناول كثيرا من المباحث التي تدرج تحتها، ولذلك سنعرض ما تناوله منها، ونقارنه، ثم نبين ردوده عليها.

---

(١) lauret et Refoule et autre, **Initiation a la pratique de la théologie**, t3;pp1-15.,
(٢)صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص ص٢٨٣-٢٨٥
(٣)المصدر السابق

# أولى
# المسيحولوجيا النصرانية

أولى عبد الجبار المسيحولوجيا اهتماما بالغا، وقد نهج في عرضها نهجا، وصفه **بأنه(يحكى من** مذاهب النصارى مواضع ، و يفصل بين ما اتفقوا عليه، و ما اختلفوا فيه، و بين ما يمكن تحصيله من مذاهبهم المتفق عليه)(١)، وهو بذلك يميز تمام التمييز بين **المسيحولوجيات الخاصة** التي تميز الفرق المختلفة، وبين **المسيحولوجيا العامة** التي يشترك جميع النصارى في القول بها، **وتناولهما بالتحليل والرد**، وهو ما يؤكد اطلاعه العميق على **عقائدهم** .

وعبد الجبار في تحليله للمسيحولوجيا، يجمع بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية، فيبحث في التبلور التاريخي للعقائد المسيحولوجية، كما يبحث في التناسق الداخلي لهذه المفاهيم والأحكام العقدية.

ويرجع عبد الجبار تاريخ النظريات المسيحولوجية إلى عهد **قسطنطنيوس بن فيلاطس**(٢) ملك الروم، حيث جمع علماء النصارى **بنيقية**(٣)، (ليعملوا تقريرا في ايمانهم، يحملون الناس عليه ، و يأخذونهم به ، فمن أبى قتلوه؛ واجتمع عنده نحو **ألفي رجل**، فقرروا تقريرا ثم رفضوه)، ثم كان بعد ذلك أن (اجتمع **ثلاثمائة رجل و ثمانية عشر رجلا**، و هم يسمونهم **الآباء**، فقرروا هذا التقرير ، وهم يسمونه **سنهودس**، فكان تقريرهم لهذه التسمية، و **هي** أصل الاصول عند جميع هذه الطوائف لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها)(٤)، ويقصد بذلك **تسبيحة الايمان** التي تضم مقاصد المسيحولوجيا كما سيأتي.

وأهم ما يمكن أن نستنتجه من هذا التحليل مايلي:

**أولا:** أن التقريرات المسيحولوجية تمت بعد مضي **ثلاثة قرون من ميلاد المسيح**، مما يشكك في قيمتها، إذ يلزم الجواب عن ماهية **العقائد المسيحولوجية في تلك** القرون الميلادية الثلاثة الأولى(٥).

---

(١)عبد الجبار، **المغني**،ج٥،ص٨١.

(٢)راجع:.Danielou et Marrou, Nouvelle Histoire de l' eglise, t1,pp112-125

(٣)راجع:المصدر السابق،ص٢٩٠،ونيقية(Nicée)، مدينة راجع:.((Nicée)),Thiollier, dictionnaire des Religinos

(٤)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١،ص٩٤.

(٥)قارن بشارل جيير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص ص١٦٥-١٨١.

**ثانيا**:أن سبب الاجتماع لإقامة السنهودس **سياسي**، إذ أن ملك الروم قسطنطينوس تولاه ، وأراد إلزام الناس رأيا بعينه، وهو ما يخبر عن تعدد المواقف المسيحولوجية، وتدخل السلطة السياسية للفصل فيها، وكأن عبد الجبار بذلك يتساءل عن نوايا هذا التدخل السياسي.

**ثالثا**:أن هذا السنهودس اجتمع فيه نحو **ألفي رجل**، فقرروا ما قرروا، ثم جاءت من بعدهم **أقلية من الناس، يبلغ عددهم ثلاثمائة رجل**، لتنسخ رأيهم، وتفرض **تسبيحة الإيمان**(١)، وهو ما يلزم به الناس(٢).

وتسبيحة الإيمان هي أصل الأصول عند النصارى كما يقول عبد الجبار، وقد ذكر نصها في كتابه تثبيت دلائل النبوة، بقوله:

> **(نؤمن بالله الآب الواحد، خالق ما يرى و ما لا يرى، و بالرب الواحد يسوع المسيح بن الله بكر أبيه، و ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء؛ الذي من أجلنا معشر الناس، و من أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، و من مريم البتول، وصار انسانا، وحملت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب وقتل أمام فيلاطس الرومي، ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.**
>
> **ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح معينة، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وجماعة واحدة قديسية سليحية، جاثليقية، و بقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين)**(٣).

فالتقرير النيقي يفصل القول في إلهيات النصارى ومسيحولوجيتهم، وقد عرضنا منها في الفصل السابق ما يخص قواعد التثليث، ويبقى أن نعرض قواعد النسق المسيحولوجي.

وتسبيحة الإيمان جمعت كل عناصر النسق المسيحولوجي العام، والتي (لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها)(٤)، وتتمثل فيما يلي:

**١.التجسد.**

**٢.الصلب.**

**٣.الفداء.**

**٤.القيامة.**

و قد كان القاضي شاعرا بأن النصارى قد اتفقوا على القول بتسبيحة الإيمان، واختلفوا

---

(١)راجع حول هذا المجمع:Danielou et Marrou, Nouvelle Histoire de l'eglise, t1,pp112-125. وأيضا:
Thiollier, dictionnaire des Religinos,((Nicée))

(٢)عرفت بأسماء مختلفة قبل قانون الإيمان، مسرة الإيمان.

(٣)عبد الجبار تثبيت دلائل النبوة،ج١ص٩٤.

(٤)المرجع السابق، ص٩٤.

في تفاصيل منها، ككيفية الإتحاد وزمنه ومكانه، وغيرذلك من المسائل الفرعية (١).

وقد تناول عبد الجبار في رده على النصارى أربع مسيحولوجيات نصرانية، وهي:

١.المسيحولوجيا النسطورية.
٢.المسيحولوجيا اليعقوبية.
٣.المسيحولوجيا الملكانية.
٤.المسيحولوجيا المارونية.

## أولا: المسيحولوجيا النسطورية(٢)

وأهم ما يميز النساطرة عن باقي الفرق النصرانية مايلي:

١- المسيح لاهوت وناسوت
٢- الاتحاد هو اتفاق اللاهوت والناسوت في الإرادة
٣- الصلب وقع على الناسوت

### ١- المسيح لاهوت وناسوت

فهم يرون أن للمسيح إله تام، فيه جزء لاهوتي وجزء آخر ناسوتي، واللاهوتي فيه من قِبَل الأب، والناسوتي من قِبل الأم مريم، ولم تنقص منه الولادة الناسوتية شيئا(٣).

### ٢- الاتحاد هو اتفاق اللاهوت والناسوت في الإرادة

والإتحاد عند النساطرة معناه اجتماع الاثنين اللاهوت والناسوت بإرادتهما، لتصيرا إرادة واحدة (٤).

### ٣- الصلب وقع على الناسوت

فالنساطرة يرون أن القتل والصلب وقعا على الناسوت من المسيح فقط، أما اللاهوت فإنه يتعالى عن ذلك(٥).

فإذا عدنا إلى عبد الجبار فإننا نجده مطلعا عليها أدق اطلاع، يقول: إن النسطورية

---

(١)المصدر السابق.
(٢)راجع بخصوص هذه الفرق النصرانية وانتشارها في العالم الإسلامي
((orthodoxe)) ((Nestoriens)), Thiollier, dictionnaire des Religinos، حيث أورد معلومات وخريطة انتشارها في العالم الإسلامي.وأيضا:
Louis Gardet.et M M Anawati,Introduction a la theologie musulmane, pp 191 - 238
(٣)صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٣٠٥.
(٤)المصدر السابق، ص٢١٤
(٥)المصدر السابق

تقول:(في المسيح إنه مركب من نوعين وأقنومين وطبيعيين، من إله ومن انسان، وأن الولادة والقتل إنما وقعتا بالإنسان، وهو الذي يسمونه الناسوت)(١)، و(المسيح عندهم على الحقيقة جوهران أقنومان، جوهر قديم لم يزل و هو الكلمة، التي هي أحد الأقانيم الثلاثة، وجوهر محدث كان بعد أن لم يكن، وهو يسوع المولود من مريم،[...]، والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته)(٢). وهوما يؤكد اطلاعه العميق على عقائد النساطرة في عصره.

## ثانيا: المسيحولوجيا اليعقوبية

وثاني أهم فرقة نصرانية اليعقوبية، نسبة إلى يعقوب البردعي(٣)، ولها تسمية أخرى هي المونوفيزية(٤).

وتتميز اليعقوبية عن باقي الفرق النصرانية بالمعتقدات التالية:

١- المسيح طبيعة واحدة
٢- الاتحاد هو امتزاج اللاهوت بالناسوت
٣- الصلب وقع على الجوهر الجامع

### ١- المسيح طبيعة واحدة

تعتقد اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، مكون من جوهرين؛ جوهر الإله القديم، و جوهر الإنسان، اتحدا، فصارا جوهرا واحدا، وأن الصلب وقع على الجوهر الواحد، الناتج عن الإله والإنسان(٥).

### ٢- الاتحاد هو امتزاج اللاهوت بالناسوت

واليعقوبية تعتقد أن اتحاد الأب بالإنسان معناه امتزاج ماهوي بين الجوهرين الإلهي والناسوتي، فصارا جوهرا واحدا وحقيقة واحدة وإرادة واحدة وذاتا واحدة(٦).

### ٣- الصلب وقع على الجوهر الجامع

أما الصلب عند اليعقوبية، فوقع على الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين، إذ هو المسيح الجامع(٧).

---

(١)عبد الجبار، المغني،ج٥،ص٨٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣)راجع:Danielou et ;Marrou, Nouvelle Histoire de l' eglise, t1,p414، وأيضا:
Thiollier, dictionnaire des Religinos,((Jakobites))
(٤)المصدر السابق
(٥)صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٣٢٧.
(٦)المصدر السابق، ص٣١٦.
(٧)المصدر السابق، ص ص٣٢٠-٣٢٧ وأيضا راجع:Danielou et ;Marrou, Nouvelle Histoire de l' eglise, t1,p414

و اليعقوبية عند عبد الجبار ترى أن (المسيح جوهر واحد قديم من جهة، محدث من جهة، مولود من جهة، مقتول مصلوب في جهة، غير مقتول مصلوب من جهة)(١)، وتقول أن (المسيح جوهر واحد، إلا أنه من جوهرين؛ أحدهما **جوهر الإله** القديم، والآخر **جوهر الإنسان**، اتحدا، فصارا جوهرا واحدا)(٢)، و(أن الصلب والقتل وقعا على الجوهر الواحد، الكائن من الجوهريين اللذين هما الإله والإنسان، وهو المسيح على الحقيقة؛ وزعم أكثر اليعقوبية، وهو الإله، وبه حلت الآلام)(٣). ويبين عبد الجبار أن هذا الرأي لا يقول به كل اليعاقبة؛ إذ يحكى عن بعضهم أنه (قال: إن المسيح جوهر واحد قديم من جهة، محدث من جهة، مولود من جهة، مقتول مصلوب في جهة، غير مقتول مصلوب من جهة)(٤)، وهو ما يجعل لليعاقبة رأيين مسيحولوجيين، وهما:

رأي أول لأكثرية اليعاقبة، مفاده أن المسيح جوهر واحد من جوهر الإله وجوهر الإنسان معا.

وراي ثان، لأقلية من اليعاقبة، يؤكد أن المسيح جوهر واحد قديم من جهة، محدث من جهة أخرى.

قد تفسر لنا هذه المنطلقات العقدية سبب تلقي اليعقوبية لأشد المعارضة من الفكر الإسلامي، إذ أنها أجازت اتحاد الذات الإلهية بغيرها من الذوات، وهو الأمر الذي لايقبله التوحيد الاسلامي، وما بالك بالتوحيد الإعتزالي(٥).

## ثالثا:المسيحولوجيا الملكانية

وثالث المسيحولوجيات الشهيرة المسيحولوجيا الملكانية، وتسمى الملكية والملكانية، نسبة إلى ملك الروم، إثر انفصالها عن باقي الفرق النصرانية في المجمع المسكوني الخلقيدوني الذي انعقد سنة ٤٥١م(٦).

وأهم ما يميز الملكانية عن باقي الفرق النصرانية المعتقدات التالية:

**١- المسيح طبيعة واحدة**

**٢- الاتحاد هو اتفاق اللاهوت والناسوت في الإرادة**

**٣- الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا**

---

(١)عبد الجبار،المغني،ج٥ص٨٣.
(٢)المصدر السابق،ص٨٤.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٣٦٩.
(٦)راجع: Thiollier, dictionnaire des Religinos,((Melkites))

١- المسيح طبيعة واحدة

فالمسيح عند الملكانية**إله وإنسان، ولد من جوهر أبيه الإله،وصارت إرادتهما واحدة، وأن المصلوب هو هذا الجوهر الجامع، وهوأقنوم واحد**(١).

٢- الاتحاد هو اتفاق اللاهوت والناسوت في الإرادة

والملكانية يقصدون **بالإتحاد أن إرادة اللاهوت وإرادة الناسوت صارتا واحدة**(٢)؛ فالاتحاد توافق في الإرادة لاغير.

٣- الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا

والملكانية **تقر بالصلب للمسيح، وترى أنه وقع على الإله بكماله**(٣).

وعبد الجبار بتحليلاته النقدية يكشف عن اطلاع عميق على المسيحولوجيا الملكانية، **ويحلل معتقدهم** قائلا: ومسيح الملكانية هو(إله حق من إله حق جوهر أبيه، وأن القتل و الصلب **و الولادة وقعت عليه** بكماله)(٤).

ويبدو من المقارنة أن الملكانية هي أقرب الفرق إلى النساطرة، فلا يعدو أن يكون **الخلاف بينهما، في أن** يكون المسيح أقنومين لهما إرادة واحدة -كما ترى النساطرة- ، وأقنوما واحدا عند الملكانية، وأن المصلوب هو الإنسان فقط -كما يرى النساطرة-، والمسيح بكماله - كما ترى الملكانية-.

## رابعا: المسيحولوجيا المارونية

وما يميز المارونية عن باقي الفرق النصرانية مايلي:

**١- المسيح طبيعتان**

**٢- الاتحاد هو توافق اللاهوت والناسوت في الإرادة**

**٣- الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا**

١- المسيح طبيعتان

فالمارونية يرون أن **المسيح طبيعتان، إذ هو جوهرالإله يتحد بجوهرالإنسان ويداخله في أوقات فعله الآيات، ويفارقه في سائر الأوقات**(٥).

---

(١)صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٢٨٣.

(٢)المصدر السابق، ص ص٢٨٥-٢٨٥

(٣)المصدر السابق.

(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص٩٦.

(٥) لجم:((Maronites)) Thiollier, dictionnaire des Religions.

٢- الاتحاد هو توافق اللاهوت والناسوت في الإرادة
أن صار الجوهران جوهر الإنسان وجوهر الإله بمشيئة واحدة.

٣- الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا
والمارونية يرون أن الصلب وقع على الإله، كما وقع عليه القتل(١).

ويظهر جليا تقارب هذه المسيحولوجيا مع المسيحولوجيا الملكانية، إذ أنها لا تكاد تتميز عنها، لولا قولهم بأن الإله يداخل المسيح في أوقات فعله الآيات، وتفارقه في سائر الأوقات.

وقد اهتم بعرض عقائدها عبد الجبار، فقال: (من أصناف النصارى طبقة، يقال لها المارونية، قالت في المسيح:إنه جوهران أقنوم واحد ، بمعنى أنه مشيئة واحدة، وأن الإله صلب في الحقيقة من أجلنا ليخلصنا)(٢). كما يذكر أن منهم من قولهم:(أن الكلمة كانت تداخل المسيح في أوقات فعله للآيات وتفارقه في سائر الأفعال، ومن متقدميهم من زعم أن الكلمة عند الإتحاد مرت في بطن مريم كما يمر السهم في الهواء والماء في الميزان)(٣).

إن المسيحولوجيات كثيرة(٤)، والتمييز بينها وبين الأربعة السابقة لا يبين، إذ مرد الإفتراق إلى اعتبارات ثانوية، و مسائل جزئية. وقد خص القاضي عبد الجبار بعضها بالذكر من غير ذكر مدعيها، مما جعل مهمة البحث عن صاحبها وواضعها صعبة للغاية، فذكر منها:

١.(حكي عن بعض من تقدم منهم، أن الله واحد، وسماه أبا، وقال في المسيح: إنه كلمة الله وابنه على طريق الإصطفاء، و هو مخلوق، خلق قبل العالم، و جعل خلق الأشياء به، وسماه لذلك الها)(٥).

٢.( وزعم أن المسيح اتحد بانسان من مريم، وأنه صلب، وزعم أن الله روح مخلوقة أكرم من سائر الأرواح، وأنها واسطة بين الأب والإبن، يؤدي إليه الوحي من الأب، وزعم أن المسيح ابتدا جوهرا لطيفا روحانيا خالصا)(٦).

٣.( وفيهم من زعم في المسيح أنه ابتدا من مريم ابتداء، وأنه نبي صالح، شرفه الله، وكرمه لطاعته، وسماه ابنا على طريق التبني، لا على طريق الولادة)(٧). وقد يقصد الآريوسية.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)عبد الجبار ،المغني،ج٥ ص٨٥.
(٣)المصدر السابق.
(٤)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٣٦٠-٣٦٩.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.
(٧)المصدر السابق، ص٨٠.

٤.( **ومنهم من جعل له روحين**، أحدهما محدث، وهو روح الناسونية يشبه أرواح الناس، وروح لاهوتي قديمة جزء من الله، صار في البدن)(١).

٥.( **وآخرون** جعلوا الروح الذي في المسيح الله لا الجزء، لكن فريقا منهم **يجعل في** البدن على كون الشيء في الشيء، وفريقا: التدبير لا على الإحاطة)(٢).

٦.( **وفيهم من يقول**: ليصل جزء من الله تعالى، ويصل جزء آخر)(٣).

وهذه العروض الوجيزة تجعل من العسير معرفة الفرقة المقصودة، إذ الإيعاز إلى **المجهول** يجعل الأمر صعب التحقيق، هذه المذاهب مندثرة، أوأن القائلين بها ينضوون تحت لواء واحدة من الفرق النصرانية المشهورة.

ومن خلال هذا السياق ندرك مدى حرص القاضي عبد الجبار على عرض عقائد النصارى المزمع الرد عليها. ولا يخفى أن الاهتمام قد أولي للفرق النصرانية الأكثر انتشارا **في العالم** آنذاك، مما يجعل **للرد وظيفة اجتماعية واقعية إضافة الى وظيفته المعرفية.**

ونلفت الانتباه إلى أن عبد الجباريميز بين المواقف الرسمية المعتمدة من الكنائس **المختلفة** وبين التصورات الشعبية لتلك المعتقدات، فمع ذكره للمقررات المعتمدة أوضح أن(أفواج النصارى يعتقدون أن الله اختار مريم لنفسه و لولده ، ويتحظاها كما يختار الرجل المرأة ، ويتحظاها لشهوته لها)(١). وهذه المعتقدات الشعبية عادة ما تخالف تلك المعتمدة، إذ لم يهذبها العقل والكلام ولا الأدب، مما يجعلها تتميز بالإنسانية والوحشية.

**وبعد هذا**،لا نستطيع إلا أن نقول إن عبد الجبار كان على علم بدقيق مسائل المسيحولوجيا، وإذا قارنا عروضه بجدول غينو السابق(بيان رقم٢)، فإنه لا يمكننا إلا أن نسلم بذلك، وهو ما يدفع عنه رأي غينو أنه لم يكن على علم حقيقي بالمسيحيات النصرانية، وأما مايراه من عدم فهمه العقيدة النصرانيةعلى حقيقتها، فقد ذكرنا مقالة عبد الجبار السابقة:أن عقيدة النصارى لاتكاد تتحصل، إذ هي بأنساقها ومركباته عسيرة الفهم، فصعوبتها من ذاتها، ومن دلالتها العقدية. وكل هذا **يؤكد إطلاع عبد الجبار على** عقيدة النصارى، وعن **حيرته في تعقل** معناها.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، وراجع حول المسيحيات:.Thiollier, **dictionnaire des Religions**,((Christ)) et ((christianisme))
(٣)المصدر السابق، ص٨٥.
(٤)عبد الجبار تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١٤٨.

وعبد الجبار في رده على مسيحولوجيات النصارى اهتم بالمشهور من مذاهبهم دون غيرها، واهتم **بالتجسد والصلب، دون أن يعرض للفداء والقيامة بالنقد؛** ويبدو أن ذلك في رأيه **أنه يمكن إرجاع وإدراج الفداء والقيامة تحت الصلب والإتحاد، فكان النقد لهذين نقدا للقيامة** والفداء.

**المبحث الثاني:**

# رده
# على عقيدة التجسد

يعد التجسد من أعظم الأصول المسيحولوجية، ذلك أنه يرتفع بالانسان ليجعل منه الها، وينزل بالإله ليتحد بالإنسان. والنصارى(قد اتفقوا على القول به، و قالوا إنه تعالى اتحد بالمسيح فحصل للمسيح طبيعتان طبيعة ناسونية، وأخرى لاهوتية)(١)، وقد يقولون تجسد، إذ أن الاتحاد و التجسد لهما نفس الدلالة.

ورد عبد الجبار على التجسد اهتم بمطلبين، وهما:

**١ – رده على أدلة التجسد النقلية**

**٢ – رده على أدلة التجسد الكلامية**

---

(١)عبد الجبار شرح الأصول الخمسة،ج١،ص٢١١.

## المطلب الأول: رده على أدلة التجسد النقلية

رد عبد الجبار على الاستدلالات النقلية التي استدل بها النصارى على التجسد، وقد تبين له أنهم يستدلون عليه بالقرآن والكتاب المقدس، فخص كلاهما بالنقد.

### أولا: الرد على التأويل النصراني للقرآن

تناول القاضي آيات من القرآن استدل بها النصارى على مسيحولوجياتهم، وخصها ببحث، ولعل أهمها هي الثلاثة التالية:

١. فقالوا في قوله عز و جل:﴿ **وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾(١):(لا يقسم الإله بنفسه وولده)(٢)، يجعلون ذلك دليلا، فالوالد هو الله، والمولود هو الإبن المسيح، كأنهم يدللون على إلهية المسيح، ونبوته، وأقنوميته كما يعتقدون(٣).

٢. وقالوا في قوله تعالى:﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾(٤) إنه كقولنا الله واحد ثلاثة أقانيم جوهر واحد(٥).

ويرد عبد الجبار على ذلك فيقول:

> و(**هذا غلط على النصارى**، وليس قولهم في التوحيد من قول المسلمين بسبيل، **وإنما يقول ذلك من الروم المخالطة والفرار من فحش المقالة** ، لانّ الله عند المسلمين هو الرحمن، وهو الرحيم، وهكذا العالم القادر، وهو ذات واحدة لها صفات كثيرة وأسماء كثيرة، وعند النصارى أن الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابنا مولودا، ولا الإبن المولود أبا والدا، وكذا روح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى)(٦).

٣. وقالوا في قوله عزوجل:﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾(٧):( فهذا الذي نقوله نحن إنه من جوهر أبيه، ولا نريد بقولنا منه أنه بعضه، ولكن من جنسه ومثله)(٨).

وهذه التفسيرات النصرانية للقرآن الكريم هي محاولات تأويلية بغية تبرير تصوراتهم المسيحولوجية، وهومايعيب عليه القاضي **سوء المقصد والتفسير**، إذ أنهم يقصدون إلى

---

(١)سورة البلد،آية٣.
(٢)عبد الجبار،**تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص١١٦.
(٣) قارن ب:القرافي،**الأجوبة الفاخرة**، ص ص٣٤-٣٨.
(٤)سورة النمل، آية٣٠.
(٥)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص٩٣.
(٦)المصدر السابق.
(٧)سورة النساء، آية١٧١.
(٨)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص١١٦

أقولهم، وأنبياء قد عرفت مذاهبهم ومقاصدهم، فيتصرفون في أقوالهم بالتأويلات(١).

وهذا النقد النظري للتأويل النصراني يكشف عن أساسيات النسق التفسيري عند القاضي عبد الجبار، الذي يقرر أن **التفسير لا يكون إلا بما عرف عن الشخص، وما يقره المحكم من النص، فهو الذي يؤول وفقه محتمل الألفاظ**، وكأنه بذلك يقرر مفتاحا لقراءة الكتاب المقدس، ويتسع مجال علم الأصول ليقول قوله في نقد الكتاب المقدس.

## ثانيا: نقد الأدلة الكتابية

يبدو من خلال تتبع ردود عبد الجبار على المسيحولوجيات النصرانية أنه اعتمد على ثلاثة مواقف متباينة من استدلالات النصارى بالكتاب المقدس،وهي:

١ - **رفض الاستدلال بالكتاب المقدس**

٢ - **تأويل الآيات المتشابهة من الكتاب المقدس**

٣ - **الاستدلال بالكتاب المقدس على عدم إلهية المسيح**

### ١ - رفض الاستدلال بالكتاب المقدس

اتضح لدينا من خلال تحليل ردود القاضي على مصادر الدين النصراني أنه يرفض الاستدلال بالأناجيل، فقد تبين له أنها لم تحظ بتوثيق كاف، حتى يحتج بها(٢). ونجد هذا الحكم حاضرا في مناقشاته لأدلة التجسد الكتابية، فما أن يستعرض المسيحولوجيا العامة حتى يردد قائلا:(وأما **يتعلون به** من أن في الأنجيل، "إني ذاهب إلى أبي وأبيكم"(٣)، واعتمادهم في ذلك في أنه تسمى ابنا له، وتسمى تعالى أبا، وأن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا في صلاتهم:"**ياأباتا الذي في السماء ، تقدس اسمك**"(٤)، وأنه قال لداوود:"**يولد لك غلام يسمى لي ابنا، و اسمى له أبا**"(٥)، قالوا: فيجب أن يكون ذلك حكما من الله أمرنا به، و لله تعالى أن يتعبد بذلك)(٦).

فيجيب القاضي: (إن لم يكن ذلك الاسم شائعا في اللغة كقولكم في الأسماء الشرعية فغلط، ذلك أن ما ذكروه يجري مجرى أخبار الآحاد في أنا لا نعلم صحته، **فلا يجوز أن ندين به و نقطع بصحته**)(٧).

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٦.
(٢)المصدر السابق، ص١٥٤
(٣)يوحنا، إنجيل يوحنا،١٧/٢٠.
(٤)متى، إنجيل متى،٦/٩-١٤.
(٥)التوراة، صموئيل،٢
(٦)عبد الجبار، المغني، ج٥، ص ص١٠٩-١١٠. نشير أننا أدخلنا الترقيم والتقسيم على هذا النص، ليزداد وضوحا.
(٧)المصدر السابق

ومن خلال هذا التعليق يتضح موقف عبد الجبار الحازم في رفض كل استدلال على التجسد وألوهية المسيح بالأناجيل، و التي هي **أخبار آحاد**، وهي ما لا تفيد عقيدة بحال، فهو يطبق على الأناجيل **معايير الصحة في الأخبار** كما تبلورت في علوم الحديث، و يرفضها على أساس ذلك.

ويذكر القاضي في مقام آخر، أن النصارى(قالوا: إن المسيح قال :'ابن البشر هو رب السبت'(١)؛ وقال أيضا: 'أنا بأبي، وأبي بي، ولا يعرف أحدا الأب إلا الابن ، و الابن لا يعرفه إلا الاب، وإنك إله بي، وأنا بك'(٢)؛ وقال:'أنا في أبي، وأبي في'(٣)،وقال: أنا قبل إبراهيم، وقد رأيت إبراهيم، وما رآني، فقالت له اليهود: كذبت، كيف تكون قبل إبراهيم وأنت من أبناء ثلاثين سنة، فقال: أنا عجينة طينة آدم، وبحضرتي خلق، وأنا أجيئ وأذهب وأجيء،[...]، قالوا: وهذا القول عندنا للمسيح في الحقيقة، ولو كان قولا للإله الذي ليس المسيح، لما كان له معنى)(٤). فيرد قائلا:(فهذا برحمة الله كما ترى وتسمع، فلولا أن رأينا قوما عقلاء يقولون هذا، وسمعته منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه، فنطقوا به بعد الجهد، وأخرجوه من غوامض أسرارهم لما صدق الناس أن في الدنيا من قال هذا، أونطق به)(٥).

إن رفض القاضي للنصوص المثبتة لألوهية المسيح وتجسده قاطع جازم، بل يجعل من العجب القول بالعكس من ذلك، بله ذلك عجب بين عامة الناس وخاصتهم. ولا يخفى أنه يجعل أساس رفض هذه النصوص معارضتها للمعقول(٦)، وما بالك، وأنها تدهش العامة من الناس بغرابتها.

وما يرفضه القاضي في آيات التجسد أنواتضمنت معان لاتكاد تتحصل(٧)، ومن ذلك أنها لا تفرق بين الربوبية والإنسانية، ولاتعرف الله و قواعد صفاته، وتجهل الأصول الخمسة التي مدارها على العقل(٨).

### ٢ – تأويل الآيات المتشابهة

أول إجراء يلفتنا في نقد عبد الجبارللإلهيات أنه افترض **وجود محكم و متشابه في** الكتاب المقدس، يقول:( **فلا شك أن في هذه الكتب من المجازات ما يجري مجرى المتشابه في القرآن**)(٩)، فمن أراد أن يفسر هذه الأناجيل لزمه ( أن يكون عالما بما يصح على الله

---

(١)إنجيل لوقا،فقرة٦.
(٢)إنجيل لوقا،فقرة١٠.
(٣)لم أجد هذا اللفظ، وهي تشبه آية: يوحنا، إنجيل يوحنا،١٧/٢٠، ولوقا، إنجيل لوقا،١٠.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٠٣.
(٥)المصدر السابق، ص١٠٥.
(٦)عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج١، ص٢٠١.
(٧)المصدر السابق.
(٨)عبد الجبار، المغني،ج١٢،ص٢٠١.
(٩)المصدر السابق،ج٥،ص١١١.

تعالى، وما لا يصح من جهة العقل. ويكون عالما بحقيقة اللغتين و مجازهما)(١)، ذلك أن معرفة خفايا النص لن يتأتى إلا بمعرفة الحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه، ولن يتأتى ذلك إلا بمعرفة كيفية التأويل و حمل الحقيقة على المجاز. وتعتمد تفرقة القاضي بين هذه الثنائيات على العقل، فهو المقرر الوحيد للحقيقة والمجاز. ونأسف أنه لم يترك لنا سوى بضع أمثلة، ومن ذلك مايلي:

١. استدلت النصارى على ابنية عيسى لله بأقواله، فقالوا:(قد جاء عنه أنه كان يقول في الله، أنه أبوه، ويقول:'أرسلني أبي، وقال لي أبي'، ومثل هذا كثير، فما عندكم؟)(٢)، فيجيب عبد الجبار ويقول:(إن كان قد قالوا إنه قال لنا:'أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وربي وربكم'(٣)، فلم يجعل لنفسه مزية عليهم، فإن أوجب هذا القول أن يكون إلها وربا ومعبودا، وجب أن يكونوا هم كذلك)(٤)، فالنصارى يجعلون تأليه المسيح نتيجة نقلية كتابية، إذ الوصف بالابن ينتج عنه إثبات الابنية للمسيح **حقيقة**، والرأي عند عبد الجبار أن ذلك **مجاز**، ولو كان حقيقة، **للزم أن نثبت نفس الوصف لكل شخص أطلق عليه هذا الوصف في الكتاب المقدس، وهو عين مايرفضه النصارى**(٥).

٢. ومن ذلك أنهم قالوا:(قد حكى متى عنه في إنجيله أنه قال لتلاميذه: "سيروا في الأرض، وعمدوا العباد باسم الأب والابن وروح القدس"(٦)، وحكوا عنه أنه قال: أنا كنت قبل إبراهيم(٧)، وما أشبه ذلك)(٨).

فيجيب القاضي: ( **ليس المسيح أول من كذب عليه**)(٩).

وما **يرفضه القاضي من خلال هذا التحليل هو تخصيص المسيح بالبنوة دون غيره، مع أن البنوة قد أطلقت على كثيرين في الكتاب المقدس**، فقد أطلقت على بني إسرائيل، وقد علم المسيح الحواريين أن يدعوا ربهم:(يأبانا الذي في السماء تقدس اسمك)(١٠)، فجعل الأبوة شاملة لكل الناس .

ويقول عبد الجبار:(قد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه، أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة وفي كتب الأنبياء محتملة، يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة)(١١)، إذ أنهم يقومون بعمليات تأويلية واسعة التطبيق لنصوص الكتاب المقدس،

---

(١)المصدر السابق.
(٢)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج٢،ص ص١١٩-١٢٠.
(٣)يوحنا، إنجيل يوحنا١٧/٢٠.
(٤)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١، ص ص١١٩-١٢٠
(٥)متى، إنجيل متى، ٢٢/٤١-٤٦، التوراة، صموئيل٢،٧،٤، مزمور،٢،٧.
(٦)متى، إنجيل متى، ٢٨/١٩.
(٧)التوراة، سفر الأمثال،٨/٢٢-٢٣.
(٨)المصدر السابق،ج١،ص١١٤.
(٩)المصدر السابق.
(١٠)عبد الجبار ،**المغني**،ج٥،ص١٠٩.والآية من لوقا، إنجيل لوقا،١١.
(١١)عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**،ج١،ص١١٥.

تأويلا للفظه و إثباتا للتجسد و ألوهية المسيح، وليس الأمر قاصرا على الإنجيل فقط، بل تعدى ذلك ليشمل التوراة، فهم (يقولون: إنما أراد إبراهيم و موسى و هارون و سائر الأنبياء من أن الله ثالث ثلاثة أن الرب جماعة، وأن الله يصعد وينزل، ويولد ويقتل)(١)، ويقصدون بذلك إثبات التثليث و ألوهية المسيح.

و هذا التفسير يجد أساسا له في النسق التفسيري النصراني، إذ تعتمد على الفعل التأويلي لكل نصوص الكتاب المقدس، بما يتفق والقول بالتثليث، فالنص **يجد معناه مع القارىء** بأطره المعرفية، فيضفي أبعادا على الدلالة، ولايهم إن كانت حقيقة أو مجازا، إذ أن حدود الفصل بين القارىء و النص قد تقل شيئا فشيئا، ليصير النص خاليا من كل المعنى حاملا لكل معنى، ولا يخفى ما لهذا الرأي من خطورة كما يذكر عبد الجبار، إذ أنه لا يفسر النص، بل يسقط مفاهيم على النص(٢).

ويؤكد عبد الجبار أن هذا المنهج لا يرتضيه كل النصارى، فمنهم قوم يرفضون هذه التأويلات حيث(**استبصروا واسلموا، و تتبعوا المواضع والألفاظ التي تدعيها النصارى على المسيح**، و قالوا لهم : أعلم المسيح قال ذلك، ولو قاله لما ضاق مجازه وتأويله،فقولهم إنه قال:(ابن البشر رب السبت)(٣)، و(إني قبل ابراهيم)(٤)، و(إني بأبي، وأبي بي)(٥)، و ما أشبه ذلك، **فقالوا لهم**: في التوراة أن موسى اله فرعون واله هارون، و أن هارون رسول موسى الى فرعون، وأن يوسف قال للمصريين : إن العزيز ربهم و ذكروا لهم عن إبراهيم و لوط و داوود و سليمان و عن غيرهم من الانبياء شيئا كثيرا)(٦). ويقصد بقوله (**استبصروا واسلموا**) **الحسن بن أيوب وعلي بن ربن الطبري**، وغيرهم من النصارى الذين أسلموا، وكتبوا في الرد على النصارى؛ فقد كتب الحسن في ذلك يقول:

> (إذا نظر في الإنجيل و كتب بولص و غيره ممن يحتج به النصارى وجد نحوا من عشرين الف آية، مما فيه اسم المسيح، و كلها تنطق بعبودية المسيح ، و أنه مبعوث مربوب، و أن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات، قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم ، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد ، و تركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة السيرة التي يوجد بها من التأويل خلاف ما يتأولونه في الواضحات الكثيرة، التي قد باتت بغير تأويل، لانه يجب أن يقاس

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص ص١١٤-١١٥.
(٣)لوقا،إنجيل لوقا،فقرة٦.
(٤)لوقا،إنجيل لوقا،فقرة١٠.
(٥)لوقا،إنجيل لوقا،فقرة١٠.
(٦)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٧.

الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر)(١).

ولذا، فالعقيدة لا تؤخذ عند عبد الجبار إلا بالعقل، وكل تفسير لنصوصها لابد من إعمال العقل فيه، إذ أن (من عول منهم في هذا البيان على اتباع السلف والرجوع إلى الكتب و تقليد التلامذة الأربعة(٢)، فقوله ساقط، لأن الكلام في صفة القدير عز وجل، وما يصح عليه، و ما لا يصح، لا يجوز أن يرجع فيه إلى السمع، و لو ثبت ما ادعوه سمعا، لوجب أن تتأول على وقف ما يقتضيه)(٣).

ويمكننا أن نستخلص أن تعامل عبد الجبار مع بعض النصوص النصرانية لا يكاد يفرق عن تعامله مع نصوص الوحي القرآني، وثقافته التفسيرية المستقاة من الدرس القرآني والدرس الأصولي بادية للعيان، إذ أنه **وظف نفس الأدوات التحليلية في نقد التفسير،فالنص لا يمكن الوغول في خفاياه، ما لم تتحدد وتنضبط تلك القراءة بقواعد من المنطق وأوائل العقول؛ فهو المقرر للحقيقة والمجازفيه، والموضح لكيفيات التأويل.**

**٣ - الاستدلال بالكتاب المقدس على عدم الإلهية**

رغم الإعتراف السابق بأن الأناجيل لا يمكن اعتمادها ولا الوثوق بها، إلا أننا نسجل محاولات إسلامية للإستدلال بها، ولا نعجب من ذلك والمنهج الكلامي آنذاك قد اعتمد **طريقة مسلمات الخصم**، كتقنية لإفحامه، **ورب خصم لا يجادلك إلا بسلاحك.**

ولما كان المسيح عند عبد الجبار :(عبد مربوب ، مدبر مصنوع، كما شهد عليهم أنهم كذلك، وأنه مثلهم في العبودية والضعف والحاجة)(٤)، فإنه انبرى يبحث في الأناجيل عن كل ما يؤيد هذا الموقف، ويطعن في العقيدة النصرانية الرسمية.

ويسجل عبد الجبار عدة نصوص إنجيلية تؤيد ما يذهب إليه من مواقف، وتبين أن المسيح بشر، لايميزه عن البشر شيء، إلا أنه نبي، ومنها مايلي:

١.(أما في الأصول، فقد قال لهم :"**الله ربي وربكم، وإلهي وإلهكم**"(٥)، و يشهد على نفسه أنه مربوب مدبر مصنوع كما شهد عليهم أنهم كذلك، وأنه مثلهم في العبودية والضعف والحاجة)(٦).

---

(١)ابن تيمية،الجواب الصحيح لمن بدل الدين المسيح،ج٢،ص٣٦١.
(٢)يقصد واضعي الأناجيل الأربعة.
(٣)عبد الجبار ، المغني،ج٥، ص١٤٢.
(٤)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١١١..
(٥)يوحنا،انجيل يوحنا،٢٠/١٧.،
(٦)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١١.

٢. (ذكر يوحنا في إنجيله أن يسوع المسيح قال في دعائه:" **إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح**"(١)، **فانظر كيف يخلص التوحيد ويدعي النبوة**)(٢).

٣. ( وذكر أيضا أنه قال :"**إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي، ولكن بمشيئة من أرسلني**")(٣).

٤. ويروى عنه عليه السلام أنه قال:("**إن الكلام الذي تسمعونه مني ليس هو لي، و لكن من الذي أرسلني، والويل لي إن قلت شيئا من تلقاء نفسي**")(٤).

٥. وقال المسيح :(إن الله الواحد رب كل شيء أرسل ابن البشر إلى جميع العالم لينقلوا إلى الحق )(٥).

فعبد الجبار قرأ الأناجيل قراءة **تأويلية اعتزالية، مفترضا النسق الكلامي الاعتزالي مرجعا تأويليا، يرجع إليه في حل المشكلات التفسيرية العقدية**، فأقر المحكم منها عقلا ونقلا، **وجعل هذه الآيات محكمة**، إذ تؤيدها العقول، وكلها قرائن دالة على توحيد المسيح ، وأنه **كان دوما يذكر أنه** عبد مخلوق، أرسله الله إليهم.

والخلاصة **أن** عبد الجبار يرى أن صورة المسيح الإنجيلية مغايرة لصورته عند **النصارى**؛ فهو:

> ( إذا ذكر البعث و القيامة و الحساب، يكون فيه البكاء و القلق و الجزع ما لا يكون من أحد ، ويكون من صلاته و صيامه و عبادته و خشوعه ما لا يكون من حد في زمانه، و مثل هذا من أقواله و أفعاله **أكثر من أن يحصى**، وهومعهم في أناجيلهم، حتى لقد أحصى اهل المعرفة و العلم ، فوجودوا المسيح عليه السلام له من الإقرار على نفسه بالعبودية و الضعف و الحاجة و الفقر و الطاعة، و لله عزوجل بالغنى و الربوبية، ما لم يكادوا يجدونه لأحد من الأنبياء والصالحين)(٦).

إن القاضي يرفض كل استدلال نقلي على المسيحولوجيات النصرانية عامة،ويرجع ذلك **إلى أسباب متضافرة**، وهي:

١ – **فمن جهة**، وردت نصوص في الأناجيل تثبت للمسيح صفاتا وأحوالا و **إقرارا** بأنه عبد الله و رسوله، فأولى القاضي اعتمادها **نصا محكما** لموافقتها المعقول.

٢ – **ومن جهة** أخرى، وردت نصوصا أخرى، تحتمل ما يقوله النصارى في المسيح، فاقترح القاضي أن يبحث لها عن مرجع تأويلي، نرجع إليه لتأويلها،

---

(١)يوحنا،إنجيل يوحنا،١٢/٤٤.
(٢)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١١٢.
(٣)المصدر السابق ، و الآية من: يوحنا،إنجيل يوحنا،١٨/٣٧.
(٤)المصدر السابق، و الآية من: يوحنا،إنجيل يوحنا،١٤/٢٤.
(٥)المصدر السابق، ص ص١١٢-١١٣، و الآية من: يوحنا،إنجيل يوحنا،٥/٣٦-٣٧.
(٦)المصدر السابق،ص١١٤، وقارن بالأناجيل، متى،٢١، ولوقا،٢٣ ، ويوحنا،١٩،لوقا،٢٣ و مرقس،١٥ ، ومتى،١٣/.٧.

إذ هي من قبيل النص المتشابه.

٣ – ومن جهة أخرى، فقد وردت آيات تضفي على المسيح صفة الإلهية، أو بالأحرى تحتمل مايقوله النصارى، ويقترح عبد الجبار حلين لهذا الإشكال، فإما أن ترفض كلية، وإما أن تؤول، إذ أن هذا الإجمال في النص لابد له من مبين، والعقل مبين في نظر عبد الجبارلذلك، إذ أن النص المنزل لايخاطب الناس بما لا يعقلون.

إن غرض القاضي النقدي هو التمييز بين الإنسانية وبين الالهية، والبحث عن كل الصفات والأحوال التي تجعل من المسيح بشرا ضعيفا، ورسولا إلى قومه، و في ذات الحين تزيح عنه كل احتمالات الألوهية، فما هو إلا بشر، وتشهد لذلك أحواله الكثيرة التي ذكرتها الأناجيل؛ فكان إذا ذكر البعث و القيامة و الحساب يكون منه البكاء والقلق والجزع، ما لا يكون من أحد، وكان يرمي من فمه كعلق الدم جزعا من الموت، ويعرق ويقلق، ويكون من صلاته وصيامه وعبادته و خشوعه ما لا يكون من أحد من زمانه(١)

إن الاعتراف ببشرية المسيح وعدم ألوهيته هو ظاهرة حديثة في دراسة الكتاب المقدس ، فقد توصلت أبحاث كثيرة إلى إقرار أن المسيح بشر، لم يدع أنه إله، وأن التأليه له عملية تأويلية لاحقة(٢).

## المطلب الثاني: رده على أدلة التجسد الكلامية

اتضح لنا أن القاضي قد توصل في تحليله لأدلة المسيحولوجيا النقلية أنها متهافتة، ليس فيها ما يصلح دليلا على التجسد، ولما كانت عقيدة التجسد تعتمد على أدلة عقلية إضافة إلى الأدلة النقلية السابقة الذكر، فقد انبرى عبد الجبار يرد عليها وينقدها .

ويكشف رد عبد الجبارعن عناصر نقدية مختلفة للمسيحولوجيا، يمكن أن نصنفها كما يلي:

أولا: التجسد العام: الذي تتفق كل الفرق النصرانية على القول به.
ثانيا: النظريات الخاصة في التجسد: نظريات الفرق المختلفة، وصيغها وخصوصياتها فيه.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)جبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص ص٤٩، وما يليها. وأيضا:Thiollier, **dictionnaire des Religinos**,((Christ))

## أولا: الرد على النظرية العامة للتجسد

وقد وظف عبد الجبار في رده على النظرية العامة للتجسد المداخل النقدية التالية:

١. أسباب القول بالتجسد.
٢. نسب المسيح.
٣. اختصاص الابن بالتجسد.
٤. عبادة المسيح
٥. تاريخ القول بالتجسد

### ١ - أسباب القول بالتجسد

يجعل النصارى من خصائص المسيح الإلهية؛ أنه(إله حق من إله حق من جوهر أبيه)(١)، إذ هولاهوت وناسوت متحدان، و( صار مسيحا و إلها خالقا رازقا معبودا، حين بشر الملك أمه وساعة الحمل به، فاتحد به الإله، فصارا جميعا مذ ذلك مسيحا واحدا وإلها واحدا، وأن الإتحاد ما انتقض عندهم ولا بطل، ولا خرج عن المسيحية والإلهية، ولا فى حال الولادة ولا فى حال النوم، ولا فى حال الأكل، ولا فى حال البول، ولا فى حال المرض، ولا فى حال القتل، و لا فى حال الموت، وأنه فى جميع هذه الأحوال مسيح وإله ورب معبود وخالق ورازق ومدبر)(٢)، وهذه الحيثيات العقدية الموظفة بعقيدة التجسد، والتى تخالف الرؤية الإسلامية للمسيح، تجعل الناقد يتساءل عن أسباب القول بالتجسد، ودواعى تأليه السيد المسيح، ليمكنه أن يفهم هذا الإختصاص.

وأول شيء يلفت الانتباه أن القاضي قد توصل -كما ظهر من المبحث السابق- إلى حل هذا الإشكال، فهو يرى أن الذي أداهم إلى القول بالاتحاد، هوأنهم رأوا على يدي المسيح عليه السلام من المعجزات، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وغيرذلك، فظنوا أنه لا بد من أن يكون قد تغير وخرج عن طبيعة الناسوتية إلى الطبيعة اللاهوتية(٣)، ويعقب على ذلك قائلا:

(وذلك يوجب عليهم أن يقولوا بأنه تعالى متحد بالأنبياء كلهم، كإبراهيم و موسى وغيرهم عليهم السلام، فقد ظهرت عليهم الأعلام المعجزة التى لا يدخل حينها تحت مقدور القادرين بالقدرة، والقوم لا يقولون بذلك، فيجب ألا يقولوا فى المسيح أيضا)(٤).

فالربط بين ظهور الخوارق على يدي المسيح عليه السلام، وبين تأليهه كالربط

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص٩٦.
(٢)المصدر السابق، ص٩٨.
(٣)المصدر السابق، ص٢١٦.
(٤)عبد الجبار، المغني،ج٥،ص١١٥.

بين اللازم والملزوم بدلالة الإلتزام، ليس له أساس منهجي، إذ أن ذلك لا يكفي في نظر القاضي لكي يؤله النصارى المسيح ويقولون بالتجسد.والقول بذلك يقتضي أن نثبت التأليه لكل من تظهر على يديه الخوارق، وكيف يكون ذلك، وأنبياء آخرون قد أوتوا معجزات وخوارق أيضا، ومع ذلك لم يؤلههم النصارى(١).

وما يرفضه عبد الجبار في هذه الدعوى هو تخصيص النصارى المسيح بالتأليه دون داع، إذ أنه يجوز لنا - تماشيا مع علتهم - تأليه كل من أوتي معجزة.

و كلام النصارى كما يرى عبد الجبار يدل على أن المتحد بجسم عيسى إله قادر، وحجتهم ما ظهر منه من أفعال لا يستطيعها إلا الله(٢)، وهو ما جعلهم يقولون **قد اتحد به ابن الله و كلمته**، وهذا ما أداهم (إلى ما يذهبون إليه من أن المسيح يعبد و يخلق الاجسام، ويرزق و ينعم، وأنه الخالق للعالم، و المستحق للعبادة بإنفراده، أو هو مع غيره)(٣).

ويتفاعل التفكير الكلامي مع هذه المشكلة مرة أخرى ليفرز نقدا و ردا على هذه الدعوى، فالله لا يمكن بحال أن يكون جسما، ويدلل القاضي على ذلك بمايلي:

١. لا شك أن المسيح جسم، ولذا استحال أن يكون إلها، لأنه تعالى لو كان جسما لكان محدثا، وقد ثبت قدمه، إذ الأجسام كلها يستحيل انفكاكها من الحوادث، والتي هي الاجتماع والإفتراق و الحركة والسكون، وما لم ينفك من المحدث يجب حدوثه لا محالة(٤).

٢. (لو كان تعالى جسما -ومعلوم أن الأجسام كلها متماثلة- لوجب أن يكون الله تعالى محدثا مثل هذه الأجسام)(٥)، فالألوهية عند عبد الجبار المعتزلي مرادفة للتنزيه، إذ لا يمكن أن تكون الجسمية من صفات الله، وإلا صار محدثا، وهو ما يرفضه النصارى؛ فالله قديم أول، ولا يمكن بحال أن يكون جسما.

ولذا، لم يصح أن يكون المسيح الناسوت إلها، ولا يصح أن يكون قد اتحد به الله، لأن الاتحاد والإفتراق والحركة والسكون كلها من صفات الحوادث، والله يتعالى عن ذلك(٦).

**والخلاصة أن المسيح لا يعدو أن يكون انسانا أوحي إليه، وأما ما تدعيه النصارى من تأليه له وتجسد فهو(عمى قلوبهم و جهلهم بأحوال المعجزات، وإلا لعلموا أنها من جهة**

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١٤٧.
(٤)المصدر السابق، ص١٥٠.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.

**الله تعالى يظهرها عليهم ليصدقهم بها)**(١)، وهو الأمر الذي تقرره كل الدراسات الإسلامية الكلامية(٢).

إن هذه النتيجة التي توصل لها القاضي من إنكار ألوهية المسيح، وتبرئته من ادعائها، هي النتيجة التي توصلت لها أبحاث المعاصرين، حتى أن اصطلاح **تفكيك الأسطورة المسيحولوجية** صار مستخدما ومقبولا في الدراسات المسيحية المعاصرة، كما **صار مقبولا أن المسيح لم يدع يوما أنه ابن الله، ولم يكن هذا التعبير سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين**(٣).

## ٢ – نسب المسيح

يقلب القاضي نسب المسيح على عادته، باحثا عن منافذه النقدية، ومحللا احتمالاته الكلامية؛ **فالقسمة المنطقية** تقتضي إما أن تكون مريم أم المسيح **حقيقة أو مجازا، أو ليست أمه أصلا**، فيسأل قائلا:(أخبرونا عن مريم، هل حملت بالمسيح **في الحقيقة**، وولدت المسيح **في الحقيقة**، وربت المسيح وأطعمت المسيح **في الحقيقة**، وهي أم المسيح **في الحقيقة؟)**(٤).

وبحدس نقدي يعرف القاضي أن النصارى سيؤولون النسب، حتى يبرروا موقفهم العقدي. وتضييقا على الخصم في الحجاج وإلزاما له اللوازم المذهبية، يقول:(إن قالوا: ولدت ناسوت المسيح أوحملت ناسوت المسيح)(٥)، فيعترض عليهم:(لم نسألكم عن هذا، فإن ناسوت المسيح عندكم ليس هو المسيح، وإنما المسيح هو اللاهوت، ولاهوت المسيح عندكم ليس هو المسيح، إنما هما مجموعهما المسيح، أجيبونا؟)(٦). فالسؤال يخص **المسيح ككل**، ناسوته ولاهوته.

ثم يشرع القاضي في مناقشة الاحتمالات الممكنة لنسب المسيح، مستخدما **طريقة السبر والتقسيم**، كما يلي:

### ١ – القول بأن مريم أم المسيح حقيقة

والقول بأن مريم ولدت المسيح **حقيقة** يعترض عليه القاضي بقوله:(فإن كانت مريم قد ولدت المسيح في الحقيقة، وحملت بالمسيح في الحقيقة، فقد حبلت بالإله والإنسان، وولدت الإله والإنسان، وهي أم الإله والإنسان، وقد قتل الإله والإنسان، وألم الإنسان والإله ،

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص٢١٦.
(٢)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص٣٤٠-٣٤٦.
(٣)جبير ،المسيحية نشأتها وتطورها،ص٣٩.
(٤)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص ص٩٦-٩٧.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.

و مات الإله والإنسان)(١)، فلما كان المسيح هو اللاهوت والناسوت، اقتضى ذلك أن تكون كل الأفعال الواقعة من المسيح أوعليه هي من فعل اللاهوت والناسوت معا،والولادة والألم والقتل والصلب هي أفعالهما أيضا. فعبد الجبار يطمح إلى إثبات جهل النصارى بالتوحيد المحض، وأنها تصف الله بما تصف به المحدثات.

٢ - القول بأن مريم أم المسيح مجازا

وأما القول بأن مريم هي أم المسيح مجازا، فيقول فيه:(وإن قالوا : نقول هي أم المسيح على المجاز، ومات المسيح في المجاز، قلنا لهم لم نسألكم عن المجاز، إنما سألنا عن الحقيقة ، فإنه على هذا التقدير، ربما أيضا يكون حمل مريم من غير ذكر مجازا، و إحياؤه الموتى مجازا، و جميع مايدعونه له مجازا، وهذا لا سبيل اليه، لأنه إذا أحيى الموتى وأظهر الآيات ، فإنما ذلك فعل اللاهوت، واللاهوت وحده ليس بمسيح؛ و الناسوت ما رآه الناس، فلا يجوز أن يقال رأى المسيح، وإذا أكل وشرب ونام واستيقظ، فذلك فعل الناسوت، والناسوت وحده ليس بمسيح، فقد وجب جميع ما قدمناه)(٢).

ويظهر من هذا التحليل أن عبد الجبار يوظف أدلة النصارى ومسلماتهم ليرد عليهم، ليصير إلى الإلزامات؛ فالمناقشة لمفهوم المسيح تعتمد على مسلمات النصارى في ذلك، ليلزمهم بالحقيقة، أضف إلى هذا أن المجاز يستدعي بحثا عن الحقيقة و القرينة الصارفة، و هذا يجعل كل العقائد النصرانية مجازا، وَرُبَّ سائل يسأل عن حقيقة هذه العقائد.

ورغم ذلك، فإن القول بأن مريم هي أم المسيح مجازا لا يقول به النصارى، ولا يعتمدونه ، ومن صار إليه خرج عن النصرانية(٣).

٣ - القول بأن مريم ليست أمه في الحقيقة.

وأما القول بأنها ليست أمه. فيقول فيه عبد الجبار:(وإن قالوا ما ولدت المسيح في الحقيقة، ولا هي أم المسيح في الحقيقة، قلنا لهم: فليس هذا قول أحد من النصارى، ولا قول المسلمين أيضا، بل قول اليهود، فإنهم قالوا إن مريم ما حملت به)(٤)، ولذا لم يشتغل بالرد عليه، إذ أنه يخالف الرأي المتفق عليه بين جميع الفرق النصرانية.

إن أهم ما يثير الانتباه في هذا النقد هو محاولة القاضي إثبات تناقض المنظومة النصرانية؛ فقولهم إن المسيح لاهوتا وناسوتا هوابن مريم، ثم يصفونه بصفات المحدث كالولادة والقتل والصلب والموت، ومع ذلك يدعون أنه هو القديم، لهو عين التناقض. والله تعالى لا يجوز وصفه بهذه الصفات أبدا، إذ ليس كمثله شيء، لم يلد ولم يولد،

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.

وهو مايمنع عنه كل اتصاف بذلك، ولا يجوز له شيء من ذلك.

## ثالثا: اختصاص الابن بالتجسد

يتناول القاضي الأمر على عادته من مختلف أوجهه بحثا عن منفذ نقدي، موظفا طريقة السبر و التقسيم، فيقول:(اعلم إن كلام النصارى يدل على أن المتحد بجسم عيسى هو إله قادر على ما لا يصح وقوعه إلا من الله جل وعز، لإنهم يعتمدون في ذلك على أنه ظهر منه وعليه فعل إلهي، فيجب أن يكون قد اتحد به ابن الله وكلمته، فلو كان عندهم أن الابن لا يجوز أن يفعل ما يختص به القديم بالقدرة عليه، لما صح هذا القول، فلا بد لهم من ذلك، أو القول بأن المتحد بجسم عيسى هو الأب نفسه، فلذلك صح أن يظهر منه وعلى يده الفعل الإلهي)(١). ويظهر من هذا، أن القاضي يرغب في الوصول إلى النتائج اللامنطقية واللوازم غير المعقولة لعقائد النصارى تبكيتا لهم، وإلزاما لهم اللامعقولية.

ويلاحظ عبد الجبار أن القول بالاتحاد يفضي إلى البحث عن خصائص المتحد، أهو أقنوم الابن، أم هو أقنوم الجوهر المشتمل على الأقانيم الثلاثة؟ يقول:(لا يخلو قولهم بالاتحاد،إما أن يقولوا إن الابن من جملة الأقانيم اتحد بعيسى، أو يقولوا إن المتحد به الجوهر الذي هو ثلاثة أقانيم، فإن قالوا: إن الابن اتحد به، فلا يخلو من أن يقولوا:إن الإبن خالق صالح إله، أو يجعلوا الخالق الإله هو الأب الذي الكلمة ابنه دون الأب)(٢). وهذا التشجير الكلامي لاحتمالات القول النصراني هو نتيجة قسمة العقل وإجراء منهجي يقتضيه النقد، وليس حتما أن يكون النصارى قد قالوا بها، وسيتبع ذلك تحليل نقدي لكل عنصر من عناصر هذه الدعوى، كمايلي:

١- فإن كان المتحد هو أقنوم الابن -كما يرى اليعاقبة و النساطرة-، فإن عبد الجبار يؤكد أن ذلك يلزمهم أن يكون الابن الأقنوم له تمايز ماهوي عن باقي الأقانيم، بل له إرادة وقدرة وخصائص منفردة ،(فلو كان القديم شيئا واحدا في الحقيقة، لم يصح لهم هذا القول بأن ما يتحد ليس هو ما يتحد)(٣)، وهو ما يجعل نسق التثليث والقول بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم عرضة للتهافت والتناقض الداخلي، ويفضي إلى القول بتعدد الآلهة. وأما إذا افترضوا أن الابن ليس له خصائص كالإرادة والقدرة الخارقة،ويلزمهم أن يكون غير متصف بالصفات الإلهية ، وهو ما يمنع من أن يكون المتحد هو الأقنوم الابن، ويكون الاتحاد فعلا للإله فقط(٤).

---

(١)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص١١٥.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١٠٥
(٤)المصدر السابق.

ويمكننا أن نلاحظ أن نفس الرد يمكن أن يثار على بقية الأقانيم، إذ أن القول بأن **المتحد هو الروح أو الأب** سيرد عليه بنفس الاعتراض الكلامي، **ولا يسلم من هذا الاعتراض إلا القول بأن الاتحاد هو فعل للجوهر المشتمل عن الأقانيم الثلاثة.**

٢. والقول بأن المتحد **هو الجوهر المشتمل على الاقانيم الثلاثة** يرجع عبد الجبار الرد عليه الى الرد على الاتحاد الذي عرضناه في مبحث أسباب القول بالتجسد؛ إذ أن النصارى **ظنوا** أنه بظهور الخوارق على يدي المسيح قد تغير و خرج عن طبيعته الناسوتية، وليس ذلك بلازم، وإلا لزمهم أن يقولوا بأنه تعالى متحد بكل الأنبياء، لظهور الخوارق على أيديهم أيضا، **والقوم** يرفضون ذلك، **فوجب رفض هذا الاعتقاد في المسيح**(١).

والقول بأن **الاتحاد هو فعل للجوهر دون الأقانيم** لم يوله عبد الجبار اهتماما، رغم أنه **رأي الملكانية**؛ إذ أن الاتحاد عندها فعل الجوهر العام(٢).

ويصل عبد الجبار بعد هذا التقسيم إلى رفض كلي للصيغ النصرانية الممكنة، ومبديا تهافتها، وموظفا سبر كل مايمكن أن تحصيه القسمة العقلية. فمهما كان تعريف الاتحاد، فالله يتعالى عنه، ولايليق به.

## رابعا: عبادة المسيح

عالج عبد الجبار عبادة المسيح مع الاتحاد، لأن القول بها(مبني على قولهم في الاتحاد و التأنس)(٣)، فلم يعبد المسيح إلا اعتقادا منهم أنه إله، أوحل به الله، وهو ما يرفضه المفكرون المسلمون بالإجماع(٤). واذا كان النصارى -كما يرى عبد الجبار- يتفقون على القول بعبادة المسيح، فإنهم يختلفون في حقيقة المعبود منه وطبيعته، ويصنفهم تبعا كمايلي:

**أولا: فقسم** يقول إن المسيح جوهرواحد، وشخص واحد، وأقنوم واحد ، وهم فرقتان:

١. **اليعقوبية** تقول: إنه انسان وإله ، وإن كان جوهرا واحدا، لكنه إنسان من وجه، إله من وجه.

٢. **الوليانية**(٥) تقول: إن المسيح هو إله من حيث هو إنسان، ولا يعقل لاهوت إلا من هذا الوجه الذي هو ناسوت.

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص١١٥.

(٢)المصدر السابق.

(٣)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص١٤٦.

(٤)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ص٣٤٦-٣٥٠.

(٥)الوليانية نسبة إلى القديس غريغوريوس(Grégoire)، مبشر أرمينية في القرن الرابع الميلادي،راجع حول ذلك: Daniélou et Marrou,Nouvelle Histoire d'eglise,t1,pp324

وهاتان الفرقتان تقولان إنه يعبد في الحقيقة(١).

**ثانيا: وقسم** يقول:إن المسيح جوهران اثنان: لاهوت و ناسوت معا، وإن اختلفوا فيما بينهم إلى قسمين، كما يلي:

١. **فالنسطورية** تقول: إن إرادتهما واحدة.
٢. **والملكانية** تقول: إنه ذو إرادتين(٢).

ورغم أن النصارى قد اختلفوا في المعبود من المسيح، وفي الوجه الذي يعبد، إلا أنهم **أطبقوا** مجمعين على التدين بعبادة المسيح.

ورد عبد الجبار على عقيدة عبادة المسيح يعتمد على الانتقادات التالية:

**أولا:** أول ما يشير إليه القاضي أن هذا التعبد(مبني على قولهم في الإتحاد والتأنس)(٣)، فكان ذلك يعني منهجيا أن نقد التجسد والرد عليه فيه إبطال عقيدة عبادة المسيح؛ فلما استحال التجسد لتعالي الله عنه، لم تصح عبادتهم للمسيح اعتمادا على أنه إله بظهور الخوارق عليه التي ظهرت عليه، لأنها لا تزيد عن كونها معجزة كمعجزات باقي الأنبياء عليهم السلام، ولا توجب له تأليها للمسيح، وإلا وجب لباقي الأنبياء، فوجب سلبه إذن عن المسيح، وهذا ما يبطل(ما يذهبون إليه من ان المسيح يعبد ويخلق الأجسام، ويرزق، وينعم، وأنه الخالق للعالم، والمستحق للعبادة)(٤).

ويربط عبد الجبار العبادة بالنعم والإنعام، إذ العبادة لا تستحق إلا(بقدر من النعم عظيم أن توازنها نعمة)(٥). ولا وجه للمقارنة بين نعم المحدثات كالانسان وبين نعم الله، فبينهما فروق كثيرة، ومنها مايلي:

١ – أن الله هو الأصل، فهو خالقها وواهبها، ونعم المحدثات ليست كذلك، فهي حيازة فقط.

٢ – أن نعم الله من الكثرة، بحيث لا يمكن إحصاؤها، ونعم المحدثات مهما كثرت، يمكن إحصاؤها.

٣ – لما كان الله هو أصل النعم كلها، فهو الخالق والواهب لها، فنعم غيره نعم منه أيضا، وأما هذا الغير المنعم فهو مالك لها، لا غير(٦).

وبتعداد هذه المفارقات يظهر أن(هذه الوجوه يستحيل حصولها إلا للقديم تعالى، فيجب

---

(١)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص١٤٧.
(٢)المصدر السابق، ص١٤٦. يقصد بذلك بالأولى النسطورية، وبالثانية الملكانية، وسنهتم بمناقشتها مع المسيحولوجيا لاحقا.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص١٤٧.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق، ص ص١٤٧-١٤٨.

أن يحظى باستحقاق العبادة دون غيره)(١)، فالعبادة لا تكون إلا لله شكرا لإنعامه؛ إذ (أن العلم بحسن شكر المنعم، وبأن المنعم يستحقه، وأنه يجب على المنعم عليه، ضروري في كثير من الأحوال)(٢).

ويبدو من خلال هذا التحليل النقدي أن العبادة في نظر عبد الجبار لا تجب إلا لله تعالى، وقد استحقها بخلقه وإنعامه(٣).

ثانيا: يرفض عبد الجبار عبادة المسيح مع أنه جسم في الحقيقة، والذي من خصائصه -أي الجسم- عدم القدرة على فعل النعمة والخلق والحياة والقدرة، فكيف يصح أن يفعل ما يستوجب به العبادة على الأجسام الحية، فهو لا يستطيع أن ينعم عليها الإنعام الذي تستحق به العبادة؟(٤).

وعبد الجبار في رفضه لعبادة المسيح، لا يفرق في ذلك بين رأي النساطرة وبين رأي اليعاقبة، إذ أنها كلها غير معقولة، ومرفوضة.

فمن قال: إنه إله حق، وإن الجوهرين قد صارا واحدا، أدى قوله هذا -كما يرى عبد الجبار إلى (كون الإله جسما محدودا آكلا شاربا)(٥)، إذ اللاهوت على رأيهم قد مازج الناسوت، والذي من صفاته الأكل والشرب كما هو مشاهد، وهو ما يتناقض مع التوحيد، إذ أن ذلك يوجب أن يكون الإله محتاجا محدثا.

وأما من قال: إنه جوهران وطبيعتان، فيبطله أن ذلك يوجب أن يصرفوا العبادة إلى اللاهوت دون الناسوت، وهو ما يبطل قولهم في أن المعبود هو المسيح، إذ يلزمهم أن يكون المعبود هو الأقنوم الإلهي، وفي كلا الحالتين عدول عن القول بأن المعبود هو المسيح، كما يلزمهم أن الإله كائن من النطفة، أو مولود من مريم على ما يذهبون إليه(٦).

و ثمة قول ثالث للنصارى في المسيح يرى أنه لا يعبد لأنه لاهوت، لو اتحد به لاهوت، ولكن لكونه الوسيط بيننا و بينه(٧).

وفي مناقشة القاضي لهذا القول، يستدل بما استدل به على إبطال التجسد الذي تعرضنا له سابقا، فإذا حسنت عبادة المسيح لأنه وسيط بين الناس و بين الله، لزم أن تحسن أيضا عبادة الأنبياء جميعا وعبادة كل من عظمت نعمته، فليس لهم أن يخصوا المسيح بالعبادة

---

(١)المصدر السابق، ص١٤٨.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١٤٧.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق
(٦)المصدر السابق، ص١٤٩.
(٧)المصدر السابق.

من بين جميع الأنبياء لاتفاق الجامع(١).

**فالقول بعبادة المسيح -في نظر القاضي ينم عن جهل النصارى بالعبادة ومستحقها، وعدم التفريق بينها وبين الشكر؛ فالعبادة لا يستحقها إلا الله تعالى، فهو المنعم الذي لا تحصى نعمه، وأما الشكر والعبادة والمدح والتعظيم فيكون لله وللمحدثات معا.**

والمعنى الوحيد الذي يراه عبد الجبار يستقيم في حق المسيح هو الشكر، والذي استحقه بقيامه بوظيفته ورسالته الدينية(٢).

## ٥ – تاريخ القول بالتجسد

ذكرنا أن عبد الجبار كان يرى في العقائد النصرانية **نتيجة تكوينية لظروف مختلفة سياسية وثقافية**، كالإرهاب الثقافي الرومي للمسيحيين، **والفلسفة الدينية الشرقية**(٣)، وهنا نريد إثبات قضايا جزئية من هذا التراث أسهمت في تكوين المسيحولوجيات النصرانية، ومن ذلك:

١. **الوثنية الرومية**
٢. **الفلسفة اليونانية.**

### أولا: الوثنية الرومية

يري عبد الجبار أن القول بالهية المسيح عليه السلام هو نتيجة تكوينية لأفكار وثقافات وثنية شرقية، يقول:( لم يكن هذا بالبعيد عن الروم، **لأن من اعتقد في الكواكب وهي جماد موات أنها أرباب وتنفع وتضر لم يبعد عنهم أن يقولوا في انسان حي عاقل مميز قد قيل لهم إنه كان يحي الموتى، وإنه إله، وإنه وأبوه وزوجته خلقوا الكواكب**، وكان هذا سهلا على أهل المغرب، ألا ترى أن القبط ومن بمصر كانوا يعتقدون إلهية فرعون، وأنه لا إله لهم غيره)(٤)، فالقاضي يضاهي بين قول النصارى وقول الروم واليونان في الكواكب، ويضاهي بينهم وبين قول القبط في فرعون.

ويظهر من هذا التحليل أن عبد الجبار يجعل من أسباب اندثار الفهم الديني الصحيح للعقائد المسيحية أنها فهمت أوأفهمت بمفاهيم وثنية، جعلت التوحيد يتلاشى جيلا بعد جيل(٥).

---

(١)المصدر السابق، ص١٥٠.
(٢)المصدر السابق
(٣)راجع الفصل الرابع، مبحث النقد التاريخي والمقارن للإلهيات النصرانية، حيث تم تفصيل وتحليل العوامل التاريخية والثقافية التكوينية الكامنة وراء القول بالإلهيات النصرانية.
(٤)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٦٢.
(٥)المصدر السابق، ص١٥٠.

**ثانيا: الفلسفة اليونانية**

يربط عبدالجبار بين النظريات المسيحولوجية والأفكار الفلسفية السائدة في الحيز الثقافي الرومي، **ليكشف عن مضاهاة النصارى للذين كفروا من قبل**، ويتضح لديه تقارب النظرية التثليثية المسيحولوجية ونظرية هرمس التثليثية، يقول:(وهذاالتثليث الذي للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من العقل والعاقل والمعقول تصير شيئا واحدا، ويقولون: هو من المثلث، وهو من فيلسوف قديم)(١)، فالتراث اليوناني الرومي يقيم أيضا علاقات تثليثية بين ثلاثة أقانيم هي واحدة في الجوهر لا أكثر، والعلاقة بينها علاقة تولد، وليست كالولادة المعروفة، **وهو ما جعل القاضي يؤكد أن قول النصارى في تأليه المسيح والتجسد، واتحاد الإبن أحد الأقانيم بالإنسان عيسى هو تعبير أمينوسي عن الإلهيات النصرانية، وتفسير لعقائد الاناجيل تفسيرا هلينيا.**

ونؤكد أن نظرة القاضي التكوينية لم تؤسس إلا بعد فحص الإمكان التاريخي-الجغرافي لهذا التكوين، ليصير ممكنا ومنطقيا وواقعا وتاريخيا(٢).

**إن النقد الحديث صار موقنا كالقاضي أن عقيدة التجسد امتداد للفكر الوثني الرومي القديم**، ذلك الفكر الذي تأسس على فكرة الاتحاد الإلهي وتأليه الإنسان الذي ساد في الفكر الشرقي القديم المصري والسوري واليوناني، وغيره(٣).

وأهم ما يميز التحليل النقدي المعاصر عن عبدالجبار أنه يصور الحواريين بالسدج الذين لم تتمكن منهم عقيدة المسيح، بينما يرى عبد الجبار أنهم كانوا على علم وتقوى، **وأن هذا التأويل لم يتم إلا بعد هلاكهم إثر الإضطهاد المتعاقب لهم كما توضح في تحليل العوامل السياسية المساعدة على تغيير الإلهيات في الفصل السابق**، ولا يخفى أن ذلك أعقل، إذ أن الإضطهاد المتعاقب والذي دام زمنا طويلا كان أعون على اندثار أفكار المسيح، واختفائها بين الأفكار الوثنية(٤).

## ثانيا: الرد على النظريات الخاصة في التجسد

أدرك القاضي في رده على التجسد أن النصارى لا يتفقون في جزئيات تلك النظرية العامة، فعمد إلى الملكانية والنسطورية واليعقوبية، وخصها بنقد إضافي، نبينه كمايلي:

---

(١)المصدر السابق، ص١٦٩. حيث يقصد بالثلاثة ماكان معروفا عند الروم من فلسفة أفلوطين وأمينوس.

(٢)راجع ما أثير حول النقد التاريخي والمقارن للإلهيات في الفصل السابق، حيث تعرضنا لظروف هذا التأثر.

(٣)جبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص ص٧٠-٧٤.

(٤)ديورانت، قصة الحضارة،ج١١، ص٢٦٤،إيمار وجانين، تاريخ الحضارات-روما-، ج٢، ص٦٢٦، وأيضا: جبير،المسيحية ص ص١٠٨-١١١.

## ١ - نظرية الملكانية

سبق أن أوضحنا المسيحولوجيا الملكانية في المبحث الأول من هذا الفصل، وقد أثار عبد الجبار حولها النقد التالي:

**أولا: مناقشة الاتحاد من حيث الإرادة**

رأينا أن الملكانية ترى أن الله قد اتحد بالمسيح بمعنى **أن مشيئة القديم سبحانه غير مشيئة المسيح عليه السلام، فهما إرادتان مختلفتان**، وهو مايلقى رفضا لدى عبد الجبار، فالقول بأن إرادة القديم وإرادة المسيح مختلفتان، سيطرح إشكالات على مستوى التصور، إذ أنه يفترض أن الإرادتين ترغبان نفس الرغبة، كما تكرهان نفس الكراهية، وهو ما لا يصح، إذ أنه (من حق كل قادرين أن تصح عليهما الإرادة و المشيئة، أي لا يمتنع أن يريد أحدهما خلاف ما يريده الآخر، ولا يمتنع أن يكره أحدهما ما يريده الآخر، كما لا يمتنع اختلاف دواعيهما في الأفعال)(١)، فهب أن الناسوت أراد النوم، وأراد اللاهوت القيام بمعجزة، فأي الإراديين أحق بالتنفيذ؟.

ولا يمكن للنصارى في نظر عبد الجبار السكوت عن ذلك، وإلا، وجب القول بأن إرادتهما تتفقان أبدا، حتى يصح على كل واحد منهما من الفعل ما يصح من الآخر، وهو الأمر الذي لا يلبث أن يتهافت، إذ أن من حق القادر أن يختص **بإرادة خاصة**، يستطيع بها مخالفة غيره، **لإختلاف الدواعي** .

إن القول بأن هاتين الإرادتين دوما متفقتان يفضي بنا إلى محالات، ويفضي بنا إلى مخالفات للأسس العقدية الكلامية؛ فالإرادة -كما يلاحظ القاضي- من لوازمها العلم بالشيء المراد وأسباب تفضيله، وهو ما يحق له تعالى فالله عالم بكل المحدثات وأسبابها(٢). والمسيح بإنسانيته لا يتأتى له من العلم إلا القليل، وهو ما يجعل دواعيهما وإرادتهما تختلفان، لاختلاف علمهما، يقول:(و قد علم أن القديم عز و جل عالم بنفسه، يعلم ما سيكون في المستقبل من مصالح و غيرها، والمسيح يعلم بعلم، و كما لا يجب أن يعلم كل ما يعلمه القديم تعالى، فلذلك لا يجب أن يريد كل ما يريده)(٣)، و تتجلى نزعته الاعتزالية من جديد، **فالله عالم بنفسه، والإنسان عالم بعلم؛ فكان علمه منته ومحدود.**

ويظهر أن الرد والمواقف المعتمدة متلازمان أبدا، ولم يكن ذلك عائقا للبحث، بل كان موجها له وهاديا له.

---

(١)عبد الجبار، المغني،ج٥، ص١١٧
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.

ويجرهذا الموقف الملكاني عبد الجبارإلى التحري عن مفاهيم دقيقة؛ فالمسيح في إرادته، لايخلو من أمرين:

١. فقد يكون شائيا لكل ما شاءه الله

٢. وقد يشاء حالا بعد حال بحسب ما يشاء الله تعالى(١).

١ – أما القول بأن المسيح قد شاء كل ما قد شاءه الله تعالى فيتعارض مع الاعتقاد في الصفات وخاصة الإرادة؛ إذ يلزم أن يكون الله في هذا الحال ليس مريدا لكل ما يشاؤه، ويريد الأمور التي هي من فعله، كما يريد التي هي من فعل العباد على الترتيب(٢). فإذا كان الأمر لله، فكيف نقول إن المسيح يريد ما أراد الله؟، وهو ما يتناقض مع مسلمات عقدية أخرى، كتأثير الله في الكون، وإشكالية القضاء والقدر الإلهيين، إن في الإسلام، وإن في النصرانية. إن عبد الجبار يريد إثبات تهافت وتناقض عقائد الملكانية، وأنها **قيلت على وجه لا يعقل**.

٢ – أما القول بأن المسيح يشاء حالا بعد حال، بحسب ما يشاؤه تعالى، فيرده عبد الجبار لإفضائه إلى تناقضات ولوازم غير معقولة، ذكر منها مايلي:

١.(فإن كان قد شاء الله وقدر ما بداله، ثم شاء عيسى ما كان قد شاءه الله، فهو في ذلك الحال شائيا لنفسه، **فكيف يقال بأنه اتحد بمعنى اتحاد المشيئة؟**)(٣)، فالقول بأن **الأمر كله لإرادة الله يجعل النقد يتساءل عن وجه تعلقها بالإرادة الثانية؟ وما الداعي لذلك؟**

وكلها أسئلة تبكت الخصم وتفحمه، وتنحو إلى الإبانة عن فساد عقائده في صيغة التجسد.

ويبدو من هذا العرض أن عبد الجبار ينهج **طريقة التعريفات**، فيحلل المصطلحات بحثا عن أبعادها الدينية والفلسفية، ليدرس بعد ذلك **بطريقة الإلزامات** ما يمكن أن تفضي إليه من محالات.

٢.إن القول بأن التجسد موافقة في المشيئة للقديم لا يمكن أن يفهم منه سبب جعله خاصة لعيسى، فإذا كان التجسد هو موافقة لله في إرادته، فكل من وافق الله في إرادته أمكن أن نقول فيه أن الله متجسد فيه،(**فهذا القول يوجب أن في سائر الأنبياء مثل قولهم في عيسى، وأن يكون متحدا بجميعهم**)(٤)، وليس الأمر قاصرا على الأنبياء فقط، (بل لا يمتنع أن يكون في المكلفين من يعلم المصالح ويشاء ما شاءه الله من الطاعات وغيرها، فيجب أن يكون

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص١١٨.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص١١٥.

جل وعز متحدا به)(١).

فما يرفضه عبد الجبار في صيغة الملكانية، هو تخصيصها عيسى بالاتحاد، مع أنه موافقة في الإرادة فقط، وهو ما يسمح باتحاد غيره، ويبين ذلك **بطريقة السبرو التقسيم**، فيحلل الصيغة إلى عناصرها الأولية الممكنة، ليدرسها بعد ذلك **بطريقة الالزامات**، كمايلي:

فإثبات الإتحاد للمسيح **أصل**،

والعلة، أن وافق الله في الإرادة،

فيلزم أو يجب إثبات هذا الوصف في كل **فرع** تتوفر فيه هذه العلة، فيثبت في باقي الأنبياء، إذ أن هذه العلة تتوفر فيهم أيضا، فهم يوافقون القديم في إرادته.

**ثانيا: مناقشة الاتحاد من حيث الذات:**

تقول الملكانية إن اللاهوت اتحد بعيسى، بمعنى أنه **حل فيه**، وسيكون هذا **القول محل** مدارسة ونقد مختلف الأشكال.

وتبدأ مداخلة القاضي **بطريقة التعريفات**، فيحدد الاصطلاحات **أولا**، ثم يحلل محتوى **الألفاظ** إذ الحلول له معان مختلفة وأنواع متباينة، ثم يستخدم **السبر والتقسيم** بعد ذلك، **فالحلول:**

**إما** حدوث العرض في الجوهر،

**وإما** انتقال كانتقال الجوهر، وإضافة الإنتقال إلى الجوهرلها دلالة، إذ أن **الانتقال** لا يصح على ما لا حيز له -كما يفيد علم الكلام الإعتزالي-(٢).

ومهما يكن التعريف الذي يرتضيه النصارى، فإن عبد الجبار يرفضه، إذ تنتج عن ذلك **إلزامات باطلة**، ومن ذلك:

١. إن القول بأن الله حل فيه وانتقل فيه يقتضي أن الله جوهر، إذ الانتقال من خصائص الجوهر. والبحث الكلامي يؤكد أن الله يستحيل أن يكون كذلك، وإلا صار محدثا، **إذ أن كل جوهر متحيز، وكل متحيز محدث**(٣).

٢. والقول بأن الله (حل فيه، وحدث كحدوث العرض، فهذا يوجب حدوثه)(٤)، على أن الإنتقال إذا استحال عليه، فالحدوث أولى أن يستحيل عليه، لأن حدوث الموجود أكثر استحالة من انتقال ما ليس بجوهر(٥).

ويظهر من تتبع هذا التحليل أن القاضي يوظف المفاهيم الطبيعية من انتقال وحيز وجوهر، كما هي معروفة في درس الفلسفة الطبيعية في عصره، وهو ما يكشف عن تعامل

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص١٢٦.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.

رده مع علوم عصره.

ويكشف التحليل الكلامي أن استقراء الموجودات التي تقبل الحلول نوعان، وهي:

١. **فنوع** لم يكن **(موجودا من قبل لا فيه، ثم صار فيه)**(١).

٢. **ونوع (لم يكن موجودا من قبل أصلا، فحدث فيه)**(٢).

وهوما يستلزم مناقشة لكلا الاحتمالين.

ولما كان الله موجودا قبل عيسى كان ذلك يعني أن اتحاده -تعالى الله عن ذلك- من النوع الأول، أي أنه لم يكن موجودا من قبل لا فيه، ثم صارفيه.

ويؤكد عبد الجبار أن هذا القول يلزم عنه لوازم كثيرة فاسدة، منها أن الحلول لا يحصل الا لمعنى سواه، كالحاجة والكمال، وغيره، وهي **سبب أو غاية الحلول**. ولا يمكن تجنب ذلك أو العدول عنه، فالحلول قد يكون لضعف أو حاجة أوغير ذلك، وهو ما يستحيل على الله.

ترى بماذا يمكن أن يرد عبد الجبار لو سمع مقالة النصارى المعاصرين، أن الإنسان لم يصر إلها، بل الله هو الذي تفضل بلطفه، فاتحد بالمسيح(٣)!!؟.

ولا يمكن بحال -حسب عبد الجبار- أن نخرج عن هذين الاحتمالين لمعنى الإتحاد، كأن نقول:(أنه اتحد به لاعلى وجه الحلول، ولا على سبيل المجاورة)(٤)، **فالتوظيف اللغوي للألفاظ يقتضي إلتزام بمعناها اللغوي، والا صار لغوا، أوإعمالا للفظ في مالايفيد**، فكون الشيئ (في غيره لا يصح أن يثبت إلا على **وجه معقول**، فكما يجب إبطال كل قول يوجب إثبات ما لا يعقل، كذلك يجب إبطال القول بوجود الشيء في الشيء **على وجه لايعقل**)(٥)، ولا يصير أمرا معقولا إلا إذا أمكن التدليل عليه.

ويخلص عبد الجبار إلى أن مقالة الملكانية قد قيلت على وجه لا يعقل، فهي توظف ألفاظا، ثم تفرغها من معانيها، من غير دليل ولا قرينة، والمعقول الإلتزام بأحد الحلين التالين:

١. **فإما أن لا يكون الحلول أصلا،**

٢. **وإما أن يكون الحلول، وتكون معه لوازمه من حيز ومجاورة**، وهوما **يستحيل في حقه تعالى بدلالة الإلتزام**، إذ ذلك من خصائص المحدثات، فالله سبحانه موجود لا في محل، و ليس على الوجه الذي توجد عليه المحدثات من جوهر وعرض.

---

(١)المصدر السابق، ص١٢٧

(٢)المصدر السابق.

(٣)Monnot, Islam et Religions,p243.

(٤)عبد الجبار ،المغني،ج٥ ص١٢٧.

(٥)المصدر السابق.

وفي كلا الحالتين يخلص القاضي إلى تهافت هذا الرأي.

**فكل قول بأنه تعالى حال في عيسى لا بالمجاورة ولابالحلول هو غير مقبول، إذ أن إثباته تعالى موجود لا في محل، هو نفي لكل تلك المجاورة، وحتى لو كان ذلك على وجه لا يعقل(١).**

ويخلص عبد الجبار إلى تناقض مسيحولوجيا الملكانية، وقد أبدى مهارة في تطبيق مناهج المسلمين في الرد على النصارى.

## ٢ - نظرية النسطورية

**تقول النساطرة إن الله اتحد بعيسى بمعنى أنه مازجه و جاوره و اتخده هيكلا و محلا، و صارت مشيئة عيسى مشيئة له(٢).**

وقد أثارت هذه التصورات والمفاهيم تساؤلات مختلفة عند القاضي عبد الجبار، فخصص لذلك فصلين نقديين، أحدهما للإرادة، والآخر للذات(٣)، نحللهما كما يلي:

### أولا: مناقشة الإتحاد من حيث الارادة

إن الحديث عن الإرادة عند الإنسان ينجر عنه تحليل لهذا المفهوم وتعلقاته، فالإرادة من حيث هي مشيئة حالة في بعض الإنسان، ولهذا تنسب إليه، وإلا لم يكن لها تعلق به واختصاص. فإذا كانت إرادة المسيح هي إرادة الناسوت عيسى، فهي حالة في بعضه، إذ أنه لا يجوز أن نوجب هذا الحكم لله، إذ انه لا يختص ولا يتعلق به، كما أنه يوجب أن سائرما يحل في قلب الناسوت وما يتصف به يتصف به الله تعالى عن ذلك(٤)، كما يلزم أن يكون جاهلا بجهل لو وجد في قلب الناسوت، ومشتهيا لما يوجد في قلب الناسوت، ويلزم كونه ظانا نادما إن كان الناسوت نادما، وكل ذلك يستحيل عليه تعالى(٥).

ولختصاص مشيئة عيسى بكونها مشيئة لله، يطرح سؤالا عند القاضي؛ فلم صارت مشيئة المسيح فقط مشيئة للرب من بين مشيئات الأنبياء والعباد مع توفر نفس العلل؟

**فإذا اتحد الله بعيسى تم لطفة الشكر أو الاصطفاء أو الصلاح، فإن الأنبياء يشاركونه فيها. وقياس الطرد يقتضي أن نحكم لمشيئتهم بما نحكم على مشيئة عيسى**

---

(١)المصدر السابق، ص١٣٠.
(٢)صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٣٠٥ وراجع: عبد الجبار،المغني،ج٥، ص١٢١.
(٣) عبد الجبار،المغني،ج٥، ص١٢١.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.

عليه السلام، وهو ما لا ترتضيه النساطرة(١).

والقول بأن مشيئة المسيح هي مشيئة الله، يجيز لنا أن نحكم بكونه (تعالى مريدا للقبيح و مريدا كارها للشيئ الواحد إذا أراده زيد وكرهه عمرو، بل يوجب صحة كونه عالما جاهلا، وما أدى إلى ذلك يجب فساده)(٢)؛ فالمسيح يحب ويكره ويرغب في أشياء ويحزن ويفرح ويعلم ويجهل، فهل نحكم بذلك كله لله؟.

ولم يخف عبد الجبارفي هذا النقد اعتزاليته، إذ أن الله لا يريد القبيح، جريا على مذهبهم، و إلا فإن الله مريد للخير، كما هو مريد للشر كله.

ولهذا القول أبعاد عقدية خطيرة تجعل من هذا الرأي مستحيلا، فعيسى عليه السلام باعتباره انسانا، له تاريخ ميلاد، وهو ما يجعلنا نقر أن الله تعالى مريد للأمور كلها بإرادته قبل ذلك التاريخ. وإلا، فمن خلق العالم وأوجد المحدثات؟

إن عبد الجبار يؤكد على تمايز الإرادة الإلهية عن إرادة عيسى المسيح، ويبطل كونه مريدا لذلك بإرادة المسيح، وإلا فهو ليس بموجود حي(٣)، إذ أن من خصائص المحدث الحي الإرادة، ولله المثل الأعلى، وعليه فالله مريد بإرادة لا في محل حسب التصور الاعتزالي، ولا يعقل أن يقال إنه عز و جل يريد بإرادة حي آخر، إذ الشاهد يكذب ذلك، و(ما أوجب ذلك في حال يوجبه في كل حال، من حيث علم أن تعلق العلل بما يوجب الحكم له لا يتغير)(٤).

ثانيا: مناقشة الإتحاد من حيث الذات

يفسر النساطرة الإتحاد بأن الله (مازج عيسى وجاوره واتخذه هيكلا ومحلا)(٥)، وهو ما يشكل مادة ثرية للنقد الإسلامي.

وأول ما يطرحه القاضي أن حقيقة هذه الأفعال الممازجة والمجاورة واتخاذ الهيكل والمحل إنما تصح بين الجواهر والأجسام(٦)، وهو ما يستحيل في حق الله تعالى، إذ أنه ليس بجوهر ولا بجسم، كما يدل التخريج الكلامي بدلالة الإلتزام، ولو كان جوهرا، لأخرجه ذلك من أن يكون الها قديما، ولا يعقل خلقه للأجسام(٧).

---

(١)المصدر السابق، ص١٣١.
(٢)المصدر السابق
(٣)المصدر السابق، ص ص١٣١-١٣٢.
(٤)المصدر السابق، ص١٣٢.
(٥)المصدر السابق، ص١٢٣.صبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص٢٩٨.
(٦)المصدر السابق.
(٧)المصدر السابق، ص١٣٠.

ويدرك عبد الجبار أن النصارى تتملص من هذه الإلزامات، فتقول إن المجاورة والممازجة تقع منه على صفة غير الصفة المعروفة من الجواهر، وهو ما يجعله يقرر أن التوظيف اللغوي ينجر عنه الإلتزام بمعنى الألفاظ، إذ(المجاورة لا تعقل الا من هذا الوجه، ولا تصح إلا في الجواهر)(١)، فهو يرفض كل تأويل مجازي أوعقلي لتلك الألفاظ، إذ أن الاختيار اللغوي ينم عن قصد صاحبه.

ويلاحظ عبد الجبار أنه لا يمكن بحال تأويل الاتحاد، كأن نقول إنه تعالى في كل مكان من غير مجاورة، ونريد بذلك التدبير أو معنى مجازيا آخر، إذ أن هذا **معقول المعنى معلوم المجاز**، وليس كذلك قول النساطرة، فهم يريدون بالاتحاد الحقيقة، ولذا لم يعدلوا عنه إلى لفظ آخر، ويشرح ذلك موضحا أن مثلهم كمثل أن تقول:(الله متحد بالمجاورة، ومختص بجسم عيسى في هذا الوجه دون غيره، ثم نقضت ذلك بقولك إنه لا يجاوره كمجاورة الجواهر، وهذا نفي لما أثبته)(٢).

وتوظيف **طريقة الإلزامات**، تلزم النساطرة أن لا يخصصوا عيسى بذلك دون غيره من الأنبياء، ويجوزونه لهم، فهم في مقامه نبوة وإخلاصا؛ وهذا الإلزام لا تلتزم به النساطرة، وهو ما يبطل قولهم، ويجعله متناقضا.

ويستخدم القاضي عبد الجبار تقنية استدلالية أخرى، وهي الاستفهام الإستنكاري، بغية إفحام الخصم وتشويش عقيدته، حتى لا يقره قرار على رأي، يقول:

(لم خصصتم عيسى، بأنه اتحد به دون غيره؟

وهلا جوزتم أن يتحد به في وقت دون وقت، بأن يجاوره في حال دون حال؟

وهلا جوزتم كونه مجاورا للجمادات، ومتحدا بها؟

وأي فضيلة لعيسى بهذا الإتحاد مع أن حاله وحال سائر الأجسام فيه بمنزلة؟،[...]،

ولم صار بأن يكون متحدا بعيسى لهذه العلة بأولى من أن يكون متحدا بالجسم الذي أحياه الله على يده، وفي عين الأكمه الذي أنزله الله على يده؟)(٣).

**وكلها أسئلة يطرحها عبد الجبار تبكيتا للخصم وكشفا لجهله.**

ويلاحظ عبد الجبار أن للمجاورة معنيين يمكن أن يحمل عليهما مذهب النصارى:

١ . فإما مجاورة لكل الإنسان.

٢ . وإما مجاورة لبعض أجزائه.

---

(١)المصدر السابق، ص١٢٤.

(٢)المصدر السابق.

(٣)المصدر السابق.

١ – **فأما القول بأن الله يجاور كل الإنسان**، فإن عبد الجبار يرفضه، إذ أنه لا يصح **أن يكون الله مجاورا لجميع أجزاء الإنسان**، لأن ذلك يوجب كونه أجزاء كثيرة، وقد ثبت **بالدليل كونه واحدا**، كما يوجب أن يكون في حال واحدة وفي أماكن مختلفة، فالتوحيد يقتضي **عدم المجاورة**(١).

٢ – **وأما القول بأن الله يجاور جزء من عيسى**، فلا يصح أيضا، إذ يلزم أن يكون هذا الجزء هو المعني بالاتحاد، وقاصرا عليه، وله من الاختصاص والأفضلية ما ليس لغيره من الأجزاء الأخرى، وهو الذي يظهر عليه المعجز دون عيسى، وهو المسيح والابن والكلمة دون باقي عيسى، وهو مايبطل رأي النساطرة من أصله(٢).

إن عبد الجبار قد توصل إلى أن رأي النساطرة لا يمكن أن يقبل بحال، إذ أنه يفضي **إلى لوازم لا يقبلها النصارى**، وهكذا **يتأكد مرة أخرى بطريقتي التعريف والإلزام أن مذاهب النصارى لا تستقيم على وجه معقول**.

## ٣ – نظرية اليعقوبية

تقول اليعقوبية إن الله حل في عيسى **(بأن صارت مشيئة اللاهوت مشيئة الناسوت)**(٣)، وأن ( جوهر الإله وجوهر الإنسان اتحدا، فصارا جوهرا واحدا)(٤). وعبد الجبار في رده على هذا الرأي اعتمد على نقدين، وهما:

### أولا: الاتحاد من حيث الارادة

يوضح عبد الجبار أن الإرادة باعتبارها خاصة النفس، لها تعلقات مختلفة باعتبار النسبة، فنقول إرادتي وإرادتك وإرادتهم، فتنسب في كل مرة الإرادة إلى معين، كخاصة داخلية ونفسية تمكنه من الإختيار وغيره، ولها تعلق بصاحبها لا تفارقه أبدا، إذ أن(الجسم لا يصح أن يريد إلا بإرادة تحل في بعضه)(٥)، وبهذا التصور السيكولوجي للإرادة يلج عبد الجبار مفهوم اليعقوبية حول الاتحاد، بحثاعن منافذه النقدية.

واليعقوبية ترى أن إرادة اللاهوت هي إرادة الناسوت، وهو ما ينتج مشكلات تعريفية – كما يرى عبد الجبار –، إذ تجعل إرادة الله إرادة للمسيح، مع أنها لم توجد في نفسه، وهم بذلك لا يراعون دلالات الألفاظ، كما لا يراعون الخصائص الوجودية للإرادة، إذ(أن الجسم لا

---

(١)عبد الجبار ،المغني،ج٥، ص١٢٥.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق، ص١١٩.وراجع: صبحي و جبر ، ملحق فلسفة التفكير الديني،ج٢، ص ص٣٠١-٣٠٥.
(٤)عبد الجبار ،المغني،ج٥، ص١٢٥.
(٥)المصدر السابق.

يصح أن يريد إلا بإرادة تحل في بعضه، فإذا صح ذلك لم يجز أن تكون إرادته جل وعز إرادة المسيح، مع أنها لم توجد في بعضه)(١).

ومقارنة الإرادة بالفعل تكشف عن تجانسهما في العلة، فلو صححنا رأي اليعقوبية، وقلنا إن إرادة الله هي إرادة المسيح، فمن اللازم أن(يصح أن يكون فعله فعلا للمسيح مع أنه لم يوجد من جهته،[...]، كما لا تكون الإرادة إرادة للجسم إلا بوجودها في بعضه، فمن أجاز أن تكون إرادة القديم إرادة له، لزمه تجويز كون فعله محلا له)(٢)، فعبد الجبار يعمد في هذا النص إلى المقايسة بين الفعل والإرادة، فإذا كان لايصح أن ننسب فعل الله إلى المسيح، فكذلك لايصح أن ننسب إرادة الله إلى الإنسان، كما لا يصح العكس، إذ أن الإرادة لا تفرق عن الفعل في شيء، ولذا فلا داعي للتمييز بينهما في الحكم.

ويشكل اختصاص عيسى الناسوت بالاتحاد مدخلا نقديا آخر، يقول عبد الجبار:(فلم صارت إرادته، بأن تكون إرادة للمسيح أولى من أن تكون إرادة لسائر الأجسام مع أن تعلقها به كتعلق سائر الاجسام)(٣)، فليس للناسوت عيسى ميزة تميزه عن غيره من الأجساد، حتى يكون له هذا الإختصاص، وإن جعل النصارى سبب ذلك ظهور المعجز على المسيح، لزمهم أن يجعلوا الاتحاد خاصة لكل نبي قياسا عليه، وهو ما يرفضه اليعاقبة ولا يلتزمون به.

والإرادة الإلهية -عند عبد الجبار- تنحو نحو الخير فقط، ولا تعلق لها بالقبيح، وهو ما لا يستقيم مع قول اليعاقبة؛ فقولهم إن مشيئة اللاهوت هي مشيئة الناسوت، ينتج عنه أن الله مريد للخير والقبيح، وأن المسيح بإنسانيته سيقع في القبيح من حيث لا يدري، وهوما يستحيل في حقه تعالى، إذ أنه (يوجب أن يريد أحدهما القبيح من حيث يستحيل ذلك في الله جل وعز)(٤)، وهو إلزام آخر لا يقبله النصارى.

ويرى عبد الجبار أن من لوازم هذا الرأي أن ما يريده الإنسان هو ما يريده الله، (ولا يصح أن يريد أحدهم خلاف ما يريده تعالى، ولا يكره ما يريده، ولا تختلف أحوالهم في ذلك إذا أراد القديم تعالى)(٥)؛ فما أراده الناسوت هو ما أراده اللاهوت، ولو أخطأ فهو خطأ اللاهوت، ولو اشتهى أكلا، فهي رغبة اللاهوت، وذلك ما لا يتفق مع التوحيد الكلامي.

**ثانيا:الاتحاد من حيث الذات**

يرى اليعقوبية أن(جوهر الإله وجوهر الإنسان اتحدا، فصارا جوهرا واحدا، أقنوما واحدا، طبيعة واحدة)(٦)؛ فالإتحاد امتزاج ماهوي بين الجوهرين، ليصيرا جوهرا واحدا.

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق، ص١٣٧، وصبحي و جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية،ج٢، ص ص٣٠١-٣٠٥.

وهذه المقالة أثارت ردودا عنيفة من الفكر الإسلامي، إذ هي- في نظره- أبعد في الضلال، فقد أجازت امتزاج واتحاد الذات الإلهية بالجسم والمحدثات، فينتج عنه أن الله جسد، ويقبل مخالطة الأجساد؛ فاليعقوبية قد أغرقت في التجسيد، وهو ما يفسر استنفاذها جهود النقد الإسلامي في الرد عليها(١).

وعبد الجبار أفاض في الرد عليها؛ فالقول بأن جوهر الإله وجوهر الإنسان صارا جوهرا واحدا يمكن أن يعترض عليه في نظره من جهات مختلفة، ومنها مايلي:

**أولا:**(أن الشيئين يستحيل أن يصيرا شيئا واحدا في الحقيقة، كما يستحيل أن يصير الشيء الواحد شيئين)(٢)؛ فالشيء له خاصة التمايز عن الغير، ولا يمكنه بحال الامتزاج الماهوي به. صحيح أنه يمكنه الاختلاط، ولكن التمازج الماهوي هو ما لا تقبله فلسفة عبد الجبار الطبيعية والإلهية.

**ثانيا:**(أن اللاهوت لو جاز له أن يتحد بالناسوت ويصير شيئا واحدا، لجاز أن يصير الجوهران بالمجاورة جوهرا واحدا،[...]، فإذا بطل ذلك، ولم يؤثر تعلق الشيء بغيره في هذا الباب على اختلاف وجوه التعلق فيه، بطل القول بأن اللاهوت باتحاده بالناسوت صار شيئا واحدا)(٣)؛ فعبد الجبار بطريقة التعريفات يلزم النصارى أن كل مجاورة هي اتحاد، وعليه فكل متجاوران فهما متحدان، وهومايلزم القول بالاتحاد مع كل الناس **بدلالة الإلتزام**، وهو عين ما يرفضه النصارى(٤).

**ثالثا:** يلاحظ عبد الجبار أنه(يجب على هذا القول أن يكون المسيح قد صار بعد ما كان محدثا قديما باتحاد اللاهوت فيه، ويستحيل أن يصير المحدث قديما، كما يستحيل أن يصير القديم محدثا)(٥). فالقول بأن الله القديم قد اتحد بالناسوت المحدث هو جمع بين النقيضين وتغيير للماهياتين بما لا يتفق مع طبيعتهما؛ فلا القديم يصير محدثا ولا المحدث يصير قديما، وفي ذلك مناقضة بدلالة **طريقة التعريفات**.

ويظهر من هذا النقد أن عبد الجبار يرفض تعريف اليعقوبية للاتحاد، إذ بدا له أن **طريقتي الإلزام والتعريفات لا يمكنهمابحال أن تقبله، والعقيدة لا تؤخذ إلا بالعقول كما تبين من قبل.**

ويمكننا الآن أن نقيم جملة ردود عبد الجبار على مسيحولوجيا الفرق النصرانية

---

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص٣٦٩.
(٢)عبد الجبار،المغني،ج٥، ص١٣٧.
(٣)المصدر السابق.
(٤)المصدر السابق، ص١٣٧.
(٥)المصدر السابق، ص١٣٨.

المختلفة، فقد تعامل معها على أساس أنها نسق استدلالي كلي ومترابط، ينظر إليه بعين النقد من زاويتن:

١. **أن التجسد نظرية عقدية متكاملة لها مسلماتها، ومصادرتها**، وهو مايسمح بفحص تناقضها، واختلافها الداخلي، كأنها **نسق رياضي؛ فالمفاهيم المسيحولوجية هي الكائنات المنطقية، والتقريرات العقدية هي العلاقات الكامنة بين هذه الكائنات. والرد مختص بفحص هذه العلاقات، إثباتا ونفيا، صحة وخطأ، إسلاما وكفرا.** فتفحص النظرية على أنها كل متكامل، ليكتشف التناقض و التضارب، واللامعقول فيها.

٢. أن التجسد **نظرية يفترض فيها الاتساق مع المعقول والوجود، بل المعقولية**، وهو ما يسمح بإقحام العقل في فحص هذا الاتساق مع المعقول، ولذلك أدرج القاضي القياس في جملة أدوات الإستدلال والنقد؛ **فالمقايسة تفترض الاتساق في الوجود**، وتكرر النتائج والأحكام واطرادها، بتكرر العلل.

**وهاتان الزاويتان قد سمحتا لعبد الجبار بإعطاء تصورعقلي ونقدي متكامل للتجسد، وفحص اتساقه، ومخالفاته للمعقول.** ويبقى علينا أن نتناول العنصر الثاني من المسيحولوجيا، **وهو الصلب.**

## المبحث الثالث

## رد القاضي عبد الجبار على عقيدة الصلب

لم تحظ عقيدة الصلب باهتمام كبير من المفكرين المسلمين، إذ أن أغلبهم لم يتناولها بالنقد، ويبدو أن مرد ذلك إلى عدم إيمانهم بصحة الأناجيل، فمشكلة الصلب هي مشكلة نقلية تاريخية قبل كل شيء، ويعني هذا أن نقد الكتاب المقدس كفيل بأن يسقط كل مصداقية لهذه العقيدة(١).

و قد أولى عبد الجبار عقيدة الصلب أهمية، فعرض لها

(١)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص٣٩٢-٣٩٣

في كتابه **المغني**(١)، وأفاض فيها في كتابه **التثبيت**(٢). والقاضي في تحليلاته للصلب كان واعيا بأن **الصلب عند النصارى ليس مجرد واقعة تاريخية، وإنما هو نظرية عقدية لها خصائصها، ولم تعدم من وجود اختلافات بشأنها بين الفرق النصرانية المختلفة**(٣)، كمايلي:

١. **فالنسطورية** تقول:(إن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته)(٤).

٢. **والملكانية** تقول:(إن الصلب وقع على المسيح بكماله، والمسيح هو اللاهوت و الناسوت)(٥).

٣. **واليعقوبية** فيقولون:(إن الصلب والقتل وقعا في الجوهر الكائن من الجوهرية، اللذين هما الإله والإنسان، وهو المسيح في الحقيقة)(٦).

والخلاف في ذلك راجع إلى قولهم بالتجسد، كما سبق عرضه(٧).

ويبدومن عروض عبد الجبار أنه كان على وعي بالتاريخي والتأويلي من قضية الصلب ، كما يلي:

١. **فالتاريخي** من الصلب هوإثبات وقوع والصلب على شخص يدعى المسيح عيسى، وعده **مسلمة وحقيقية تاريخية**.

٢. **والتأويلي** هو التفسير النصراني المدرسي لتلك الحادثة، ومعناه في العقيدة، أن يفسرعلى أنه قتل للجوهر الجامع، أو للناسوت أوغير ذلك، **فداء** للناس، وعده **تأويلا عقديا لرسالة المسيح**.

والمتتبع لنقد القاضي يلفيه قد أهمل **الدراسة التأويلية**، فلم يورد على النصارى اعتراضات عقلية كلامية بينة، وإن لم يخف تعجبه من عقائدهم، يقول(وقالوا: وقد وصفوا صنيع اليهود بالمسيح: إنهم لطموا الإله، وضربوه على رأسه، و**عجب** إله يضرب على رأسه، **وتعالوا فانظروا إلى الإله يلطم و يضرب على رأسه**)(٨). و يقول أيضا:(قالوا وفي بشارة الأنبياء: **أن الإله يجيء، وتحبل به امرأة عذراء، و تلده، و يؤخذ، ويصلب، ويقتل**)(٩)، ويضيف معلقا:(فهذا يرحمك الله كما ترى وتسمع، فلولا أن رأينا قوما عقلاء، يقولون هذا، وسمعنا منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم، فنطقوا به بعد الجهد، وأخرجوه من غوامض أسرارهم، **لما صدق الناس أن في الدنيا من قال هذا أو نطق به**)(١٠).

---

(١)عبد الجبار ،المغني،ج٥،ص ص ١٤٢-١٤٣.
(٢)عبد الجبار ،تثبيت دلائل النبوة،ج١،ص ص١٣٧-١٤٤.
(٣)راجع:Danielou et Marrou,histoire de l'eglise,t1,pp290-310.
(٤)عبد الجبار ، المغني،ج٥، ص٨٤.
(٥)المصدر السابق.
(٦)المصدر السابق.
(٧)راجع ما كتبناه في مبحث عرض المسيحولوجيا.
(٨)عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة،ج٢،ص١٠٤.
(٩)المصدر السابق، ص١٠٥.
(١٠)المصدر السابق.

ويستحمقهم مرة أخرى، فيقول:(وإذا تأمل العاقل الأمور، وفتش وطال بحثه وجهد، رأى الجهل في الأمم والأقاويل المشتملة على الحمق، كانت في الأمم قبل الإسلام)(١)، ومرد هذا الحمق أن هذا الكلام لا يليق بالله تعالى -كما يفيد التخريج الكلامي-؛ فالله واحد و متعال، وليس كمثله شيء،و القول بصلب الله جهل به وبالطرق المؤدية إليه(٢).

**وقد يكون اهمال القاضي لمناقشة الصلب التأويلي أنه عده من قضايا التثليث والتجسيد**، والدليل أنه لم يتناوله إلا مع التجسد(٣)، إذ أن **كل دليل أورده على التثليث أو على التجسد يصلح ردا على الصلب التأويلي**، فالرد على الأقانيم وعلى طبيعة المسيح وعلى جزيئات التجسد، كلها ردود عليه

وأما الجانب التاريخي من الصلب، فقد أولاه القاضي اهتماما قل أن نجد له نظيرا بين المفكرين المسلمين في القرون الأربعة الهجرية الأولى(٤)، إذ استعرضه بتوجه نقدي مميز.

**وبتتبع جزئيات ردود عبد الجبار على النصارى نلفي أن ما أثاره في الصلب التاريخي هو الجانب النقلي منه**، ويتمثل فيما يلي:

١. **نوع رواية الصلب.**
٢. **توثيق روايات الصلب الآحاد.**
٣. **هوية المصلوب.**
٤. **ظروف التعرف على المصلوب.**

## أولا: نوع رواية الصلب

**إن موقف القاضي من رواية الصلب هو امتداد لموقفه من مصادر الدين النصراني، فلما كانت هذه غير مقبولة من الناحية التوثيقية**، علم أن كل مضامينها غير مقبولة أيضا.

ويلاحظ عبد الجبار أن رواية الصلب لم تبلغ **حد التواتر**، رغم أن اليهود والنصارى يدعون العلم بذلك والمعاينة والمشاهدة،(وأنهم قد تلقوا ذلك، الجمهورعن الجمهور، والأمم عن الأمم، وصار النصارى خاصة يسخرون من المسلمين، إذا قالوا ما كان هذا من شيء)(٥).

ويؤكد عبد الجبارأنه ليس لهم من الأدلة على ذلك شيء، ويدل على ذلك، أنه لو كان

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السابق، ص١٤١.
(٣)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٤٩.
(٤)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٣٨١.
(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٢٢.

حقا ما يقولون، لما سكت العرب واليهود والنصارى عن الرسول، وهو الذي تحداهم بأن يأتوا بمثله، وأنه لا ينطق إلا عن وحي يوحى،(فتأمل إلى إقدامه على أمتين عظيمتين من أهل التحصيل والعقل، قد أجمعوا على أمر وسبقوه في الزمان، وهو أشد الناس حرصا على تألفهم وإجابتهم واستمالتهم، فأكذبهم وردهم، ولو كان منقولا لتهيب، ولم يقدم على ذلك خوفا من أن يكون الأمر كما قالوا، وكما ادعوا، فيبين كذبه، ويرجع عنه من كان قد تبعه)(١)، **فيستغل عبد الجبارعدم تشكيك العرب في قول النبي وسكوت اليهود والنصارى كي يثبت أن ليس لهم علم بالصلب ، ولو كان لهم به علم لاستنكروا ذلك عليه وطعنوا فيه، وهم الذين اتهموه بالسحر والشعر.**

وكل هذا يبين به عبد الجبار أن النصارى ما عاينوا الصلب، وما شاهدوه، (لأن تلك الجماعات لو قد كانت شاهدت ذلك وعلمته، لكان من لقيهم وسمع منهم في مثل حالهم في العلم بذلك، فكان يكون كل من لقي النصارى و اليهود وسمع ذلك منهم عالما بذلك، فكنا نكون في مثل حالهم في العلم بذلك)(٢)؛ فالصلب لم تنقله الجماعة الكثيرة العدد، ولذلك لم تصلنا أخباره، **ويكون عدم انتشار خبره دليلا على عدم صحته.**

وقد يكون في هذا الحكم تعسف إذ أنه **قد توجد دواعي الانقطاع الثقافي**، فأخبار الصين المتواترة مثلا، لا علم للعرب بها، وليس ذلك داعيا لرفضها، ولذلك لا يصلح دليلا بهذه الصفة.

وأما اذا كان يقصد أن الصلب لم تتوفر له **دواعي التواتر**، فيؤيده النقد التاريخي، إذ أن مرد هذه الاعتقادات إلى الأناجيل الأربعة، وهذا دليل على عدم تواتره.

فحادثة الصلب في نظر عبد الجبار لا تعدو أن تكون **خبر آحاد**. ولما كان الصلب التاريخي أساسا للصلب التأويلي، **لم يصح اعتماده دليلا في العقائد، إذ لا يؤخذ فيها بالآحاد**، إذ أنه يمكن أن يعتري هؤلاء الرواة الخطأ والنسيان والكذب، وغير ذلك من الدواعي والصفات التي يمكن أن تسقط قيمة الرواية(٣).

ويلاحظ عبد الجبار أن النبي عليه السلام يدعي الإعجاز في كلامه، فلو كان مدعيا في نفيه الصلب لما سكت عنه العرب، وهم الذين كانوا ينشدون كل سبيل يشككون به في نبوته عليه السلام، ولردت عليه اليهود والنصارى أجمعين، يقول:

> (والأوس والخزرج واليهود والنصارى مع كثرتهم في جزيرة العرب، وهم يسمعونه يكذب ويبهت، وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذب في ذلك، وهذا لا يكون مثله ولا يقع من العقلاء. ومن تدبر الأموريعلم جهل من ادعى علم اليهود النصارى بما قدمنا بأدنى تأمل، وكيف لم يجر في هذا القول معه، فيقول له أعداؤه من قريش وغيرهم: ادعيت الصدق والنبوة، ثم كذبت الكذب الظاهروبهت

---

(١)المصدر السابق، ص١٢٣.
(٢)المصدر السابق، ص١٢٤.
(٣)المصدر السابق، ص ص١٢٤-١٢٥.

الأمم البهت المكشوف.

**فقلت:** المسيح لم يقتل ولم يصلب،وهذه الأمم كلها تعلم ذلك علما لا يرتاب به كما تعلم أن موسى وعيسى كانا في الدنيا، ومن كانت هذه سبيله لم يصدقه عاقل، ولم يكن له رئاسة، وكيف لم يقولوا لمن اتبعه: يا هؤلاء، أكفرتم آباءكم، وضللتم أسلافكم، وأنفقتم أموالكم، وعاديتم ملوك الأرض وجبابرتها وجميع الأمم، وسفكتم دماء كم في طاعة كذاب قد عرفتم كذبه و بهته)(١).

فهذا النص يفيد أنه لم يثبت تاريخيا أن أحدا رد على النبي عليه السلام في نفيه الصلب، فقد خالف الأمم الكثيرة النصارى واليهود، وليس في ذلك من دلالة سوى أن هذا الصلب مشكوك في صحته عندهم. فسكوتهم عن الرد هو اعتراف بصحة قول النبي عليه السلام، إذ أن الدواعي متوفرة للرد عليه، فلم يمنعهم شيئ عنه، وهم الذين اتهموه بالسحر والكذب، و(هذا أمر ظاهر بين، يستدركه رعن النساء فضلا عن عقلاء الرجال، فأين كانوا عنه، وقد خرجوا معه وفي عداوته إلى شدائد الأمور من شتمه وهجره والغدر به ومساعدة قريش في محاربته وبذل الأموال، والمهج في مكارهه؟)(٢)، فعبد الجبار في التدليل على نبوة محمد عليه السلام، وإثبات تهافت قول النصارى في الصلب يوظف ملابسات القول النبوي ليثبت فساد المقالة النصرانية.

والحق أن التاريخ لم يحفظ لنا ردا نصرانيا على نفي النبي عليه السلام للصلب في عهده، رغم وصول خبره إليهم، فهذا النجاشي وهو الملك النصراني لم يعرف له رد. وأما بعد ذلك العصر مع نشأة الردود الإسلامية على النصارى، فقد عرفت ردود كثيرة على هذا القول(٣)، ويبقى أن نقول أن ما ذكره عبد الجبار لا يكذبه التاريخ المعرفي.

فالقاضي يخلص إلى إنكار ثبوت تواتر الصلب، إذ للتواتر قرائن، كانتشار العلم بالأمر، واشتهارذلك، ومعقولية الحدث، فالفعل له خصائص وجودية معقولة وممكنة، ولايمكن أن تخرق إلا بمعجزة. ولذلك، الصلب لا تزيد عن كونه رواية آحاد،ويحتاج إلى دراسة نقدية أخرى لقبوله.

---

(١)المصدر السابق، ص١٣٢.
(٢)المصدر السابق، ص١٣٣.
(٣)راجع:الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص٣٧٨-٣٩٥.

ويظهر من خلال هذا العرض أن عبد الجبار تعامل مع قضايا روايات الصلب التاريخي على أنه قضايا حديثية، حيث وظف أدوات الدراسة الحديثية، فالرواية آحاد أومتواترة كما هي في درس مصطلح الحديث، وهو ما يفتح ميدانا تطبيقيا جديدا لعلم مصطلح الحديث، و يجعل له وظيفة أخرى لم تدرس بعد.

## ثانيا: توثيق روايات الصلب الآحاد

وتكفي الدلالة على آحادية الصلب لرفض الاحتجاج بها؛ إذ الإعتماد في العقائد على الأخبار المتواترة.

ونلفي عبد الجبار مرة أخرى يقدم مدللا أن هذا الخبر الآحاد لم يصل درجة القبول حتى يحتج به،إذ لا يكون ذلك إلا بتظافر مواصفات مختلفة، أخلاقية وضبطية تتوفر في ناقلي الخبر. تلك التي لم تتوفر في رواة الأناجيل كما تبين لنا في دراسة مصادر الدين النصراني سابقا(١)، فصار الاعتماد عليها في الاحتجاج على الصلب هومجازفة واتباع للظن.

فالعلم لا يقع بخبر رواة الأناجيل الأربعة، إذ أنه ( قد علم أن الأربعة يجوز عليهم التغيير والتبديل والتهمة للكذب، فكيف يصح الاعتماد على نقلهم فيما يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز،[...]، وبهذه الطريقة أبطلنا مانقلوه من قتل عيسى وصلبه، لأن أصل نقلهم هو هؤلاء الأربعة)(٣). وتظهر اعتزالية عبد الجبار من جديد، فخبر الآحاد لا يفيد اليقين بحال، و علل ذلك بأن الآحاد من الرواة يجوزعليهم الكذب والخطأ، إذ لا رقيب عليهم.

أضف إلى هذا، أن هؤلاء الأربعة يوحنا ومتى ولوقا ومرقس لم يروا المسيح ولم يعاصروه، واختلفوا فيما بينهم وتناقضوا، فيلزم الإحتياط ورفض الاحتجاج بأخبارهم، إذ لا وثوق بها(٤).

---

(١)عبد الجبار،تثبيت دلائل النبوة،ج١ ص١٣٤.
(٢)راجع الفصل الثالث، مبحث نقد توثيق المتب المقدسة
(٣)عبد الجبار، المغني،ج٥ ص١٤٣.
(٤)المصدر السابق.

إن عبد الجبار يستنكر اعتماد النصارى على الأناجيل الأربعة في تقرير الصلب، فالمسيح لم يقتل ولم يصلب، بل حفظه الله منهم.

## ثالثا: ظروف التعرف على المصلوب

من المداخل النقدية التي وظفها عبد الجبار في الرد على عقيدة الصلب ظروف التعرف على المصلوب، ناهجا نهجا تحليليا لأحداث الصلب، بحثا عن منفذ نقدي آخر لها، يقول:( **إن النصارى لو رجعت الى أخبارها وإلى ما في أناجيلها الاربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسيح، إذا كانت هذه الأناجيل معولهم**)(١)، ويشرح ذلك في صفحات طويلة، نوجزمنها مايلي.

تبدأ قصة الصلب مع توجه اليهود في خميس الفصح إلى **هيريدس صاحب فيلاطس ملك الروم**، وقالوا له:( هاهنا رجل منا قد أفسد أحداثنا وغرهم، ولنا عليك في الشرط أن تمكننا ممن هذه سبيله لتنفذ حكمنا فيه)(٢).

فأمر الملك أعوانه أن احضروا المسيح، فخرج الأعوان مع اليهود بحثا عنه، يسألون الناس: هل تعرفون خصمنا، فما وجدوا أحدا سوى **يهوذا سرخوطا** أحد خواص المسيح وأحد الاثني عشر، فرفض أن يدلهم إلا بعوض، و(قال: فمالي عليكم إن أنا دللتكم عليه؟ فحل بعض اليهود عن دراهم كانت معه فعد ثلاثين درهما وسلمها إليه، وقال: هذه لك.

فقال لهم: هو كما قد علمتم صديقي، واستحي أن أقول هذا هو، ولكن كونوا معي، وانظروا إلى الذي أصحابه وأقبل رأسه، فإذا أرسلت يدي من يده فخذوه)(٣).

فقصدو بيت المقدس واجتمعوا إليه لإقامة هذا العيد من كل مكان.

(فصافح يهوذا سرخوطا رجلا وقبل رأسه، وأرسل يده من يده، وغاص في الناس، فأخذه اليهود والأعوان،

فقال المأخوذ: مالي وما لكم، وجزع جزعا شديدا،

فقالوا له: السلطان يريدك، فقال: مالي وللسلطان؟

فجاءوا به، فأدخلوه على هيريدس، وقد طار عقله خوفا وجزعا، وهو يبكي، فما يملك نفسه، فرحمه هيريدوس لما رأى به من الخوف)(٤).

ثم كان أن سأله، فقال له:(ما تقول فيما يدعي هؤلاء عليك من أنك المسيح ملك بني اسرائيل، هل قلت هذا أو دعوت إليه ؟.

فأنكر أن يكون قال هذا أوادعاه، ومع هذا فما يسكن قلقه، وهيريدس يسكنه،

---

(١)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١، ص١٣٧.

(٢)المصدر السابق، ص١٣٨و المشهد من: لوقا، إنجيل لوقا،٢٢/١-١٥.

(٣)المصدر السابق و المشهد من لوقا، إنجيل لوقا،٢٢/٤٧-٥٣.

(٤)المصدر السابق والمشهد من لوقا،إنجيل لوقا،٢٢/١-١٥.

ويقول له: اذكر ما عندك من حجة إن كان لك، فلا يزيد على إنكاره، وأنه لا يقول ذلك، وأنهم هم الذين يقولون ذلك لا هو، وأنهم قد ظلموه بهذه الدعوى، وتقولوا عليه)(١).

فاستنكر هيريدس مقالة اليهود فيه، وقال:(ما أراه يوافقكم، ولا يقول ما تدعونه، وما أراكم إلا متقولين عليه ظالمين له)(٢).

ويبدو أن اليهود لم يعجبهم هذا الأمر، فرفعوا أمرهم واستنجدوا **بفيلاطس ملك الروم**، فيكتب هذا إلى هيريدس، يقول له:( بلغني أن اليهود رفعوا إليك خصما لهم فيه أرب ومعرفة، فأنفذه إلي لأفاتحه، وانظر ما عنده، فأنفذه إليه)(٣)، فلما جاء فيلاطس كان أن سائله عما ادعاه عليه اليهود من أنه المسيح، فأنكر المصلوب ذلك(٤).

فرد على اليهود قائلا:( ما وجدت في هذا الرجل ما قيل فيه، وما عنده خير، ونسبه إلى النقص والغباء)(٥)، وأدخل السجن(٦).

(فلما كان من الغد بكر اليهود وأخذوه وشهروه تلك الشهرة، وعذبوه ونالوه بأنواع العذاب، ثم ضربوه في آخر النهار بالسوط، وجاؤوا به إلى مبطخة ومبقلة، وصلبوه وطعنوه بالرماح ليموت بسرعة، و ما زال يصيح بأعلى صوته وهو مصلوب على خشبة: يإلهي، لم خذلتني؟ يا إلهي، لم تركتني؟ إلى أن مات)(٧). وبهذا المشهد الختامي تنتهي مأساة مسيح النصارى بالصلب.

ويمكننا أن نستنتج من عرض عبد الجبار مايلي:

**أولا:** أن عبد الجبار بقناعاته السابقة المتعلقة بتوثيق الأناجيل لا يمكنه أن يقبل الاحتجاج بها في مسألة تاريخية، ورغم ذلك فقد سمح لنفسه بقراءتها قراءة تأويلية للكشف عن هوية المصلوب.

**ثانيا:** أن هذه الرواية التي استدل بها عبد الجبار لا يمكن إرجاعها إلى إنجيل معين، والراجح أنها إعادة تركيب لأحداث الصلب من الأناجيل المختلفة، إذ أن الأحداث التي ترويها لا يمكن إرجاعها إلى إنجيل بعينه.

وتبقى مشكلة تعيين الأناجيل المعتمدة في هذا النقد، أهي الأناجيل الأربعة فقط، أم أدخل غيرها أيضا؟ أم هي نقل من مصادر إسلامية أخرى؟ أم هي صدى لفرق نصرانية غير الثلاثة المشهورة؟ أم من فرق يهودية أخرى؟ وكلها احتمالات واردة.

---

(١)المصدر السابق، ص١٣٩. والمشهد من متى: إنجيل متى،٢٦/١١-١٧.
(٢)المصدر السابق، يشبه ذلك إنجيل متى،٢٦/٢١-٢٧.
(٣)المصدر السابق.و المشهد من لوقا،إنجيل لوقا،٢٣/١-١٥.
(٤)المصدر السابق، والآية من الإنجيل السابق.
(٥)المصدر السابق، والآية من الإنجيل السابق.
(٦)المصدر السابق، والآية من الإنجيل السابق.
(٧)المصدر السابق، ذكر هذا المشهد: متى ،إنجيل متى،٢٧/٤٦،ومرقس،إنجيل مرقس،١٥/٣٤.

والأكيد أن عبد الجبار قد اعتمد في هذه الصياغة على الأناجيل الأربعة، فكثيرا من عناصر روايته قد ذكرت فيها، وتتفق جملة مع لوقا، في كثيرمن أحداث الصلب(١)، وكلامه يفيد أنه اعتمدها جميعا، فقد قال في مطلع استدلاله:(على أن النصارى لو رجعت إلى أخبارها، وإلى ما في أناجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غيرالمسيح، إذا كانت هذه الأناجيل هي معولهم)(٢).

وهناك اختلافات تفرق روايات الأناجيل الحالية عن رواية عبد الجبار، ومن ذلك جعله بيلاطس هو الذي بعث إلى هيرودس، وليس العكس، وإكثار نص الإنجيل من ذكر كلمة يسوع، واختفاؤها في نص عبد الجبار، فقد استخدم بدلها كلمات أخرى كالرجل، والمأخوذ بصيغة المجهول، وقد جعلها الشرفي سببا للطعن في قيمة عبد الجبار وأمانته العلمية. وذلك أمرغير مقبول، إذ لا يمكن الوثوق بنتائجه(٣)، حيث توجد عوامل قد أهملها، ولها دور خطير وفعال على نتائجه، ومن ذلك الترجمة، فنص الإنجيل قد تعرض لترجمات متعاقبة، ولا يمكننا معها أن نتعرف على ألفاظ النص الحقيقي. كما أن **الترجمة التي بين أيدينا ليست هي التي كانت في عهد عبد الجبار**، ولا تخفى أهمية هذه النقطة، إذ تكمن وراءها مشكلة الألفاظ والإضمار والإخفاء وغير ذلك من التقنيات الأسلوبية(٤). أضف إلى هذا التعديلات المتعاقبة التى تجرى على نص الأناجيل من حين إلى آخر، وهو مايجعل الوثوق بأسلوب الإنجيل الحالي صعبا للغاية، فأولى بنا إن رمنا تحقيق هذه المسألة أن نعود إلى الإناجيل المترجمة والسائدة في عهد عبد الجبار، حتى نعطي الرجل حقه.

ومهما يكن من أمر، فإننا في حاجة إلى معرفة نتائج عبد الجبار بعد هذا العرض لأحداث الصلب، والتعرف على هوية المصلوب. فبعد أن ذكر الرواية السابقة، أطبق يبحث عن مداخل نقدية للرواية، أوالروايات الإنجيلية، ومن ذلك مايلي:

**١ – الدال على المسيح**

لا يمكن في نظر عبد الجبار أن نثق بمن دل على المسيح، إذ هو راو مجروح بمعايير المحدثين، ورواية المجروح و إخباره مردود، فمعلوم (أن الذي دل عليه، لو كان ظاهر العدالة لما عرف بخبره ولا بشهادته شيء)(٥)، أضف إلى هذا أن فعلته هذه خيانة، وسبب لتجريح عدالته، وهو ما يسقط الإحتجاج به؛ فالمجروح مردود الرواية.

---

(١)لوقا، إنجيل لوقا،٢٣/١-١٥.
(٢)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،ج١ص١٣٧.
(٣)الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٣٨٩. حيث أحصاها، واستنكر على عبد الجبار هذه الإختلافات، وعدها تصرفا فى النصوص بغير أمانة.
(٤)جبير، نشأة المسيحية وتطورها، ص ص١٤-٣٤.
(٥)عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص١٤١.

٢ - عدم تعرف الروم واليهود على المسيح

اتضح لعبد الجبار من روايات الأناجيل المختلفة أن الروم واليهود لم يتعرفوا على المسيح، وكان أن استنجدوا بمن يدلهم عليه، وهو قرينة دالة على أنهم ما عرفوه. فإذا كان فعل القتل والصلب قد وقع حقا، وإذا كان هنالك مقتول حقا، فإنه ليس لدينا مايؤكد أن المصلوب هو المسيح(١).

٣ - إنكار يهوذا لهوية المصلوب.

يذكر عبد الجبار أن يهوذا سرخوطا لقي اليهود بعد الصلب ، وقال لهم:

(ماذا صنعتم بالرجل الذي أخذتموه أمس؟

قالوا: صلبناه،

فتعجب من هذا، واستبعده،

فقالوا له: قد فعلنا، وإن أردت أن تعلم ذلك فصر الى المطبخة الفلانية،

فصار إلى هناك، فلما رآه،

قال: هذا دم بريء، هذا دم زكي)(٢).

كما يروى(أن يهوذا سرخوطا قال: هذا دم بريء، وبريء منهم، ورد الدراهم، ورجع إلى بيته، وقتل نفسه ندما على ما كان منه)(٣).

فيوظف عبد الجبار هذا المشهد،مشهد حيرة يهوذا، وقوله "هذا دم بريء" ليثبت أن يهوذا عرف أن المقتول غير المسيح، يقول:( فكم في هذا من دلالة على أن المقتول المصلوب غير المسيح، فأنتم لا إلى حجج العقول ترجعون، ولا إلى ما كتبتم وسطرتم تتدبرون، ولا ما نعلم تعولون، ولكنكم تمشون مكبين على وجوهكم)(٤).

٤ - أحداث الرواية مع السلطان

ذكر عبد الجبار أن من مداخل نقد هذه الرواية جزع المصلوب حينما سئل، و(قلقه وإنكاره، ولو كان هو المسيح لأخبر بذلك، ولقال: أنا هوالذي بشر بي الأنبياء، وإنني كذا وكذا، سيما والحاكم بينه وبين اليهود ملك الروم، وهم أعداء اليهود، وكان قد أقام الحجة عليهم، هذا لو كان نبيا، فكيف وهو عند النصارى إله؟!!، فإن الأنبياء يبتدئون الدعوى والحجة عند من لم يسأل ذلك، فكيف بمن يسأل و يرغب إليهم)(٥)؛ فالنبي كشخص غير عادي تفترض فيه مواصفات نفسية وأخلاقية عالية، وهومالا يتفق مع وصف الأناجيل للمصلوب وحاله أمام السلطان؛ إذ تصفه بما لا يليق به.

فعبد الجبار وظف أحداث رواية الصلب ليثبت أن المصلوب غير المسيح. فالمسيح بألوهيته -كما يرى النصارى- لا يتصور منه الإنكار؛ فكيف ينكر أنه جاء بدين جديد، أوأنه الإله حقا، فهذا المقال لا يتماشى مع شخصيته التي تصورها الأناجيل؛ أنه إله، وأحد الأقانيم،

---

(١)المصدر السابق.
(٢)المصدر السبق، ص١٣٧.
(٣)المصدر السبق، ص١٤١.
(٤)المصدر السابق.
(٥)المصدر السابق.

وله صفات الربوبية، فجزعه يدل على خوفه، ويدل على ضعفه، وإنكاره يدل على كذبه، وهو ما تتعالى عنه الألوهية والنبوة.

ويظهر من هذه المداخل المتعاقبة على رواية الصلب أن عبد الجبار يرفض الصلب التاريخي من أصله، **فليس هنالك من دليل مثبت له سوى هذه الأناجيل الاربعة التي لم تلق التوثيق الكافي؛ فليست متواترة، ولا حتى خبرآحاد مقبول؛ إذ لم تتميز بالسند القوي كما اتضح في دراسة مصادر الدين النصراني، كما أن مضامينها معلولة.**

إن ما يطرحه عبد الجبار جدير بالدراسة، فروايات الأناجيل تطرح عدة اشكالات نقدية، إذ أنها لم تختلف في مسألة، كاختلافها في تفاصيل مسألة صلب المسيح وقتله(١).

ويظهر من هذا العرض أن عبد الجبار قد اهتم بالتحقيق في النصوص النصرانية المعتمدة، ليستخرج منها عناصر نقدية للصلب التاريخي. ولا يخفى أن الصلب التاريخي قد حوى كثيرا من الجزئيات التي تطرح تساؤلات على المعرفة، فاختلاف الاناجيل الأربعة حوله يجعل النقد يحتار في أمره(٢)، ورغم ذلك فإن القاضي لم يهتم بالاختلافات الواردة والمتعارضة بين الأناجيل الأربعة بخصوص الصلب، معتمدا على دراسة نقدية للأحداث، من غير التفات للمقارنة بينها للكشف عن ثغرات الرواية.

**إن عبد الجبار قد حاول أن يعطي مفتاح قراءة أخرى وممكنة لأناجيل الصلب تكون نتيجتها أن المصلوب غير المسيح، بل شخص آخر شبه عليهم،** لتتفق النتائج النقدية مع التصورات القرآنية للصلب.

إن رد عبد الجبارعلى المسيحولوجيا اعتمد منطلقات القرآن ومواقفه من المسيح في البحث، ونخص بالذكر منها **مفهوم التحريف ومفهوم الإعجاز، فقد كان لهما دور في تحديد كيفية استكشاف المسيحولوجيات النصرانية، وجعلا الرد يهتم بالدراسة التاريخية للعقائد، فبحث تحريف المسيحولوجيات وكيفياته، ومصادره وأغراضه، ليكون دالا على نبوة محمد عليه السلام، وهو النهج الذي سماه عبد الجبار بمنهج المخالفة في الاصول والفروع، مسجلا بذلك فتحا جديدا في الرد الإسلامي على النصارى،** وهو ما يفسرلنا تنوع وكثافة الطرق والأدوات الدراسية الموظفة في الرد على النصارى، كالتاريخية النقدية، والتكوينية، والمقارنة، ويفسر الكم الهائل من النتائج النقدية التي توصل إليها عبد الجبار في الرد على الإلهيات والمسيحولوجيا وسبقه إليها؛ **فالقول بأن المسيح كان انسانا لاغير، وأن التأليه النصراني له نشأ بعده، وأن الفكر الوثني القديم قد لعب دورا في تكوين هذه المعتقدات، وأن الصلب ليس له مستند نقلي،هي نتائج سبق بها عبد الجبار النقد المعاصر.**

---

(١)عبد الرحمن بلجه جي زيادة، **الفارق بين المخلوق و الخالق**،(القاهرة:١٩٠٤)، ص٢٨١-٢٨٢.
(٢)النجار، **قصص الأنبياء**، ص ص٣٩٥-٤٧١.

إن هذه النتائج النقدية التي توصل إليها عبد الجبار **لا نجد لها مثيلا في القرون الثمانية الأولى**-كما يتوضح من الدراسات الأولية في هذا المجال-(١).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١) راجع على سبيل المثال دراسة الشرفي وبوعصامة التي نحيل عليهما دوما.
الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص ص٣٤١-٣٧٧.
Bouamama, la létturature polémique musulmane contre le christianisme,pp189-194.

# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يمكننا بعد أن وصلنا إلى نهاية البحث أن نعطي تلخيصا لمسائل هذا الجهد ونتائجه في النقاط التالية:

١ - إن عبد الجبار في دراسته للعقائد النصرانية **كان واعيا بالمفارقات الموجودة بين عقيدته الإسلامية وبين العقائد** النصرانية المدروسة؛ والدليل المقارنات التي أجراها بين مضامين النص القرآني وتفسير المسلمين له، ومحاولات التفسير النصرانية، التي ارتضاها النصارى للقرآن، ليكشف عن التمايز والتفارق بين العقيدتين.

٢ - إن عبد الجبار **اعتمد الطريقة الآنية في تناول العقائد النصرانية، كما اعتمد الطريقة الزمانية**؛ فقد نظر إليها نظرة استنباطية كلامية، كما نظر إليها نظرة تكوينية وتاريخية ومقارنة، بحثا عن التاريخي في العقيدة والتطورات المتعاقبة التي مرت بها في إطارها التاريخي والتكويني، **ليصير مقدس النصارى ودينهم صيرورة عادية للتاريخ وامتدادا للفكر الوثني القديم**. وهو ما ينم عن **اطلاع عميق على الفكر والعقائد النصرانيين بجوانبه المختلفة، الكلامية والتاريخية والتكوينية والمقارنة**. وإذا كانت عروضه الآنية لا تكاد تتميز عن عروض غيره من علماء الرد في القرن الرابع الهجري، **فإن عروضه التي اعتمدت الطريقة الزمنية لا نجد لها نظيرا بينهم**(١)؛ فهو بحق نموذج فريد في الاطلاع على العقائد النصرانية وعرضها.

---

(١) لم يكن هذا التعميم ممكنا لو لم توجد الدراسات الأولية التي أجراها باحثون معاصرون في هذا الميدان، خاصة دراسة الشرفي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، وبوعمامة bouamama,**polémique musulmane contre le christianisme** .

٣ – تبين لنا أن **عبد الجبار قد اعتمد ثلاثة منطلقات وثلاثة مفاهيم في رده على النصارى**، وكان للقرآن فضل كبير في تكوينها وصياغتها؛ **أما المنطلقات، فهي التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. والمقارنة بينها وبين المنطلقات التي اعتمدها الرد الإسلامي لا تكشف عن كبير اختلاف، إلا في جزئيات من تفاصيلها، والتي مردها إلى محصلات نتائج المدارس الكلامية المختلفة. **وأما المفاهيم، فهي 'النصرانية إسلام محرف'، و'إنسانية المسيح'، و'الإعجاز'**. وإذا كانت تلك المنطلقات تشكل وتؤسس الإطار العام لرد عبد الجبار، فإن المفاهيم تقود خطى بحثه فيه، وتوجهه؛ فالمفاهيم موجهات للبحث والرد ومحددة لمجال النقد وعناصره.

٤ – إن مفهوم التحريف قد انفرد عبد الجبار بتأسيسه تأسيسا جديدا، وهو ما **سماه بمنهج المخالفة في الأصول والفروع**؛ ورغم تأكيد القرآن على هذا المفهوم، إلا أن الدراسات الإسلامية في القرن الرابع في الرد على النصارى ارتضت لنفسها **الدراسة الآنية الكلامية** مع غض الطرف عن مفهوم التحريف كمفهوم أساس في البحث. ويمكننا أن نجد تطبيقات إسلامية لهذا المفهوم في دراسة الكتب المقدسة، لكننا لا نجد له تطبيقا في دراسة الدين النصراني ككل، وهو ما يميز عبد الجبار، إذ أنه **بحث مصادر التحريف التي دخلت النصرانية، والعوامل التاريخية التي ساعدت عليه، كما بحث الدخيل عليها؛ في شرائعها وإلهياتها ومسيحولوجيتها، وهو ما جعل من منهجه منهجا تكوينيا، وهو بذلك له فضل في توسيع مضمون هذا المفهوم وتعميمه، ليشمل الدين النصراني ككل، ومسجلا فتحا جديدا في الرد الإسلامي على النصارى.**

٥ – إن مفهوم الإعجاز الذي أسس به عبد الجبار ردوده في **'التثبيت'** كان له دور في تغيير النسق الإسلامي في الرد على النصارى؛ إذ **جعله ومقارنة الأديان درسا في الإعجاز ودلائل النبوة؛** وصارتناقض عقائدهم وعدم تناسقها التاريخي والكلامي والتكويني عند القاضي مؤشر ودليل تحريفهم لدينهم، وهو ما يثبت به **إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.**

٦ – إن رد عبد الجبار على النصارى متعدد المناهج؛ وهي المنهج الكلامي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التكويني؛ **أما المنهج الكلامي**، فقد لاحظنا حضوره في كتبه الكلامية، **'المغني' و'شرح الأصول الخمسة' و'المجموع'**. ويتميز **بتوظيف أدوات تحليلية مختلفة؛ وهي التعريف والإلزام والقياس، وإنتاج المقدمات النتائج، والسبر والتقسيم.** وتهتم بالبحث عن الاتساق والاختلاف بين مفاهيم النسق العقدي النصراني داخليا من جهة، وبينه وبين ومبادئ العقل من جهة أخرى. **وشغف عبد الجبار بطريقتي الإلزام والتعريف يؤكد أن رده هو استمرار تطبيقي لمنهج القرآن في الرد على النصارى.**

وأما **المنهج التاريخي**، فقد اختص به كتاب عبد الجبار "**تثبيت دلائل النبوة**"، ووظف فيه إجراءات مختلفة، تناولناها في الفصل الثاني؛ تثبت من الرواية ونقد لها سندا ومتنا. وأهم مايميز منهجه هو خصوصيات النسق الكلامي الاعتزالي، حيث يحيل عليها كل ما من شأنه أن يمس العقيدة والقطعيات.

وأما **المنهج المقارن**، فقد أبان عبد الجبار عن مقدرة عجيبة في توظيفه كمنهج رد على النصارى، حيث إننا لانجد له مثيلا في القرون الأربعة الهجرية الأولى. كما وظفه في دراسة أصول عقائدهم ودعاويهم، كما اعتمده ليثبت إعجاز المواقف القرآنية من العقائد النصرانية، ومخالفة النصارى للمسيح في الأصول والفروع، ومصادر هذا الانحراف، وهو ما يضفي على دراساته خصوصيات "**علم مقارنة الأديان**".

وأما **المنهج التكويني**، فقد كشف به عبد الجبار عن تميز خاص في دراسة العقائد النصرانية. وهو تعامل مع كيفيات التكوين المعرفي للعقائد النصرانية وأطره المعرفية والتاريخية والمكونات الثقافية التي ساهمت في تكوينها. **ويمكننا أن نقول إن عبد الجبار بتوظيف المقارنة والتكوينية قد أثرى المنهج الكلامي بمناهج نقدية جديدة، وهو ما يفسر لنا سبقه إلى كثير من النتائج النقدية التي توصل إليها النقد المعاصر.**

٧ – إن أهم نتيجة يمكن أن نستخلصها من قراءة عبد الجبار للكتاب المقدس **أن الأناجيل الأربعة هي محاولة بشرية رواية وتحملا لصياغة مضامين إنجيل المسيح**، وهو ما يؤكد أنه قد سبق إلى كثيرمن النظريات النقدية المعاصرة، "**كالاعتراف بالبعد البشري في الأناجيل**"، و"**الاعتراف بعدم كتابة المسيح للأناجيل الحالية**"، و"**الاعتراف بحضور الفكر الوثني في الأناجيل**".

٨ – كشف عبد الجبار عن حضور مكونين تاريخيين لهما دور فعال في تكوين العقائد النصرانية، وهما **الوثنية الرومية، والفلسفة الرومية-اليونانية**؛ فالتثليث الرومي والتجسد الفلسفي اليوناني صارا تثليثا نصرانيا واتحادا مسيحولوجيا، وهو ما يعد ابتكارا وسبقا في دراسة العقائد النصرانية، إذ أنها **رؤية نقدية ورد ية معاصرة لم تقرر إلا حديثا**. وهو مايؤكد به عبد الجبار **إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أن القرآن قد اتهم النصارى بمضاهاة الذين كفروا من قبل.**

٩ – قد تأكدنا أن كثيرا من النظريات النقدية التي حيكت حول أصول الفكر النصراني قد سبق بها عبد الجبار؛ **كنظرية "النصارى لم يكونوا أبدا متمسكين بالشرع المسيحي"، ونظرية "تأثر النصارى بالروم والثقافات الوثنية القديمة"، ونظرية "حضور الوثنية في النصرانية"، ونظرية "الابتداع البولسي في النصرانية"، وهو ما يعد سبقا ومعاصرة فائقة للنقد الحديث.**

إن هذه التصورات هي التي كانت وراء قول عبد الجبار إن المسيحية هي التي تروّمت لتصير نصرانية، ولم يتمسح الروم أبدا.

أحسب أننا قد وصلنا إلى آخر المطاف مطاف البحث، لنعيد النظر مرة أخرى في مواقفنا، وتبدأ الكرة من جديد.

وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مراجع البحث:

## القسم الأول: المراجع العربية

### أولا:الكتب المقدسة


1. **القرآن الكريم.**
2. **الإنجيل:بشرى المسيح يسوع لمسيح،**
بقلم لوقا،(بيروت:جمعيات الكتاب المقدس المتحدة،1992).
3. **الإنجيل:** كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح،
(القدس:المركز العالمي للكتاب المقدس بجبل الزيتون،1977)
4. **التوراة:** العهد القديم
(القدس:المركز العالمي للكتاب المقدس بجبل الزيتون،1977)


### ثانيا: كتب علم الكلام والرد على النصارى


1. **أبو زهرة، محمد:**
**محاضرات في النصرانية،**(الجزائر، دار الشهاب،1986)

2-3. **ابن تيمية** شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم.
-**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،**(مصر: مكتبة المدنى،دت).
-**درء تعرض العقل و النقل،** بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، **(الرياض: جامعة الامام** محمد بن مسعود بالرياض)

3. **الباجي** علي الشافعي:
**على التوراة**- نشر وتحقيق د . أحمد السقا-(القاهرة: دار الانصار، 1980م ).

4. **ابن حزم** أبو محمدعلي:
**الفصل في الملل والاهواء والنحل،** (القاهرة: مكتبة الخانجي،1321هـ)

5. ابن القيم الجوزية:
**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،** نشرة حامد الفقى،(القاهرة، مكتبة الرياض الحديثة).

6. **الباجي** ابو الوليد سليمان بن خلف القاضي :
**جواب القاضي الباجي على رسالة راهب فرنسا الى المقتدر بالله صاحب سرقسطة** -تحقيق د.محمد عبد الله الشرقاوي - مجلة المعهد العالي للدعوة الاسلامية ، العدد السادس 1984،(السعودية، دار الصحوة 1986).

7. **أفتشيوس** البطريرك سعيد بن البطريق:
**التاريخ المجموع على التحقيق و التصديق،**(بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين،1910).

8.الترجمان عبد الله:
تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب - نشرة د. محمود حماية،(القاهرة-د.ت).

9. الجاحظ أبوعمرو:
المختار في الرد على النصارى،تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، (القاهرة، دار 1985)

10. الجويني أبو المعالي:
شفاء الغليل في الرد على من بدل التوراة والانجيل، (الرياض: الرئاسة العامةللبحوث العلمية،1403هـ)

11. الخزرجي أبو عبيدة:
مقامع هامات الصلبان و مراتع روضات أهل الايمان، حققه و نشره الدكتور محمد شامة بعنوان :"بين المسيحية و الاسلام"، (مصر: مكتبة وهبة، 1972).

12. الدهيري عبد العزيز:
ارشاد الحيارى وردع من ماروي في اختلاف النصارى، (مصر، مطبعة التمدن،1904)

14. الطبري علي بن ربن المطبب:
الدين و الدولة في اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، نشرة عادل نويهض، (بيروت: دار النهضة،1972)

15.الشهر ستاني محمد:
الملل و النحل ، مطبوع على هامش الفصل لابن حزم،(مصر: طبعة دارة الندوة الجديدة، دت)

16. العامري ابو الحسن:
الاعلام بمناقب الاسلام، تحقيق د.أحمد عبد الحميد غراب(مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب،1967).

17. عبد الوهاب أحمد:
المسيح في مصادر العقائد المسيحية ،(مصر: مكتبة وهبة،1978).

18-22. عبد الجبار،أحمد:
تثبيت دلائل النبوة،تحقيق د.عبد الكريم عثمان،(بيروت: دار العربية،دت).
المغني في أصول الدين،ج5،تحقيق محمود الخضيري،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة)
شرح الأصول الخمسة،تحقيق عبد الكريم عثمان،(الجزائر: سلسلة أنيس،موفم للنشر والتوزيع،1990)
متشابه القرآن، تحقيق:عدنان زرزور،(القاهرة: دار التراث،دت)
المجموع في المحيط بالتكليف، جمع ابن متويه، تحقيق: جين اليسوعي،(بيروت:المطبعة الكاثوليكية،1962).

23. القرافي أحمد بن ادريس الصنهاجي
الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة،(بيروت:در الكتب العلمية،1986)

24. المتطبب نصر بن يحي بن عيسى بن سعد:
النصيحة الايمانية بفضح الملة النصرانية، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي،(مصر: دار الصحوة،1986)

25. الهندي رحمت الله:
اظهار الحق، (الجزائر،دار الشهاب، 1990)

## ثالثا:المراجع التاريخية.

26. أبو الفداء اسماعيل،
المختصر في أخبار البشر ، (بيروت: دار الفكر – البحار 1953).

27. ابن الأثير علي،
الكامل في التاريخ – صححه : عبد الوهاب النجار–(القاهرة : دار الطباعة المنيرية ، 1353 ).

28. ابن الجوزي عبد الرحمن،
المنتظم في تاريخ الآمم ، ط 1،(حيدر أباد الدكن : دائرة المعارف العثمانية،1358)

29. ابن العماد، الحنبلي،
العبر في أخبار من ذهب،تحقيق : فؤاد سيد ،( الكويت : دائرة المطبوعات و النشر ،1961)

30. الأسنوي جمال الدين،
طبقات الشافعية – تحقيق: عبد الله الجبوري، ط 1 (بغداد : ديوان الأوقاف ، 1972 م).

31. أوبوابيه جانين وإيمار أندريه،
تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ط2، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، (بيروت–باريس:دار عويدات،1981).

32. إيمار أندريه و أوبوابيه جانين،
تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ط2، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، (بيروت–باريس:دار عويدات،1981).

33. البغدادي الطيب،
تاريخ بغداد أو مدينة السلام،( ابيروت: دار الكتاب العربي، د.ت ).

34. ديورانت ول،
قصة الحضارة، ترجمة محمد بدوي،(مصر: لجنة التأليف والنشر والترجمة، د.ت)

35. الذهبي محمد،
ميزان الإعتدال في نقد الرجال – تحقيق: علي محمد البجاوي،ط1 (القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، 1963).

36. الروذراوري ظهر الدين،
ذيل كتاب تجارب الآمم – صححه:هـ . ف . أمدروز ( القاهرة : شركة التمدن الصناعية ، 1916 ).

**الأنساب**، ط 1،( حيرد أباد الدكن :دائرة المعارف العثمانية، 1962).

38. **السبكي** تاج الدين،
**طبقات الشافعية الكبرى** ، ط 1،( مصر :المطبعة الحسنية المصرية - د.ت ).

39. **اليافعي** عبد الله،
**مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، ط1( حيدر آباد الدكن : دائرة المعارف النظامية ،1338ه ).

**رابعا:المراجع العامة.**

40. **أمزيان** محمد محمد ،
**منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية والمعيارية**ط1،(الولايات المتحدة الأمريكية:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1991)

41. **باشا** أحمد فؤاد،
**"نسق اسلامي لمناهج للبحث العلمي"** محاضرة قدمت الى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الاسلامي ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة - الجزائر (1989).

42. **بوكاي** موريس :
**الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**- ترجمة و نشر دار المعارف،(القاهرة:دار المعارف،1974).

43. **خليفة** حسن أحمد،
**علاقة الاسلام باليهودية - رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**،(القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1988).

44. **خليفة** عبد الرحمن إبراهيم،
**الدخيل في علوم التفسير**،(مصر : دار الأزهر،1977)

45. **الراوي** عبد الستار،
**العقل والحرية**،- دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ، ط1 (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980)

46. **عثمان** عبد الكريم،
**قاضي القضاةعبد الجبارالمعتزلي**،(بيروت: الدارالعربية للطباعة والنشر،1967).

47. **السمالوطي** نبيل محمد،
**الدين والبناء الإجتماعي**،(الرياض:الدار السعودية للنشر والتوزيع،1986).

48. **المليباري** حمزة عبد الله،
**الموازنة بين المتقدين و المتأخرين في تصحيح الاحاديث و تعليلها**، ط2،(قسنطينة: دار الهداية للنشروالتوزيع، 1993).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49. المسدي عبد السلام،
التفكير اللساني العربي،(تونس:الدار التونسية للنشر والتوزيع،1986)

50. النجار عبد الوهاب،
قصص الأنبياء،(الجزائر:مكتبة رحاب، دت)

51. قباري محمد اسماعيل،
الأنثربولوجيا العامة،( مصر: دار المعرفة الجامعية، 1985)

## القسم الثاني: المراجع للغات الأجنبية

1. **Arkoun ,M ;**
**essaie Sur la pensee islamique ;**
(FRance:Maison noeuve,1986)

2. **bouamama** Ali,
**la létturature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines j'usqu'au 8siecle**
(Alger: Entreprise nationaledu livre,1984)

3. **Bultman. R,**
**le christianisme primitif. dans le cadre des religions antiques,**
(France:Payot,1969)

4. **Danielou** Jean , et **Marrou** Heuri ,
**Nouvelle Histoire de l'Eglise**,t1,
(Paris: Editions du Seuil ,1963)

5. **Dufour** Leon-X,
**les Evaugiles,**
in encyclopeoeidia universalis , (Paris , E, U,198)

6. **Duplacy**,J,
**Ou on est la critique textuelle du nouveau testament,**
(Paris Gabalda,1959)

7. **Eliade** Mercia ,
**la nostalgie des origines,**
(france:)

8. **Ferré** .A.,
**L'historien al-yarqubi et les evangiles,**
in Islamochristiana,n°3;1977;pp65-83.

9. **Frey** Louis,
**Analyse ordinale des evangiles Synoptiques,**
(Paris:EPHEMouton-Villars/GautierLouis ;,1972)

10. **M . F,**
**Jean le Thologien,**
(PARIS 1959-1966)

11. **Monnot** Guy ,
**Islam et Religions,**
(Paris:Maison noeuve,1986),p 243.

12. **Mislin** Michel,
**pour une science des religions,**

(Paris:Le Seuil,1977 ).
13. **LaGrange. J.,**
**L'evangile selon saint Mathieu** ,4ed,
(Paris:1927)
14. **LaGrange . M.J.,**
**l'evangile selon saint Marc**,5ed,
(Paris:1929)
15. **lauret** Bernard et **Refoule** francois et autre ,
**Initiation a la pratique de la théologie.**
(Paris:cerf;1987);
16. **Vaganay. L**
**Introduction a la critique textuelle neo-testamentaire,**
(PARIS:1934)
17. **Guenon** René ,
**la crise du monde moderne,**
(Alger:Bouchene,1990)
18. **Grawitz** Madeline,
**methodes des sciences sosiales**,5ed,
(France:Dalloz,1981)
19. **Gregoire** .H.,
**les persécution dans l'Empire romain,**
(Bruxelle,1951)
20. **Piaget** Jean,
**Psychologie et Epistimologie-pour une theorie de la connaissance,**
(Paris:editiongouthier,1970)
21. **Rivaud** Albert,
**Histoire de la philosophie. des origines a la scolastique**
mise a jour par Albert Rivaud;2ed; (France:PUF,1960).
22. **Refoule** francoiset **lauret** Bernard et autre,
**Initiation a la pratique de la théologie,**
(Paris:cerf;1987)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهرس التحليلي للمحتويات


الإهداء 4

الفهرس العام للمحتويات 5

المقدمة 6

تمهيد: منهج القرآن في الرد على النصارى 17

المبحث الأول: أسس المنهج القرآني في الرد على النصارى 19

المطلب الأول:الأسس المعرفية لمنهج القرآن في الرد على النصارى 20

أولا : العقل 20

ثانيا : الوحي 20

المطلب الثاني: الضوابط الابستيمولوجية لمنهج القرآن في الرد على النصارى 21

أولا: الاعتراف بوجود أديان أخرى 21

ثانيا: الطبيعة المعرفية للرد على النصارى 21

المطلب الثالث: قيم ومسلمات منهج القرآن في الرد على النصارى 22

أولا: التوحيد 23

ثانيا: المسيحولوجيا القرآنية 23

1 – الآدمية 25

2 – الكلمة 25

3 – الروح 26

4 – الرسولية 26

ثالثا: الإعجاز 27

1 – المعرفة التاريخية 28


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 – التكامل القصصي القرآني 28
3 – النقد القرآني للعقائد النصرانية 29

المطلب الرابع: مناهج القرآن في الرد على النصارى 30
أولا: المنهج العقلي 30
ثانيا: المنهج التاريخي النقدي 31
1 – نقد الرواية 32
أ . نقد العدالة 32
ب. نقد الضبط 32
2 – نقد المضمون 33
أ. مخالفة العقل 33
ب.عدم الإتساق 33
ثالثا: المنهج المقارن 33

المبحث الثاني: منهج النقد القرآني للعقائد النصرانية 34
المطلب الأول: نقد الكتب المقدسة 34
أولا: نقد العدالة 35
ثانيا: نقد الضبط 35
1. التحريف 36
2. التبديل 36
3. الإخفاء 36
4. الكتمان 36
5. إلباس الحق بالباطل 36
6. الكذب 36
7. لوي الألسنة بالكتاب 36
8. التعطيل 36
9. الإيمان بالبعض والكفر بالبعض 36
10. الإهمال 36
11. الظن 37
12. النسيان 37

المطلب الثاني: نقد التثليث والتجسد 37
الدليل الأول: دليل السبحانية 37
الدليل الثاني: دليل الصاحبة 37
الدليل الثالث: دليل تعدد الآلهة 38

المطلب الثالث: نشأة القول بالعقائد النصرانية التاريخية 38
أولا: الظن في التقدير 38
ثانيا: التأثر بالثقافات القديمة 39
ثالثا: التحريف 39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**المبحث الأول:** عصر القاضي عبد الجبار 42
**المطلب الأول:** الحالة السياسية 43
**المطلب الثاني:** الحالة الإقتصادية 44
**المطلب الثالث:** الحالة الإجتماعية 46
**المطلب الرابع :** الحالة الفكرية 47

**المبحث الثاني:** حياته وثقافته 50
**المطلب الاول:** ترجمته 50
**المطلب الثاني:** مراحل حياته 52
**أولا:** مرحلة النشأة والتلقي 52
**ثانيا:** مرحلة النضج والتدريس 54
**ثالثا:** مرحلة العزلة 54
**المطلب الثالث:** ثقافة عبد الجبار 55
**أولا:** علم الأصول 55
**ثانيا:** علم الكلام 55

**المبحث الثالث:** ردوده على النصارى 59
**أولا: مؤلفات عبد الجبار في الرد على النصارى** 60
1 – المصادر الأساسية 60
**الكتاب الاول:**شرح الأصول الخمسة 60
**الكتاب الثاني:**المغني في أبواب العدل والتوحيد 61
**الكتاب الثالث:**تثبيت دلائل النبوة 62
2 – المصادر المكملة 63

**ثانيا: منهجه في تصنيف الردود على النصارى** 63
**1.المناهج الإسلامية في التصنيف** 63
1 – منهج التصنيف الكلامي 63
أ – الطريقة الموسوعية 64
ب –الطريقة الأحادية 64
2 – منهج تصنيف علم الاديان 64
3 – منهج التصنيف التاريخي 64
أ – الطريقة التاريخية 64
ب – الطريقة الإثنولوجية 65
4 – المنهج المقارن 65
**2.مناهجه** 65
1 – نهج المغني والأصول والمحيط 65
2 – نهج تثبيت دلائل النبوة 65

**ثالثا: مصادره في دراسةالنصرانية** 66

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:المصادر الإسلامية 66
1 - القرآن 66
2 - الكتابات الإسلامية 66
أ.المصادر المصرح بها 66
ب.المصادر غير المصرح بها 67
3 - ملاحظات المسلمين للواقع المسيحي 67
ثانيا: المصادر المسيحية 67
1 - الأناجيل 67
2 - الكتابات الدينية المسيحية 67

رابعا: المباحث النقدية لردوده على النصارى 68

الفصل الثاني: أسس منهج عبد الجبار في الرد على النصارى 69

المبحث الأول: الأسس المعرفية لمنهجه في الرد على النصارى 71

الصنف الأول: المعرفة الضرورية 73
أولا: البديهيات 73
1 - البديهيات الوجدانية 73
2 - البديهيات العقلية 73
ثانيا: المدركات 74
1 - الإدراك الحسي 74
2 - الخبرة 76

الصنف الثاني: المعرفة المكتسبة 76
1 - الإرادية 76
2 - القصد 77
3 - الجزئية 77
4 - النظرية 77

الصنف الثالث: المعرفة النقلية 78
أولا: أهمية الوحي في دراسة النظم والمعتقدات الدينية 79
ثانيا: ضوابط التعامل مع الوحي 80
1 - ضوابط الإثبات 80
2 - ضوابط التفسير 81

المبحث الثاني: الضوابط الإبستيمولوجية لمنهجه في الرد على النصارى 82
أولا: موضوعية الحقيقة الدينية 82
ثانيا: علاقة الرد بالعلوم 84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: المنطلقات والأسس المنهجية للرد على النصارى 86
المطلب الأول: المنطلقات الأساسية لمنهجه في الرد على النصارى 87
أولا: التوحيد 87
ثانيا: العدل 90
ثالثا: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر 91

المطلب الثاني: المفاهيم الاساسية لمنهجه في الرد على النصارى 94
أولا: المسيحية إسلام محرف 95
ثانيا: إنسانية المسيح 96
ثالثا: مفهوم إعجاز القرآن 97
1 – كونه من جهة الله 98
2 – كونه واقعا عقيب دعوى المدعي للنبوة 99
3 – كونه مطابقا لدعواه 99
4 – كونه ناقضا لعادة من بين ظهرانيهم 100

المبحث الرابع: مناهج المستشرقين في الرد على النصارى 101

أولا: المنهج الكلامي الجدلي 102
أدوات المنهج الكلامي 103
1 – التعريف 103
2 – القياس الإسلامي 104
3 – السبر والتقسيم 106
4 – الإلزامات 106

ثانيا: المنهج التاريخي النقدي 108
1 – المعرفة المتواترة 108
2 – روايات الآحاد 109
النقد الأول: نقد توثيق السند 110
أولا: البحث عن مصدر الخبر 110
ثانيا: التحقق من نسبة الخبر إلى قائله 110
ثالثا: توثيق الراوي 111
1 – نقد العدالة 111
2 – نقد الضبط 111
النقد الثاني: نقدالمضمون 112
أولا: جمع النصوص 112
ثانيا: التفسير 113
ثالثا: معرفة الصحيح من الزائف 113
رابعا: التعليل وصياغة النظريات التفسيرية 113

ثالثا: المنهج المقارن 114

رابعا: المنهج التكويني 115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: منهج عبد الجبار في الرد على مصادر الدين النصراني 118

المبحث الأول: عرض لمصادر الدين النصراني 122

المبحث الثاني: رده على مصادر الدين النصراني 126
المطلب الأول: رده على توثيق الكتب المقدسة 126
أولا: واضع الأناجيل 126
ثانيا: هوية رواة الأناجيل 129
ثالثا: نوع رواية الأناجيل 130
رابعا: محتوى الأناجيل 133
1 - الباطل 133
2 - السخف والمحال 134
3 - الكذب الظاهر 134
4 - التناقض البين 134
خامسا: ترجمة الأناجيل 134

المطلب الثاني: رده على تفسير الكتابات المقدسة 137
أولا: نسخ العمل بالتوراة 138
ثانيا: إهمال العقل 139
ثالثا: تحريف المعاني 142
رابعا: إعمال الرأي في النص 144

الفصل الرابع: منهج عبد الجبار في الرد على الإلهيات النصرانية 147

المبحث الأول: رده على أدلة الإلهيات النقلية عرضا 151
المطلب الأول: رده على الأدلة الكتابية 151
أولا: رفض الإستدلال بالكتاب المقدس 151
ثانيا: تأويل الآيات المتشابهات 152
ثالثا: إثبات آيات التوحيد 155
المطلب الثاني: رده على التأويل النصراني للقرآن 157

المبحث الثاني: رده على أدلة الإلهيات الكلامية 161
المطلب الأول: رده على القول بأن الله جوهر 162
المطلب الثاني: رده على القول بثلاثة أقانيم 164
أولا: مفهوم الأقنـــوم 164
ثانيا: أسمـــاء الأقانيـــم 167
ثالثا: أفعـــال الأقانيـــم 169

رابعا: اختصاص الأقنوم 171
خامسا: عدد الأقانيم 173
**المطلب الثالث: رده على علاقة الجوهر بالاقانيم** 175
**أولا: نقد الهوية** 175
**ثانيا: نقد العدد** 176
**ثالثا: نقد تعريف الإله** 177
**رابعا: نقد الجوهر** 178

**المبحث الثاني: رده على أدلة الإلهيات النصرانية** 179
أولا: العوامل السياسية 180
ثانيا: العوامل الثقافية 183
1 – الفلسفة اليونانية 184
2 – الوثنية القديمة 185

**الفصل الخامس: منهج عبد الجبار في الرد على المسيولوجيا النصرانية** 189

**المبحث الأول: أنواع المسيولوجيا النصرانية** 191
**أولا: المسيحولوجيا النسطورية** 193
**ثانيا: المسيحولوجيا اليعقوبية** 194
**ثالثا: المسيحولوجيا الملكانية** 196
**رابعا: المسيحولوجيا المارونية** 197

**المبحث الثاني: رده على عقيدة التجسد** 199
**المطلب الأول: رده على أدلة التجسد النقلية** 200
**أولا: الرد على التأويل النصراني للقرآن** 200
**ثانيا: نقد الأدلة الكتابية** 201
1 – رفض الإحتجاج بالكتاب المقدس 201
2 – تأويل الآيات المتشابهة 202
3 – الإستدلال بالكتاب المقدس على عدم الإلهية 205
**المطلب الثاني: رده على أدلة التجسد الكلامية** 207
**أولا: الرد على النظرية العامة للتجسد** 208
1 – أسباب القول بالتجسد 208
2 – نسب المسيح 210
3 – اختصاص الابن بالتجسد 212
4 – عبادة المسيح 213
5 – تاريخ القول بالتجسد 216
**ثانيا: الرد على النظريات الخاصة في التجسد** 217
**1 – نظرية الملكية** 218
**2 – نظرية النسطورية** 222
**3 – نظرية اليعقوبية** 225

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: الرد على عقيدة الصلب 228
أولا: نوع رواية الصلب 230
ثانيا: توثيق الروايات الآحاد 233
ثالثا: ظروف التعرف على المصلوب 234
1 - الدال على المسيح 236
2 - عدم تعرف اليهود والروم عليه 237
3 - إنكار يهوذا لهوية المصلوب 237
4 - أحداث الرواية مع السلطان 237

خاتمة: 240

قائمة المراجع: 245
الفهرس التحليلي للمحتويات 251

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمت

بعون الله وحده